الرئاسة في قبيلة زهران منذ القرن الثالث عشر الهجري

دراسة وثائقية

إبراهيم محمد الزيد

الأستاذ المشارك في قسم التاريخ

كلية الآداب – جامعة الملك عبدالعزيز – جدة

مقدمة :

لقد قلت في مقدمة كتاب الشيخ محمد بن عبدالله بن احمد المنصوري الذي قمت بدراسته وتحقيقه «وبما ان دراسة تاريخ الوطن من الأمور الواجبة ، خاصة تلك المناطق في تلك الفترات التي لم يولها الباحثون اهتمامهم ربما بسبب عدم توفر المصادر المعينة سهلة التناول ، مع ان للمنطقة حضور وتاريخ وبشيء من الصبر والعزم يمكن الوصول إلى نتيجة إيجابية ، ومن اولى من أبناء البلاد يسعى لإبراز تاريخها» ، ثم قلت في آخر المقدمة «وآمل ان يكون هذا العمل خطوة على طريق نشر وتعميم تاريخ منطقة الباحة للباحثين والعلماء في الأزمنة المتأخرة» (١) .

ورغبة في مواصلة ذلك الواجب ، رأيت في خطوة ثانية أن أسلط الضوء على جانب آخر مهم من جوانب تاريخ المنطقة ، وذلك بالحديث عن تاريخ الرئاسة في قبيلة عربية أزدية أصيلة هي قبيلة زهران منذ القرن الثالث وما بعده ، وقد اعتمدت في مجمل هذا البحث على أكثر من خمس وسبعين وثيقة خطية محلية بعد أن توفر لدي جملة من الرسائل الخطية المتبادلة بين شيخين للقبيلة هما الشيخ جمعان بن راشد بن رقوش ، وابنه الشيخ راشد بن جمعان بن رقوش . وبين كل القوى السياسية المحيطة بالمنطقة مثل الإدارة التركية ، وأمراء مكة المكرمة ، وأمراء عسير ، والإدريسي ، والملك عبدالعزيز آل سعود ورجاله من أمراء البلدان المحيطة بالإقليم وفيها مادة علمية جيدة ، وقد عبر الدكتور عبدالمنعم الدسوقي الجميعي عن أهمية الاستعانة بالوثائق فقال : «إن الحقائق دائما تستخلص من بطون الوثائق حيث إنها السند الرئيسي للمؤرخ ، إنها المادة الخام التي تحمل بين سطورها تراث الأمم وحضارتها ، والتي يجد عندها المؤرخ الحقائق المفقودة التي كاد يطويها النسيان فهي الشاهد الأكبر على التاريخ ... ، وأهمية الدراسات الوثائقية أنها دائمًا تضيف دلالات جديدة في كتابة التاريخ وتجعل المؤرخ يقف على حقائق الأمور دون أدنى شك أو مواربة ... كما أنها تفتح لنا أبوابًا جديدة متعددة للدراسة باعتبارها منبعا بكرًا فيه الكثير مما أهمله بعض المؤرخين (٢) » .

والواقع أنه بدون هذه الوثائق والمراسلات التي اعتمدت عليها في هذا البحث لن يكون في مقدور المؤرخ أن يعرف كيف انتقلت الرئاسة في قبيلة زهران من بيت آل القفعي إلى بيت آل رقوش وسبب ذلك في عام ١٢٥٨هـ ومَنْ من الولاة أقر المشيخة في جمعان وراشد ، وكيف قام

نائب أمير مكة عبدالمطلب بن غالب بتكريم الشيخ جمعان ابن رقوش أمام أقرانه وإلباسه كسوة فاخرة هي كبود جَوخ ، وشال كشمير أمام أقرانه لأجل افتخاره في عام ١٢٦٧هـ ، ثم لماذا رفض الأمير محمد بن عائض أمير عسير الصلح مع الأتراك بعد أن طلبوا ذلك في عام ١٢٨٧هـ ، وما حدث من تعرض لجنود الأتراك وسلب ما معهم عام ١٣١٨هـ ، وكذلك تفصيل القتال بين غامد وزهران والأتراك في قرى شبرقه ، ورغدان ، والظفير حيث لم يسلم من القتل سوى طابور واحد من ستة طوابير وقتل المتصرف والقمندان عام ١٣٢١هـ . كما عبرت الرسائل عن استنجاد الحسين بن علي أمير مكة في عام ١٣٣٣ - ١٣٣٤هـ بالشيخ راشد ابن رقوش ليرسل له معونة اقتصادية عاجلة ما زاد لدى القبيلة من حبوب في بلاد زهران أو في الطائف ومكة ليفك ضائقة اقتصادية ألمت بمكة وجيران بيت الله ، وبرغم ماظهر من انضمام الشيخ راشد وبالتالي قبيلة زهران إلى جانب الإدريسي إلا أن الأخير كتب في إحدى رسائله في عام ١٣٢٨هـ أن الشيخ راشد تعلا على الجهاد ولهذا طلب الإدريسي من نوابه في منطقة الباحة أن يجامل الشيخ راشد ويعطى منصب المشيخة بحسب الظاهر ويكون هذا مكتوم . ولما ساقت الدولة العثمانية الجيوش لفك الحصار المضروب حول أبها من الإدريسي أعلن الشيخ راشد الولاء لقائد ذلك الجيش وللخليفة عندما وصل الجيش إلى تهامة منطقة الباحة ، كما أوضحت الرسائل انضمام الشيخ راشد إلى خالد بن لؤي القائد السعودي في عام ١٣٣٨هـ ، وتحدثت الرسائل عن معلومات أخرى مثل تمرد عبدالله بن فاضل وهو شيخ من قبيلة بني مالك التابعة لمدينة الطائف وما اتخذ من حشد لمحاربته واشترك الشيخ راشد في الغزو ، وقد عبرت الرسائل في عام ١٣٣٤هـ ، ١٣٤٥هـ ، ١٣٤٩هـ عن الصلاحيات الممنوحة للشيخ راشد وللقاضي الشرعي لديه . وأن ذلك بناء على توجيه المقام السامي .

وهناك رسائل من عبدالله بن محمد بن معمر أحد قادة الإمام عبدالعزيز بعثها للشيخ راشد في عام ١٣٤٣هـ أوضح فيها أن طائرة هاجمت الجيش السعودي وأسقطها الله وفيها مسيحي قتل ، وعدد البيارق التي توجهت لغزو الطائف ، ثم هناك وثيقة تذكر أن الشيخ راشد وجمل المكي شيخ قبيلة رفاعة من غامد قاما بغزو على تهامة لإيقاف الخلل من المخواة إلى القنفذة وإدخال عدد من القبائل في طاعة الدولة السعودية مثل قبائل زبيد ، وبني عيسى ، وبني سهيم ، وآل سعد ، وابن شايق أهل يبْس .

تلك أمثلة فقط على أهمية ماتورده تلك الرسائل من حقائق تاريخية لم تسجل في كتاب من قبل .

وأخيراً ، فإن تلك الرسائل تعالج أموراً سياسية ، وعسكرية ، واقتصادية ، ودينية كتبت بلغة سهلة تمزج بين الفصحى والعامية كما أنها تفيد من يود دراسة لغة الرسائل وتطور الإدارة في شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث .

وختاماً ؛ فإنني أقدر بالشكر الشيخ عبدالله بن عبدالمجيد بن راشد بن جمعان بن رقوش شيخ قبيلة بني عامر من زهران وابنه السيد مساعد على ما قدماه لي من وثائق ومعلومات شجعتني على إنجاز هذا البحث المحبب إلى نفسي ، وآمل أن يغطي جانباً من حاجة الأهل في منطقة الباحة إلى تاريخ شامل تتداح دوائره ويتعانق فيه الماضي بالحاضر ، والحاضر بالمستقبل ، فلا حاضر بدون ماضٍ ولا مستقبل بدون حاضر ؛ والله المستعان .

الموقع

تقع بلاد زهران في الجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية ، يحدها من الشمال قبيلة بلحارث وقبيلة بني مالك وهما تابعتان لمدينة الطائف ، ومن الجنوب قبيلة غامد، وقبيلة زُبيد وغربا الطائف والليث والسهل المحاذي للبحر الأحمر ، أما من الشرق فيحدهم بادية غامد .

وتقع بين خطي الطول ٤١° و ٤٢° وخطي العرض ١٩° ، ٢٠° ويسكن جزء من هذه القبيلة فوق جبال السروات ، وجزء منهم يسكن الأصدار المنحدرة إلى تهامة ، والقسم الثاني يسكن في تهامة (٢) .

ومدينة المَنْدَق في السراة من أهم مدن القبيلة ، وفي تهامة مدن أخرى من أهمها المخواة ، و قِلْوَة ، وفي السنوات الأخيرة نشأت في بلاد زهران مراكز جديدة تحولت مع التنمية الشاملة التي تقوم بها الدولة إلى مدن مزدهرة . بل إن تلك البلاد انتشرت فوقها القرى وتعانقت وأمكن أن يقال إن تلك البلاد بجبالها ووديانها ووهادها أصبحت مدينة واحدة .

وقبيلة زهران التي تقيم في البلاد التي أشرت إليها سابقا ينسبون إلى زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن عبدالله بن نصر بن الأزد من أزد شنوءة [٤] . وقد سكنوا هذه الديار على إثر حادثة سيل العرم (أي في القرن الرابع قبل الميلاد) [٥] ويتفرع من زهران هذا اليوم ثمان وعشرون قبيلة من الحاضرة والبادية في السراة وفي تهامة ، ومن هذه القبائل قبيلة بني عامر الذين يسكنون في ستة عشرة قرية منها ست قرى بوادي النشَم بفتح الشين بتهامة [٦] . وممن ترأس فيهم قديمًا ذو السنبلة وهو خالد ابن عوف بن نَضْلة بن معاوية بن الحارث ، وعبدالله بن النعمان بن عبدالله بن وهب بن عامر [٧] سيدهم بالسروات ، وعمرو بن حُمَمة بن الحارث الدوسي وهو بيتهم [٨] ، وأبو أزيهر [٩] من أهل السراة .

بَخروش بن علاَس

أما في نهاية القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر في أوائل الدولة السعودية الأولى فقد ترأس وحكم في قبيلة زهران والقبائل المجاورة بخروش بن علاس بن مسعود الزهراني من قرية العدية من قبيلة قريش الحسن شمال الأطاولة على مسافة أربعة أكيال ولا تزال بها بقايا آثاره وحصونه وخنادقه القديمة [١٠] . ولا يعلم بالدقة متى انضم بخروش إلى جانب السعوديين ولكن المنصوري في تاريخه ، ومسعود بن حجر ذكرا أن أمر سعود بن عبدالعزيز وصل إلى الحجاز وبلاد غامد سنة ١٢١٢هـ [١١] ولما قام محمد علي باشا بحملاته على الجزيرة العربية واستولى على الحجاز واجه معركة كبيرة فاصلة مع القوات السعودية في (بِسْل) من أودية الطائف سنة ١٢٣٠هـ وكان بخروش قد ترأس قومه من غامد وزهران في هذه المعركة ، فلما بدأت المعركة حصل الفشل في ناحية غامد وزهران ثم في قوم طامي بن شُعيب ثم شملت الهزيمة الجميع [١٢] . ولما قتلت حصان الأمير بخروش اختلط بالفرسان من الأتراك فجذب أحدهم من فوق ظهر حصانه ثم امتطاه وهرب بعد أن قتل اثنين من ضباط الباشا [١٣] .

وعندما كان عابدين بك يحتل البلدان جنوبي الطائف، تمكن من احتلال بعض الجهات في منطقة قبيلة زهران وفي فجر أحد الأيام من سبتمبر هجم بخروش على الأرناؤوط النائمين وفقد الأتراك كل خيامهم ومدافعهم وأمتعتهم ومؤونتهم وقتل منهم ثمان مئة جندي من المشاة وثمانين فارسًا ولم يجرؤ بقية الجيش على اتخاذ موقع إلا بعد أن وصلوا إلى «ليّـة» التي تبعد عن مدينة الطائف ١٥ كيلاً .

وفي عام ١٢٣١هـ وصلت أخبار بأن بخروش أغار على أراضي عرب ناصرة وهم من قبيلة بلحارث من قحطان التي تقيم في الجنوب الشرقي لمدينة الطائف بحوالي ١٠٠ كيل [١٤] ونهب مركزهم حيث تتمركز حامية من الأرناؤوط وكانت مركز عابدين . ولمفاجأة الباشا وتحويل نظره عن الهجوم الأساسي قام بخروش بالهجوم على القُنْفُذَة على ساحل البحر الأحمر التي تبعد عن مدينة الباحة ١٥٠كيلا في الناحية الغربية الجنوبية وهي تابعة من الناحية الإدارية لمنطقة مكة المكرمة . ثم هجم ومن معه دون توقع على «بسْل» واحتل موقعًا وسط خطوط الجيش التركي [١٥] . وبعد معركة «بسْل» توجه محمد علي باشا إلى عسير باتجاه بلدة «طَبَب» مركز إمارة عبدالوهاب المُتْحمي لكن بخروش بن علاس كان يغير على خطوط إمدادات وحاميات وخطوط مواصلات محمد علي لذا قرر العودة إلى بخروش فداهمه في قلاعه في وادي قريش بحوالي عشرين ألف مقاتل فقابله بخروش بجيش زهران المتواضع فرده وهزمه وقرر عدد القتلى بألف رجل [١٦] . وكانت حنكة بخروش الحربية كافية لانسحاب الأتراك إلى الطائف خاسرين [١٧] .

ومن جرأته وشجاعته أنه أرسل رسالة إلى محمد علي وهو بالحجاز بعد تجاربه في معارك الأتراك : إذا كانت هذه جنودك فخير لك أن تعود إلى حرمك والتمتع بمنظر مياه النيل وإلا فاحضر رجالاً غيرهم .

وكان من الصعب القبض على بخروش إلا أن مجموعة من قومه قبضوه وسلموه لمحمد علي مقابل العفو عنهم . وممتلكاتهم [١٨] . وفي ليلة وجد بخروش حراسه نيامًا فحل وثاقه وهرب وتعقبه الحراس ولما اقتربوا منه قتل بعضهم وجرح كثيرين منهم حتى وقع في أسرهم فجيء به لمحمد علي باشا وسأله : لماذا هربت وقتلت الجنود ؟ فقال له : ما دمت حرًا مطلقًا أعمل كما أشاء ، فرد عليه الباشا : سأعاملك بالمعاملة نفسها . ورد عليه الأغلال وأوقفه وسط الجنود ثم أمر الجنود المحيطين به أن يطعنه كل واحد منهم طعنة غير قاتلة برأس خنجره لتعذيبه ، وتلقى

الطعنات بصبر وشجاعة ولم ينبس بكلمة تشعر بأنه نادم أو يستعطف الباشا . وأخيراً قطع أحد الجنود رأسه ودفنت جثته في وادي الأحْسَبَة بتهامة زهران (١٩) .

وهو واد كبير جنوب مدينة المخواة (٢٠) . وعلق الأتراك عند وصولهم لمصر في طريقهم لإستانبول رأس بخروش بين كتفي زميله طامي بن شُعيب المتحمي أمير عسير – رحمهما الله – وطافوا به القاهرة للتشهير ، وأرسلا معاً لإستانبول حيث شهر بطامي قبل قتله وظلا متلازمين في البطولة حتى النفس الأخير لطامي (٢١) .

رئاسة آل القنفعي لقبيلة زهران

وفي فترة الاضطراب السياسي في الحجاز ونجد وعسير بعد حملات محمد علي سعى الأهلون إلى تأمين حياتهم والحفاظ على ممتلكاتهم وحرصت قبائل زهران على تقوية وحدتها فألقت بمقاليد الرئاسة فيها إلى آل القنفعي وهم سكان قرية «قُرّاء» في سراة زهران جنوب غربي قرية «البارك» وهي مشرفة على وادي «دَوْقَة» بتهامة من الجهة الجنوبية الغربية حيث يشاهد من شفاها أكثر بلاد تهامة (٢٢) . وقد استمرت رئاستهم على ما يعتقد مدة ثمان وعشرين سنة ، أي من بعد معركة بِسْل ، إلى زمن انتقال الرئاسة إلى آل رقوش عام ١٢٥٨هـ .

رئاسة آل رقوش لقبيلة زهران

١ – جمعان بن رقوش

ينسب آل رقوش إلى سُعَيِّد (رقوش) بن بخّات من بني عامر قبيلة من قبائل زهران ، وقد خلف رقوش ، راشدا ، وقد خلف راشد ، جمعان ، ولجمعان من الأبناء : سعيد ، ومحمد ، وراشد ، ولراشد من الأبناء : عبدالله ، وجمعان ، وقد خلف جمعان ، راشداً ، وأنجب راشد مساعداً ، ت ١٣٥٩هـ ، الذي كان عضواً في المجلس الإداري ، وسميت إحدى عقبات المنطقة باسمه (٢٣) لوجود بيت ومزرعة له فيها ، وبدل اسم العقبة الآن إلى عقبة الملك خالد ، كما أنجب عبدالمجيد ت ١٤٠٩هـ ، ولعبدالمجيد من الأبناء : رشيد ، وعبدالله ، وعبدالله هذا هو رئيس قبيلة بني عامر اليوم وله من الأبناء : عبدالعزيز ومساعد ، وخالد ، وعبدالرحمن ، ومحمد ، ونايف . وقاعدة القبيلة في السراة هي بلدة بني سَار التي تقع شرقي بلاد زهران وتبعد عن مدينة الباحة عاصمة المنطقة اثني عشر كيلا شمالا (٢٤) .

وقد توسعت رئاسة آل رقوش فشملت كافة قبيلة زهران بعد أن كانت رئاستهم في قبيلتهم بني عامر ، ولذلك سبب ، ففي ذي الحجة من عام ١٢٥٨هـ كتب الشيخ أحمد بن خضر القنفعي شيخ قبائل زهران سابقًا لأمير مكة في ذلك الوقت محمد بن عون يشكو من أن قبائله خرجوا من تحت يده ، أهل بيضان ، وأهل تهامة ولا يسمعون له وتحاسن بنو عامر من عيسان إلى ناوان أن تنقل مشيخة القبيلة إلى الشيخ جمعان بن راشد رقوش الزهراني شيخ قبيلة بني عامر وحرر وثيقة بذلك قال فيها :

وأعطيته قاعدة وعهداً وخُتمت الوثيقة بختم القنفعي ، وجمعان بن رقوش (٢٥) وطُلب من أمير مكة الموافقة على ذلك الاتفاق . وقد أجاب أمير مكة بالموافقة على ذلك في خطابه المؤرخ في العام نفسه . وافق فيه على اختيار الشيخ جمعان لمشيخة قبيلة زهران وقال في نهاية الموافقة : «وأمرناه بتقوى الله ، وألزمناه السمع والطاعة فيما يأمركم فيه من أوامرنا» (٢٦) وبعد هذا حرص شريف مكة والولاة الأتراك وأمراء عسير من آل عائض على التودد لشيخ مشائخ قبيلة زهران فالكل يريده طارفة له يمثله ويمتثل أوامره .

أ – عائض بن مرعي .

في غرة جمادى الأولى من عام ١٢٦١هـ كتب عائض ابن مرعي أمير عسير مشهداً أن لجمعان بن راشد بن رقوش ربع زكاة زهران الماشية والراسية . وفي عام ١٢٨١هـ أجاب عائض بن مرعي أنه استلم زكاة زهران . ثم عقدت معاهدة مهمة بحضور كافة زهران على يد أمير المسلمين عايض بن مرعي على الإسلام والأمر بالمعروف ، وإقامة الصلاة بالجمع والجماعات ، وأمان الأسبال ، وقطع الفتن ، وعين عليهم جمعان أمير كافة على جميع زهران حجازاً وتهامة ، وعاهدوه على السمع والطاعة ، وأن كلا مخصوص بجرمه ، وكل نفس بما كسبت رهينة ، وأن الأخ ما يؤخذ في أخيه (٢٧) ، كما أمره أمير عسير في عام ١٢٨٤هـ أن على زهران ٢,٥ من الزكاة ، وحثهم على الرفق بالرعية ، وإن احتجتم قليل أو كثير فلا قل ولا ذل لله الحمد . وفي عام ١٢٨٦هـ في ربيع الأول ذكر الأمير

محمد بن عايض أنه جرى استيفاء زكاة زهران الحب والطرش والبن واللوز . وفي عام ١٢٨٧هـ كتب الأمير محمد بن عايض للشيخ جمعان : أن الترك متوجهون لهم ، وأنهم طلبوا الصلح فرفضنا لأجل نرجو الله أنه ما أخرجهم إلا لمصارعهم .

ب - أمير مكة المكرمة

في الخامس من ربيع الأول من عام ١٢٦٢هـ كتب محمد بن عون ت ١٢٧٤هـ أمير مكة لبني يوسف : أنه قدّم عليهم جمعان شيخًا ، وأمره بترك أحكام الجاهلية ، وفي نهاية عام ١٢٦٦هـ كتب لكافة زهران بناءً على شكوى الشيخ جمعان بن رقوش من تعديهم عليه وقال : فأنتم مقروعون عنه (٢٨) وجماعته وإن كان عليهم دعوى لكم فالوجه الشرعي بينكم وبينه (٢٩) . وفي غرة ربيع الأول عام ١٢٦٧هـ شكى الشيخ جمعان بن رقوش ، قبيلة أكْلُب (٣٠) فيما أخذوه عليهم ، لهذا عمم عبدالله بن ناصر الشريف الأمير من قبل محمد بن عون أن من أخذ من المذكورين أي من أكلب فلا عليه اعتراض . وبعد أن نُصِّب عبدالمطلب بن غالب في إمارة مكة كتب نائبه منصور بن يحيى بن سرور إلى الأمير التابع له في عام ١٢٦٧هـ والمقيم في غامد وزهران الشريف أحمد بن سعيد بن سرور وأرسل معه إلى الشيخ جمعان بن رقوش كسوة كبود جوخ وشال كشمير وأمره أن يلبسه بحضور أقرانه وجماعته لأجل افتخاره ووعده خيرًا إذا استقام (٣١) . ولأهمية مقام الشيخ جمعان ومركزه القبلي كتب له قائمقام الشريف محمد بن عون في عام ١٢٧٢هـ أن الدولة جعلته أي محمد بن عون قائمقام ودخل مكة وأنه فتح الطائف ولزم الشريف عبدالمطلب ومنها يرسله لمواجهة حضرة سلطان الإسلام وبعد الحج يكون الالتفات لتأديب المفسدين (٣٢) .

وبالرغم من هذه المكانه العالية التي احتلها الشيخ جمعان بن راشد بن رقوش لدى أمراء مكة وهؤلاء الولاة على ولاء للأتراك ويمثلون وجهة نظرهم . لم يسلم جمعان من اعتقال الأتراك له ونفيه ومصادرة ماله وإحراق بيوتهم ففي عام ١٢٥٦هـ قبض عليه الترك وجمع كثير منهم عبدالعزيز بن أحمد الغامدي من أبرز مشائخ قبيلة غامد ومحسن بن جعال وراح بهم الباشا إلى بلاد مصر ثم ردهم الله يوم الجمعة في الخامس من شهر شوال (٣٣) . ثم تجددت المتاعب للشيخ جمعان عندما غادر رديف باشا القائد العام للقوات التركية متوجهًا للسلطان وخلف أحمد باشا ، وعثمان باشا ، هرب الشيخ جمعان بن رقوش عام ١٢٨٨هـ في السادس والعشرين من ربيع الأول فتبعه عثمان باشا وخرج إلى قبيلة بَلْخَزْمَر في شهر رجب للبحث عن جمعان بينما نزل الشيخ جمعان إلى تهامة ثم صعد إلى جبل شَدًا المنيع بعد أن عصا الأتراك وتمرد على ولايتهم فوجه عثمان له ولأهل شدا مصطفى خيري ومحمد بك بعسكر ورفعت بك جاء من الربوع ربوع قريش وتم لقاؤهم في شدا زهران في الخامس من شعبان وغلبهم خيري وملك شدا وصادر أموال جمعان التي وجدها تحت هضبة هناك بعد أن هرب جمعان بالليل قبل الصبح ومال جمعان هو ثلاثون قدرًا كبيرًا وصغيرًا وخمسة عشر زولية وأربعة جوادر وثمانية أباريق وعشرة صحون قيمة كل صحن هي خمسون ريالاً ولكل صحن أربعة حجول وست وسائد جوخ وشْمال بدويات وعشرة أفراق بارود وتمسيح رصاص (٣٤) .

وقد اطلعت على بعض أبيات باللهجة العامية تصور حادثة القبض على جمعان وأخذه عبر المنحدرات الجبلية إلى تهامة في طريقه إلى المنفى ومعه ناس من زهران وغامد وأخوه محمد ووجدت أن التسفير كان في عام ١٢٥٥هـ :

يوم الخميس الخامس الشهر ذا زال
لا عله الله من هوابل مطرها
والجمعه هي والسبت في الباحة منزال
وليلة الحد عرضونا غدرها
من العقبة نمشي بقوم وسلسال
والحاج غاه أوطابنا من حجرها
قَيَّل بنا في مطرح (٣٥) ألفين خيال
عندابن شرفا وحامي بسرها
ومع صلاة العصر والقوم تنجال
لَقُوا بنا ما نبصر إلا غفرها
ريَّع بنا في «يَبْس» ماحد لنا سال
إلا العساكر تحت فَيَّة شجرها

وفاته

توفي الشيخ جمعان بن راشد بن رقوش عام ١٣٠٦هـ عن ستة وثمانين عامًا ، وكان قد تولى رئاسة قبيلة بني عامر بعد وفاة أبيه راشد عام ١٢٥٥هـ ، أما رئاسته لكل قبيلة زهران فهو كما أشرت إليه سابقًا (٣٦)

أما ما ذكره مؤلف أخبار عسير من أن الشيخ جمعان قد قتل مع أمير عسير محمد بن عائض وأخيه سعد بن عائض في حصون رَيْدَه في منطقة عسير من قبل القائد التركي محمد رديف باشا وقواته داخل واحد من الحصون عندما تعارك آل عائض ومن معهم مع الأتراك بعد أن رفض محمد رديف رئيس القوات التركية الأمان الذي أعطاه أحمد مختار لأمير عسير محمد بن عائض مع أنه أي الفرمان من السلطان وانتهى العراك بوفاة محمد رديف باشا في ميناء الشُّقَيْق في تهامة عسير وقد أريد إرساله للعلاج في إستانبول بعد العراك الذي حصل في ريده وقتل من جرائه اثنا عشر رجلا من رؤساء القبائل . أقول خبر مقتل الشيخ جمعان هو خبر آحاد لا يتفق مع ما يعرفه آل رقوش أنفسهم فقد حصلت على بيان يوضح وفاة الشيخ جمعان وغيره من رؤساء آل رقوش – من شيخ قبيلة بني عامر الشيخ عبدالله بن عبدالمجيد بن راشد بن جمعان بن راشد بن رقوش مناولة ابنه الأستاذ مساعد وقد ورد مثل ذلك في كتاب المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (٣٧) .

ومعلوم أن مقتل الأمير محمد بن عايض كان في عام ١٢٨٩هـ (٣٨) .

كان الشيخ جمعان عريض المنكبين جهوري الصوت ، طويلاً أسود صاحب شخصية قوية يميل إلى الثقافة التركية اتهمه البعض بالتمصر خاصة بعد عودته من المنفى من مصر يدل على ذلك الزخارف التي كانت في بيته الذي أحرقه الترك . من قضاته عزيز القاضي .

2 - الشيخ راشد بن جمعان بن رقوش

هو الشيخ راشد بن جمعان بن راشد بن جمعان بن راشد بن سُعَيِّد (رقوش) بن بَخَّات الزهراني تولى رئاسة قبيلة زهران بعد وفاة والده الشيخ جمعان – رحمه الله – تولى المشيخة – شيخ الشمل العام – في ظروف سياسية واجتماعية مضطربة فهناك الإدارة التركية ، وشريف مكة ، والإدريسي ، وأمير عسير ، والدولة السعودية الثالثة . في بداية مراحل تكوينها وكل تلك القوى تود أن تضم إلى سلطتها قبيلة زهران ، وقد ثبت الشيخ راشد أمام كل الصعوبات وقاد القبيلة وسط عواصف وأعاصير ، وتنقل بها ومعها من يمٍّ إلى آخر ومن ضفة إلى أخرى ، وتمكن أخيراً من الرسو على شاطئ الأمان . ومن قراءة الرسائل الخطية الكثيرة التي أرسلت للشيخ راشد وتحليلها يتبين مدى الحرص الذي أبدته القيادات من أجل تقوية الروابط مع قبيلة زهران واستمالتها ويمكن أن أشير إلى شيء من ذلك .

أ – من رسائل الأتراك

بعد وفاة الشيخ جمعان أرسل الفريق متصرف وقومانداني لواء عسير في ١٣٠٦/٢/٣٠هـ إلى الشيخ راشد بن جمعان بن رقوش تعزية في وفاة والده وأنهم عينوه بموجب (بيور) بأن يكون شيخاً لمشائخ ناحية زهران بناءً على اقتداره وكياسته وقد صدَّق على ذلك أميرالاي عزتلو محمد عارف بك ، وفي الوقت نفسه أرسل تعميماً في ١٣٠٦/٢/٣٠هـ إلى مشائخ وعقال قبائل ناحية زهران بتعيين راشد أفندي وألزمهم الامتثال والاجتهاد في تسليم الزكاة الشرعية وحفظ بلادهم من التعديات ، وأوصى راشداً بالتقوى (٣٩) . كما أرسل له رسالة رقيقة أخرى في ٢٥ جمادى الأولى عام ١٣٠٦هـ أنهم استنسبوه عوضاً عن والده في ناحية زهران ، وحثه على عدم التعدي على الأهالي رعية الدولة ، وأن عليهم توريد أموال الزكاة لصندوق القضاء . وبعد سنة من توليه المشيخة وصله خطاب شكر من متصرفية عسير على غيرته في مسألة تحصيل الأموال وكرمه وقت القحط الذي حل بالبلاد .

ولما ثبتت براءته فيما اتهم به من مواد – وهذا الاتهام لم أجد له تفصيلاً في أي مصدر – بعث متصرف عسير تعميماً لكافة مشائخ ناحية زهران في ٢١ ربيع الأول عام ١٣٠٧هـ أن الشيخ راشد صار طلبه لهذا الطرف لرؤية المواد المتهم بها من طرف الشيخ عوضه (٤٠) ولدى إمعان النظر وإجراء التحقيقات اللازمة وجد ألا أصل لها جميعاً ، وتحققت براءته ، وصار إرجاعه حكم عادته فيلزم أيها المشائخ والعقال تتفقون مع الشيخ وتكونون يداً واحدة في مادة التحصيلات إلى صندوق القضاء وتتشبثون في الأسباب الموجبة للانضباط وتأمين الطرقات ، وأرض العموم وأعلافهم .

ويبدو أن أمراً جد جعل الإدارة التركية تفصل الشيخ راشداً من مشيخته كما أفصحت عن ذلك رسالة من الشيخ نفسه في ١٣ جمادى الآخرة عام ١٣١٦هـ وخلال تلك الفترة حرص على جلب ود الحاكم التركي في رسالة بدأها بـ «سعادتلو أفندم حضرتلري» قال فيها : إنه

بحسن ما أمرتم به محسوبكم بقرار المجلس أني أمشي برفق ميرالاي حسن شكري بيك على قبيلة بني عامر وقد علمتهم أنني رجل منفصل وقد جئت إلى مركز القضاء لأجل التبعد عن التهم والشبهات وقطع التزاوير من ذوي الأغراض الفاسدة فإن ترون الصلاح في جلوسي في محلي أو في الحكومة لا باس ، وإن أردتم أمشي على القبيلة فلا يسعنا إلا السمع والطاعة ، وأحوال ناحية زهران ما خفيت عليكم (٤١) . وقد أجيب على الرسالة بأن بقاءك في مركز الحكومة أولى لدفع التهمة عنك ، وأما بني عامر ترسل لأكابرهم المواجهة مع الميرالاي والعساكر الشاهانة وبيان ما عليهم من الطلبة وتجعل وكيلاً من طرفك لأنهم قبيلك الخاصة لتوريد ما عندهم كسائر قبائل زهران .

وفي ٢٢ شوال عام ١٣١٧هـ أصدر متصرف عسير تعميماً لعقال وأعيان وأهالي ناحية زهران كافة أن الشيخ راشداً أعيد شيخاً كما كان في السابق فيلزمكم الطاعة . ولما جرى التعرض لجنود الأتراك وجرى سلب ما معهم من سلاح ومال كتبوا له في عام ١٣١٨هـ أنه عند نزول سعادتلو من عقبة الظفير (٤٢) صار التعرض عليه . والأفراد والشهانه من بعض الأشرار وصار المفقود عليهم قريب مائتي بندق وقدرا من الجبخانة وحمل جمل ثلاثة آلاف ريال ، وصندوق الطابور في داخله ثلاثمائة جنيه إلى جانب أوراق ودفاتر فيلزم البحث واستردادها وإرسالها إلى قائمقام قضاء القنفذة مع تسليم المتسببين . ويبدو أن الشيخ راشداً قد رد على الخطاب السالف المرسل إليه في ١٣ شعبان (٤٣) لذا رد عليه متصرف عسير في ١٤ شعبان ١٣١٩هـ يأمل منه حسن الخدمة . وأن عليه نصح الأهالي بإطاعة خليفة رسول الله ، ويحذر أرباب الفتنة والفساد وأي عرق فاسد يقطع ، وأما أنت فإن شئت ادخل علينا من الآمنين واخرج في وجهنا من السالمين .

ولما أجابه الشيخ راشد على خطابه أنه مشغول بإجراء النصائح للقبائل في مركز القضاء رد عليه متصرف عسير ومن وكيل قوماندان لواء وكيل أركان حرب أن هذا أوجب الممنونية ، كما أخبره وكافة مشائخ وعقال ناحية زهران أنه تقرر سوق العساكر الشهانية لطرفكم يلزم تجتهدون في جمع ما عليكم من الأموال الأميرية وسلموها للشيخ راشد قبل وصول الأفراد الملوكانية ، واعلموا أن من سلّم سلِم ، وفي التاريخ نفسه ٥ رجب ١٣٢١هـ كتب متصرف لواء عسير للشيخ راشد : بناءً لخدمتك الدولة العلية صرنا منك ممنونين ، ومع ذلك وجودك في الحكومة جلبت أيضاً الممنونية ، وتحسباً من نتائج هذه القوات كتب الشيخ راشد لمتصرف عسير يطلب أماناً ألا يجعله سعادة الفريق من الأشقياء فأجابه في ١٤ شعبان ١٣٢١هـ أننا أفهمناه بحقيقة صداقتكم ، والفريق المومى إليه لا بد من وصوله إلى غامد وزهران ومعه ثلاثة آلاف جلبت من الشام واليمن .

ويبدو أن الأتراك يسوقون هذه الحملات للبلدان عندما يلاحظ تحول الأهالي عن الأتراك وامتناعهم من تسليم الزكاة لهم . وهذه الحملات أدعى إلى المسارعة في تسليم الزكاة وربما يرفض الأهالي الاستجابة لطلب القوات التركية لأن دفع الزكاة لأي طرف يعني الاعتراف بالسيادة والتبعية له . و من أبرز ذلك الخطاب الذي بعثه الشيخ راشد في ١٦ رجب ١٣٢١هـ إلى من دعاه «ولي النعم أفندم» والذي ضمنه بعض المعلومات المهمة .

ب - من رسائل أمراء مكة

يمثل أمير مكة المكرمة وشريفها في الغالب في بلاد زهران وجهة نظر الأتراك ، ولذلك فالزكاة تسلم لمتصرف عسير أو أمير مكة دون اعتراض منهما على الجانب الآخر ، لأن دفع الزكاة إلى جانب أنه يحقق عائداً مالياً فإنه ينم عن الولاء للدولة العثمانية . ففي السابع من المحرم من عام ١٢٨٢هـ كتب الشريف عبدالله بن عون (٤٤) للشيخ راشد أن الزكاة لا يحصل فيها خلل وهذا أخونا الحسين (٤٥) باشا متوجه من الشرق ونحن من تهامة وإن استقمت فأنت مقدم زهران على ما أنت عليه . ومما يدل على التنسيق بين الإدارة في عسير وبين شريف مكة وأنها إدارة تركية واحدة أن عون الرفيق (٤٦) كتب للشيخ راشد في يوم الأحد الخامس من شعبان عام ١٣٢١هـ يذكر أنهم مستقيمون في خدمة الدولة العلية ويطلب من الشيخ راشد الاجتهاد في أداء جميع ما أخذوه زهران من أسلحة وذخائر على العسكر الشاهانية ومهمات وخلاف ذلك . وإذا حصل ذلك نكتب لأمير المؤمنين ونستحصل لهم على العفو وإلا فالعاقبة وخيمة وعاجلة .

وقد أجابه الشيخ راشد في ١٥/١٠/١٣٢١هـ بخطاب مماثل للخطاب الذي بعث به لمن دعاه «ولي النعم أفندم» في ١٦ رجب ١٣٢١هـ قال فيه : إلى ولي النعم

وسيد الجميع عون بن محمد باشه – حفظه الله – وصل كتابكم وفهمناه ، تذكرون أنا نرد المنهويات الذي دارت مع الدولة ، وفيما صار على العسكر بقضاء وقدر من الله . تعلم يا طويل العمر – أن جاءنا عسكر ودخلوا بلاد زهران وحطوا في ثلاث قرايا من زهران وصار بين العسكر وزهران قتال من الصبح إلى وقت العصر ، ولابد ما غدا مع زهران والعسكر ، ثم رجعوا قرية «بني سار» والعسكر بأجمعهم ولا غدا عليهم من المأخوذات شيء ثم أصبحوا صبح اليوم الثالث ورجعوا ثم دخلوا بلاد غامد وقطعوا دور زهران وبلادهم الذي هي بَلْعَلا [٤٧] ، والحَبَشي ، والرُهوة ، والجَادية ، دخلوا الأربع القرايا ويوم أن دخلوا القرية الخامسة رغدان صار على العسكر ما صار واجتمع بها غامدي وزهراني وبدوي وغير ذلك وهمت زهران بالقتال والعسكر وصلوا البيوت وألقوا سلاحهم وأكثر مثقلاتهم ولا صار عند زهران إلا شيء يسير هذا الذي دخلوا على رغدان [٤٨] ، أما العسكر الذي مع علي حيدر ، وابن عبشان وعلي رضا فدخلوا الباحة [٤٩] والظفير بمدفعهم وسلاحهم ولالنا منهم خير .

هذا ماصار في الوقعة ، وما صار عند زهران صار عند جهال وفقراء فروا به وليس لنا فيهم اقتدار ، ولو أن معنا طمع في حق الدولة كنا أخذناهم يوم هم في قرايانا لكن جهال غامد صاحوا في جهال زهران – العائل مطلوب وهذا ما عندنا والسلام . وقد أحسن الشيخ راشد التخلص من المسئولية والدفاع عن نفسه وجماعته [٥٠] .

وفي ٣ المحرم عام ١٣٣٢هـ أرسل أمير مكة عون الرفيق [٥١] تعميمًا لمن يراه من زهران حجز وتهائم بتعيين الشيخ راشد شيخ عليهم مثلما كان من أسلافنا يلزمكم السمع والطاعة لما يأمر به من أوامر دولتنا العلية في أداء الزكاة وحذرهم من المخالفة .

وفي ٢٥ شوال عام ١٣٣٣هـ كتب له أمير مكة الحسين بن علي [٥٢] أنهم في ضائقة وتعب من عدم ورود الحجاج وعندهم كسل عام ونقص في وارد البحر إلى جانب ما سببه طول مكث الجراد في البلاد [٥٣] ، وأخبره أنه موجه ابنه عبدالله بن الحسين [٥٤] إلى نجد لإخماد ما بقي من آثار الفتنة والبدعة التي أحدثها الملحدة [٥٥] بين قبائلهم في الدين وذكر أن أمرها ضعيف ، ولكن القصد مبادرة إزالتها فلا يشوشون عليك فاكثر رؤساء قبائل نجد قدموا علينا والباقون على إثرهم . وتأكد وجود الضائقة الاقتصادية في الرسالة الثانية التي أرسلها الحسين بن علي للشيخ راشد في ١٥ رجب ١٣٣٤هـ وبعد قدر المولى انقطاع الوارد على مكة وسد البحر ولدفع ضرورة جيران بيت الله فالمطلوب إرسال ما يزيد عند قبائلك من الحبوب في الطائف ومكة [٥٦] . وفي الثامن من رمضان من عام ١٣٤٠هـ أخبر الحسين بن علي أمير مكة أن الشيخ راشد ابن رقوش والشيخ عَصِيدان بن محمد شيخ قبيلة بني حسن من زهران قد وفدا على الأمير خالد بن لؤي القائد السعودي أمير الخرمة [٥٧] ولا بد أنه تألم من هذا التبدل لأن سلطة أمير مكة سوف تنقشع عن الإقليم . لذا أرسل للشيخ راشد رسالة في ٢١ شوال عام ١٣٤٠هـ مع شيخ قبيلة بني ظبيان من غامد الشيخ عبدالعزيز بن صقر مَنَّاه وغامد وزهران بالرفعة والشرف والناموس إن ثبتوا على الولاء وإن تعذرتم فلا تلحقنا ملامة [٥٨] .

[illegible]

هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن إدريس مؤسس إمارة الأدارسة فقيه من متصوفة المغرب جاور جده أحمد بمكة فالتف حوله مريدون وتلقوا طريقته الأحمدية على نمط الشاذلية فنزل لصبيا في منطقة جازان في جنوب المملكة العربية السعودية . درس محمد ست سنوات في الأزهر ثم عاد لصبيا وتولى طريقة أبيه وإمارته ولقب نفسه بالمهدي المنتظر وأسس الإمارة ، أمده الإيطاليون بالذخيرة زمن حربهم مع الأتراك سنة ١٣٢٩هـ وامتدت سلطته إلى عسير واتفق مع الإنجليز وقد وجد نفسه أخيرًا بين الحسين بن علي في الشمال في مكة والإمام يحيى حميد الدين في الجنوب في اليمن كل يرى أن البلاد له فلجأ إلى سلطان نجد عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود وتعاقد معه فأصبح منيع الجانب ت ١٣٤١هـ [٥٩] ، لقد سعى الإدريسي إلى توسيع البلاد الخاضعة لسلطانه في تهامة والسراة وكانت بلاد غامد وزهران من بين تلك البلدان والقبائل التي رأى في ضمها إلى ولايته أهمية ، لذا وجه رسالة في ذي القعدة عام ١٣٢٧هـ للشيخ عبدالعزيز بن محمد المنصوري ، والسيد عبدالرزاق النهاري ، والشيخ عبدالعزيز بن محمد الغامدي وهم من أبرز الناس في المنطقة أمرهم فيها يطوفون البلاد لبث الرشاد وقال لهم : استصحبوا الشيخ راشد والشيخ

محمد علي وكذلك الشيخ عصيدان بن محمد وهم من مشائخ القبائل وخذوا بخاطره والمقصود هنا الشيخ عصيدان وهو شيخ بني حسن ، وابذلوا الجهد في اتفاقه مع الشيخ راشد ويصيرون أعوانًا على الحق ... وفي الهامش أضاف : والشيخ راشد توجه من عندنا شيخًا على باقي زهران ومن قد دخل في حزب الشيخ عصيدان فاليه .

ثم راسل الإدريسي الشيخ راشد بن رقوش في عام ١٣٢٨هـ وسماه شيخ مشائخ زهران يخبره بوصول مشائخ غامد إليه ويطلب من راشد الوصول إلى السيد مصطفى عبدالمتعال الإدريسي ابن عم الإدريسي ت ١٣٤٩هـ لتجديد العهد حتى يؤيد راشد في مشيخة عموم زهران ، وأن بينه وبين قبائل زهران مكاتبة وسوف يحضرون وإن سبقوك إلينا فحجتك على نفسك خصوصًا مع خروج الجيوش . وفي ٢٨ ربيع آخر عام ١٣٢٩هـ كتب لمشائخ ونواب زهران وللشيخ راشد يقلل فيه من قوة أمير مكة والأتراك ، يقول : فاعلموا أنما هم عليه الآن إرهابات بالقول وبعض الحركات في البحر ، فلربما يهولون عندكم بأمير مكة وجنوده ، فليس جنوده بعزيز ولا من كرام الناس بل هم أخلاط ، ولربما يهولون بثلاثة طوابير في القنفذة والطابور ثلاثمائة ليظهر لكم قوة من العرب ، ومن الترك والكل لا شيء .

ولما قاد الحسين بن علي بن محمد بن عبدالمعين الجيوش لفك حصار الإدريسي لأبها سنة تسع وعشرين وثلاثمائة من الهجرة أي بعد شهر من الخطاب السابق في يوم الخميس ١٣٢٩/٣/١٢هـ حضر الشيخ راشد بن رقوش إلى مقر قيادة الشريف في أم الجرم شرق مرفأ القنفذة في وادي قنونا وأعلن الولاء . قال عنه مؤلف الرحلة اليمانية شرف بن عبدالمحسن البركاتي والشيخ راشد هو شيخ كافة قبائل زهران الذين يزيد عددهم عن مائة وخمسين ألف مقاتل ، وأظهر الطاعة له والموالاة لأداء الزكاة الشرعية فقبل الأمير قولهم وأعد له محلًا لنزوله وآخر لخدمه وقدمت لهم الضيافة ، وأنعم نعم عليه الأمير بالكساوي الفاخرة وهذا الشيخ من ضمن من تقابل مع الإدريسي بصبيا وبايعوه هناك (٦٠) .

لم يطمئن الإدريسي إلى كمال ولاء الشيخ راشد بن رقوش لذا أرسل خطابًا في ١٥ صفر عام ١٣٢٨هـ للشيخ عبدالعزيز بن محمد المنصوري قال فيه : أما من شأن النيابة فهي لكم أيها الثلاثة والشيخ راشد جاءني منه كتاب عرفت منه أنه تعلا عن الجهاد (٦١) ، ويتوجه لكم السيد مصطفى عبدالمتعال الإدريسي بجنوده لإصلاح الخلل وعرفناه يُعَرِّف كل شيخ قبيلة على حده لأجل عند الداعي لا يتكل على راشد ولا على غيره ويجامل راشد بحسب الظاهر ويعطى المنصب بحسب الظاهر ويكون هذا مكتوم بيدك ، أما عصيدان فتحقق نصحه .

د – من رسائل محمد بن عائض أمير عسير

يلاحظ الدارس قلة الرسائل المرسلة من محمد بن عائض أمير عسير في ذلك الوقت إلى الشيخ راشد بن رقوش إذ لم تكن في حجم الرسائل المرسلة من والده عائض بن مرعي لوالد الشيخ راشد مع أن هناك علاقات أسرية متينة بين الأسرتين إذ إن الشيخ راشد قد تزوج «نُفْلا» بنت الأمير محمد بن عائض ولا أجد سببًا لذلك سوى ضياعها . ومع ذلك هناك رسالة مؤرخة في عام ١٢٥٣هـ من عائض بن مرعي أنه قرر للشيخ راشد ربع زكاة زهران . وخطاب آخر في غرة جمادى الأولى عام ١٢٦١هـ .

وفي كتاب أخبار عسير . أن راشد بن رقوش شيخ قبائل زهران كان من أعضاء المجلس الاستشاري في عسير الذي يتكون من العلماء وشيوخ القبائل ، ووجهاء البلاد ، ويضم ما يقرب من ثمانية وعشرين عضوًا درسوا المعاهدة التي أبرمت بين عسير وشريف مكة وقرروا بالإجماع استقلال بلادهم برئاسة حسن بن علي بن محمد ابن عايض (٦٢) .

هـ – من رسائل الملك عبدالعزيز وولاته

١ – الشيخ راشد بن جمعان بن رقوش

لقد انضم الشيخ راشد بن جمعان بن رقوش إلى السعوديين في عام ١٣٣٨هـ كما تدل على ذلك رسالة من خالد بن منصور بن لؤي القائد السعودي أمير الخُرمة وجهها في ١١ ذي الحجة إلى كافة بني عامر . ثم توالت بعد ذلك الرسائل من الملك عبدالعزيز – رحمه الله – ومن ولاته على البلدان مثل الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم ، والأمير محمد بن عبدالعزيز بن الشيخ من أمرائه على الطائف ، ومن الأمير فيصل – يرحمهم الله – ويبدو أن أول مرة يفد فيه إلى الملك عبدالعزيز كان في عام ١٣٤٠هـ كما يتضح ذلك من رسالة الملك إلى كافة زهران التي قال

فيها : ألقى علينا أميركم ابن رقوش ، وعَرَّفنا حسن سيرتكم ، وتعرفون أن الجماعة الذي يجعل الله فيهم مثل هذا الأمير يصلح جماعته ، عليكم ملازمة السمع والطاعة، وعدم المخالفة له ، ومرجع الجميع نحن وهو إلى الشرع (٦٣)

وقبل ذلك في عام ١٣٣٨هـ تلقى راشد بن رقوش رسالة مطولة من الملك عبدالعزيز يوضح له فيها ظهور عيال الشريف (المقصود أبناء الحسين بن علي) وأن قصدهم الإفساد في الأرض والمشقه بين الناس ، وليس لهم مطلب يدورونه ... ولم نتركه في محله إلا بموجب أمرين : الأول مكة حرمها الله ونبرأ إلى الله أن نسعى في أمر محرم ، أما الطائف فهو دخل على الإنكليز وكفلوه ما يتعدى الطائف فإن تعدا بشبر استعنا الله عليه ... وكتبنا لكم تحذيراً لكم من شبهة تصير عليكم تضربكم ، ونريد الطيب يتميز من الخبيث ، وعليكم مراجعة خالد بن لؤي في منازلهم وما دبرهم عليه نزلوه . وأكد أن الشريف لن يجري عليه شيء إلا إن بدر منه شيء .

وفي عام ١٣٤٣هـ أرسل الملك إلى من يراه تعميماً أن راشد بن جمعان هو أمير قبائله على ما كان عليه سابقًا وليس له معارض (٦٤) وفي التاسع عشر من جمادى الثانية من عام ١٣٤٣هـ أرسل له الملك عبدالعزيز رسالة أنه عين عبدالعزيز بن إبراهيم أميرا لجماتهم وأن عليهم امتثال أوامره ودفع الزكاة له . ثم عمده في رسالة مؤرخة في ٢٠ شوال عام ١٣٤٣هـ أن يمشي مع مندوب الملك لجمع الجهاد المقرر على قبيلته ، وأن القوات محاصرة جدة والحاجة تدعو إلى جمع المزيد من المال لمتابعة الحصار ثم أكد عليه إرسال باقي مساهمة القبيلة في الجهاد .

وفي ٢١ المحرم ١٣٤٤هـ وصله أمر حازم من الملك أن يرد بنو سُلَيم (٦٥) الإبل التي أخذوها على قبائل (اللَّيث) (٦٦) ولا يبقى منها ولا وَبَره . وفي أمر حاسم آخر ورد للشيخ راشد وكبار زهران من الملك عام ١٣٤٥هـ أن فاسد بني حَرْب وبني عفيف من قبيلة بني مالك من بجيلة في السراة وفي تهامة جنوبي الطائف قد اعتدوا على عقاب الفعر وهو من موظفي إمارة الطائف ولم يدركوا سوء فعلهم ، ولم ينقادوا للطاعة لذا فقد أصدر عبدالعزيز أمراً على المسلمين وسكان الهجر للنفير وقد أقبلوا ، وأقبل كذلك خالد بن لؤي وأهل الخرمة ، وتربة ، وبيشة ، ورنية وقبيلة قحطان ، وهجر نجد ، وعبدالله أبو يابس ، وفوزان ، وعلي ابن الحسين وأهل المحاني وقبائلهم ليكون طريقهم على الطائف ، وأمر الشيخ راشد بالتوجه حالاً ولا يتأخر منهم صغير ولا كبير ومن يتأخر يعاقب . وتلقى الشيخ راشد إشعاراً من الملك مؤرخا في ١٣٤٦/٢/١٧هـ بتعيينه لمحمد ابن نجيفان في وكالة إمارة الطائف فعليهم امتثال أوامره.

ومن الرسائل المهمة رسالة بعثها عبدالعزيز في ١٣٤٦/٢/١٨هـ إلى الشيخ راشد وكافة جماعته أوجز فيها أهداف حكومته قال فيها : أولاً - تعلم أمر الدين ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر . وثانياً تأمين الرعية في بلدانهم على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ثم انتقل إلى ما لاحظه بعد مضي عام من تعيينه الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم وهو من قبيلة الفضول من بني لام من قبيلة طيئ - في إمارة الطائف وقبيلة زهران تابعة للطائف في ذلك الوقت من الناحية الإدارية أقول لاحظ بعض التغير وعدم قبول الدعوة وهذا يوجب التأديب لمن خالف وغير شيئاً من ولاية المسلمين .

وحينما تمرد عبدالله بن فاضل وهو شيخ من قبيلة بني مالك من بجيلة في الجنوب الشرقي لمدينة الطائف كتب عبدالعزيز - يرحمه الله - للشيخ راشد أن ابن فاضل مستمر في مخالفته للسلطة ، وأوضح الإمام أن البيارق التي في الطائف متوجهة للقضاء على التمرد ، فخالد بن لؤي ، والحُرَث من أشراف المضيق بمكة وبعض البيارق التي في مكة المكرمة ، وأخبر أهل الليث ومن حولهم يمشون وينزلون منزلهم العام واستخف بحركة ابن فاضل وقال : وحركة ابن فاضل سوف تقضي عليه ، وأمر بتحرك قبيلة زهران ويتقدمهم مساعد بن راشد بن رقوش، وعبدالمجيد بن راشد بن رقوش والموعد الحَجَرة وهي بلدة في تهامة زهران ، بينما ابن شعيل وجميع غامد متوجهون للغرض نفسه .

وفي ١٣٤٧/٣/٢هـ وجه الإمام عبدالعزيز رسالة إلى كافة قبيلة زهران بقدوم أميرهم راشد بن جمعان بن رقوش لتجديد الولاء (٦٧) ، وربما هذه هي الزيارة الثانية لابن رقوش التي يقابل فيها الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - حيث إن الزيارة الأولى كانت في عام ١٣٤٠هـ كما أشرت إلى ذلك من قبل ، وعرف منه حسن سيره في قبيلته زهران - وقد أثنى الملك على ابن رقوش بأن وجود مثله في قومه يصلح جماعته ، ويرفق بهم ، ويزين مدخلهم في

حكومتهم ، و ألزمهم طاعة شيخهم ، ومرجعهم وشيخهم إليه وإلى الشرع الشريف .

وحينما تصاعد الشقاق والخلاف بين قبيلة زهران بعضهم مع بعض ورفعوا بذلك إلى الإمام عبدالعزيز ، وشكى الرفيق فساد رفيقه ، ورمى شينه على صاحبه ، وبعضهم يدعي أن أمير الطائف لم يقم بواجبه تجاه إيقاف الخلافات ، أقول هذا الأمر دعا الملك عبدالعزيز إلى إدخال تعديل رئيسي في ارتباط أفخاذ القبيلة بعضها ببعض لكبر القبيلة من جهة ومساحتها الشاسعة مما سبب الكثير من المتاعب للأفراد حتى يوقف الخلاف من جهة ويوفر الراحة للناس من جهة أخرى . لذا أمر أن يكون كل أمير على بطن مخصوص في الحجاز أما من يقطن تهامة فقد وزعهم وربطهم بإمارة القنفذة والليث ولا يتدخل شيخ الفرع في الحجاز في جباية زكاتهم ، ولكن إذا حصل جهاد فكل بطن يتبع بطنه من أهل الحجاز وتهامة ، أما من ناحية دعوى بعضهم على بعض فهذا مرده لنائبه في الحجاز فيصل بن عبدالعزيز - يرحمه الله - ومسألة جباية الزكاة فالعمل على ما يتفقون هم والمالية ويوافق عليه الأمير فيصل وحذرهم من الخلاف والمخالفة فإن العتب على قدر الجريمة ، وأن هذا الأمر نافي لما قبله .

٢ - ابن لؤي :

هو خالد بن منصور بن لؤي قائد سعودي من أسرة الأشراف أمير الخرمة شرق مدينة الطائف بـ ١٥٠كيلا وآل لؤي من المؤيدين للدولة السعودية السابقة ، وقد أبلى هذا الأمير بلاءً حسنًا في معركة تُرَبَه وما جاء بعدها من أحداث في المنطقة الغربية من شبه الجزيرة العربية خلال بناء الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - للدولة السعودية الحاضرة . وقد عمده الامام عبدالعزيز لنشر دعوة التوحيد وهي الفلسفة التي قامت عليها الدولة السعودية . فيمن حوله من القبائل . وإدخالها في الطاعة . ولعل أول اتصال بين السعوديين وبين الشيخ راشد بن رقوش كان من طريق ابن لؤي حيث بعث له ابن لؤي رسالة في ١٣ شوال عام ١٣٣٨هـ جواب رسالة سابقة من ابن رقوش ذكر فيها ابن لؤي : أن من جاء إلى الإسلام لا يرد ، وأكد له بأخذ الحجاز كله ، ومن أبى فنسأل الله أن يعين عليه ، ونحن قادرون على الوصول إليه بحول الله وقوته . وعاتب الشيخ راشد أن يكون في صف من أبى وساطة الدول الأجنبية على الصلح ، ذاك الذي جر المدافع (٦٨) والمكائن على ديار الموحدين وعوائلهم ، ولكنه سوف يلقى جزاءه ، وإن رغبت القدوم إلينا فأنت آمن (٦٩) .

وقد استجاب الشيخ راشد لهذا النداء فوفد طائعًا إلى ابن لؤي فكتب ابن لؤي منشورًا عامًا إلى بني عامر قبيلة ابن رقوش في ١١ ذي الحجة عام ١٣٣٨هـ ذكر فيه وفادة شيخهم وانضمامه ومن حضر معه ، وتَمَّ أمرهم بنشر كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والعمل بهما ، ومن عمل بهما فهو الرفيق ، ويصدد الزكاة وشروط جمعها فلا بد من إرسال موفد والحذر من المخالفة (٧٠) . وبعد عودة الشيخ راشد لبلاده باشر نشر من ينادي في الأسواق بدين الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرحب بذلك ابن لؤي في رسالة بعثها للشيخ راشد في ١٨ المحرم ١٣٣٩هـ قال فيها : إن هذا حسب الظن فيك ثم أخبره أن الإمام عبدالعزيز كتب لابن غنام ، وابن محي (٧١) وهما من رؤساء أفخاذ في قبيلة البقوم من الأزد كتب لهما للزجر عن التعرض لأهل الحجاز وغيرهم .

وتوالت رسائل الشيخ راشد لأمير الخرمة وقد أجاب ابن لؤي - يرحمه الله - على واحدة منها في ٥ صفر ١٣٣٩هـ أن الخط الشريف وصل ، وعَرَّفْنا إمام المسلمين بما عَرَّفتنا ، وأنا أحرص منكم على هذا الأمر وكلما تهرجسون به يتم بحول الله وقدرته .

وبما أن الغزو والجهاد هو المحك الحقيقي لمعرفة صدق الولاء لدولة التوحيد فقد بعث ابن لؤي رسالة للشيخ راشد بن رقوش في ١٨ ربيع أول عام ١٣٣٩هـ قال فيها : علمنا أن بعض الهجر من نجد سوف تغزو وتمر بنا وبكم ، وأنت خَبِّر زهران يكونون على استعداد ، وموعد التحرك يصلكم بواسطة مندوب ، ومتى وصلتنا أخبار نجد فسوف نرسل لك ...

ولما كثرت الشائعات في الحجاز بالرفع والتطمين بعث رسالة للشيخ راشد في عام ١٣٣٩هـ أن الناس بتدبير خالقهم ، وكل بحظه ، ومن أحسن الظن بالإسلام وأهله يكون على أهبة للاشتراك في الغزو ويعمل بما فرض الله عليه ، وفي ختام الرسالة أشار إلى موضوع آخر هو : أنه علم أن قريشًا (٧٢) يعتدون على الطريق ولا نعلم من هو أميرهم وبمقصدهم من حركتهم وطلب منه التحقق من الأمر وإيضاح ما ظهر له ، كما أبدى أن خروجه للغزو

سيكون من منتصف الشهر إلى نهايته .

وبعد فشل مؤتمر الكويت الذي عقد لتسوية الخلافات بين نجد والعراق والأردن والحجاز وعاد السلطان عبدالعزيز دعا علماء نجد وأرسل فدعا رؤساء العشائر إلى الرياض إلى اجتماع (٧٣) عام في ذي الحجة من عام ١٣٤٣هـ وكان من ضمن من شهد ذلك المؤتمر الأمير خالد ابن لؤي يدل على ذلك رسالته المؤرخة في ١٨ المحرم ١٣٤٣هـ التي بعث بها إلى ابن رقوش قال فيها : حَذْرنا (٧٤) نزاور المسلمين ونسلم على الإخوان ... والمسلمون تشاوروا والإخوان وعزموا على حرب ها العَوْد (٧٥) وجنوده .

وفي بداية ربيع الأول عام ١٣٤٣هـ كتب الأمير خالد ابن لؤي للشيخ راشد وقد علم سفره إلى تهامة ذكر له فيها أنه عين عبدالله بن حمزة الشريف أميرًا في القنفذة والليث وتوابعهن وأكد على اهتمام الشيخ راشد ألا يتعرض أحد لمن بايعوا ، ودخلوا في ذمة المسلمين في تهامة .

٣ – فيصل بن عبدالعزيز

لقد تطورت الأحداث في عسير فإذا حسن بن محمد ابن عايض أمير عسير وهو من قبيلة بني مُغَيْد يخرج عن طاعة أمير أبها في ذلك الوقت فهد بن عبدالكريم العقيلي (٧٦) المعين من قبل الملك عبدالعزيز فأرسل إليه الملك جيشًا بقيادة الأمير فيصل بن عبدالعزيز (الملك فيصل) في عام ١٣٤١هـ وقبيل أن ينهض من مدينة بيشه (٧٧) متوجهًا إلى أبها عاصمة الإقليم كتب الأمير فيصل – يرحمه الله – رسالة إلى الشيخ راشد في ٢٣ المحرم ١٣٤١هـ قال فيها : أنت محسوب علينا ، وطارفة في مكانك ، وفيك إن شاء الله السداد والبركة ، وأنت الله الله في التحرص والثبات والتحفظ (٧٨) . وخلال تمرد عبدالله بن فاضل من قبيلة بني مالك من بجيله كان الإمام عبدالعزيز قد عمد الشيخ راشد في ١٣٤٧/٣/٢هـ بتحرك قبيلة زهران إلى تهامة والموعد الحَجَرَه (٧٩) ، جاء إلى الشيخ راشد رسالة من فيصل في ٢٥ ربيع الأول ١٣٤٧هـ بأن عليهم المسير مع الطارفة على تهامة وكافة زهران والاهتمام بذلك لأن المسلمين قد تحركوا .

وبعد هذا الغزو بعام أي في عام ١٣٤٨هـ كتب فيصل ابن عبدالعزيز للشيخ راشد في ١٨ ن ١٣٤٨هـ أن الجهاد واجب على كل مسلم وأن أهل نجد قائمون بإخراج جهادهم كل عام ، ولما قامت به زهران من جهاد ابن فاضل في العام الماضي جرى الإغضاء عنهم ، أما هذا العام فقد عمد أميرهم محمد بن الشيخ الصحابي بتنظيم جهادهم كالمعتاد . وفي عام ١٣٥٠هـ كتب فيصل للشيخ راشد بن رقوش وكافة زهران أن جهادهم قليل بالنسبة للقبائل مع أنهم من أفضل القبائل وأكثرهم عددًا وأقواهم وتدعو الحاجة إلى مساواتهم بغيرهم ، ولذا تقرر زيادة جهادهم مائة مَطِيَّة حتى يصبح الجميع خمسمائة مطية .

٤ – عبدالعزيز بن إبراهيم

هو الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم من قبيلة الفضول من بني لام من طيئ تولى إمارة الطائف وما حوله وكانت بلاد زهران تابعة لمدينة الطائف إداريًا وقبل ذلك كان أميرًا لمنطقة عسير ، وخلال إمارته أرسل تعليمات خطية متعددة ومن الرسائل التي أرسلها رسالة بعث بها للشيخ راشد بن جمعان بن رقوش مؤرخة في ١٤ ن ١٣٤٤هـ يطلب منه عدم أخذ أي شيء من السكان دون إشعار ابن إبراهيم به حتى يكون على علم بذلك حتى يقطع دابر النمامين ، ومن جهة عمر بن يحيى (٨٠) ينظر شرعًا في الأمور الصغار من خمسين ريالاً فاقل ومازاد يرفع للطائف ، وقسمة المواريث يقيدها في ورقة ويشرح عليها القاضي ، أما دعوى الأقارب والعقارات ، والطلاق فهذه لا يتعرض لها ، ومن رغب من الأقارب ممن في تهامة ويرغب الصلح على يديكم فلا بأس من ذلك (٨١) .

وقد أرسل الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم – يرحمه الله في ٢٨ ذي الحجة عام ١٣٤٤هـ رسالة وبرفقها رسالة الملك عبدالعزيز – يرحمه الله – يؤكد فيها على بني عمر ، وبني حرب (٨٢) يذبحون من جرى منهم الاعتداء أو يحضرونهم عنده فإن امتنعوا فدربهم دربهم وأمر بإيصال الرسائل . ثم في ٧ صفر عام ١٣٤٥هـ أفاد أنهم طلبوا بني حرب ، وبني عفيف (٨٣) للمواجهة وجاء كبيرهم محمد ابن مهدي ، وإبراهيم بن عبدالمعين منقادين للسمع والطاعة ولم يجئ غيرهما ، وأمر أن يرسل رجالاً لسوق الأحد ومن قبض من بني ثابت (٨٤) أهل تهامه وبني عفيف يأخذونه ويذبحونه ، ويمنع أهل أضم (٨٥) من التعدي على الطرق السابلة ، ويأخذون الحضارم لأنهم هم الذين يشترون المؤونة لأهل الفساد وبيرقنا يثور بالحاضر ويأتيكم خبر .

وفي ١٦ شوال عام ١٣٤٥هـ أرسل للشيخ راشد رسالة بصدد الرجلين الذين قتلا الرجل وهما متوهمان أنه

من بني هلال (٨٦) وأمره بإرسالهما وولي المقتول للشرع وإن قبلوا الدية فلا نقول إلا خيراً ، ثم أضاف ملحق خير في الرسالة بصدد صلاحيات الشيخ الصُغيِّر وهو شيخ قبيلة بيضان (٨٧) من قبيلة زهران قال : إنه أخبره بحضور مساعد بن رقوش بصلاحيات رئاسته أنه لا يسجن ولا يؤدب ويرفع بالأمر لكم ، ويساعدكم في لوازمنا ، وأولاد العَشْي (٨٨) أخبرناهم إن أرادوا الشرع يحضرون وأبناء المقتول في أيام الموسم ، وإن رغبوا الصبر حتى بلوغ أبناء المقتول فلهم ذلك ، وأخبرناهم أن الشرع مايسمع دعواهم إلى أن يبلغ أبناء المقتول .

٥ – محمد بن عبدالعزيز بن الشيخ

هو الأمير محمد بن عبدالعزيز آل الشيخ الملقب «بالصحابي» من أسرة آل الشيخ – يرحمه الله – من قبيلة تميم (٨٨) عينه الملك عبدالعزيز أميراً للطائف بعد أن نقل الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم من الطائف ليعمل أميراً للمدينة المنورة .

لقد راسل هذا الأمير شيخ قبائل زهران الشيخ راشد ابن جمعان بن رقوش ومن أمثلة ذلك رسالة مؤرخة في ٥ رمضان ١٣٤٦هـ أوضح له فيها أن الأمير فيصل أمر عبدالله بن شُعَيِّل ومعه اثنا عشر من الإخوان في الطائف يتميزون بالفعل بالمرابطة في الموسم في بلدة الحَجْرة (٨٩) في تهامة زهران لأجل المحافظة على الدروب وأمر ابن شُعَيِّل ومعه قسم من الرجال لجمع زكاة عمال بني سُلَيْم (٩٠) وبني عُمر (٩١) ونصاب الإبل خمسة ريالات والشاة أربعة ريالات ، والمعز ثلاثة ريالات ، وطلب من الشيخ راشد أن يرافقهم أحد أبنائه ويوجههم الشيخ حسب رأيه ، ثم أمر بخروج لجنة لخرص زراعة زهران في ٢٥ شوال ١٣٤٧هـ وطلب أن يرافقهم ابنه مساعد أو عبدالمجيد .

وعبر أمير الطائف عن امتنانه للشيخ راشد في رسالة بتاريخ ١٣٤٨/١١/٢٠هـ وقد قال فيها : الأمر الذي تصلحه نحن ممنونون والأمر الذي يرجع للشرع تمشي الخصمين له .

ومن أهم الرسائل ذلك الخطاب الموجه من أمير الطائف للشيخ راشد حيث منحه صلاحيات إدارية وفقاً للأمر السامي والخطاب مؤرخ في ٨ ربيع الثاني ١٣٤٩هـ وقد ورد فيه : إن جلالة الملك أمر أنه إذا صدر أمر من الحكومة يورد على الشيخ راشد وراشد يورده على كباركم وجميع أمر يبدر منكم يعرف به أمير الطائف بواسطة ابن رقوش فما مرجعه الشرع يرسلهم للشرع في الطائف ، ومن حصل عليه تعدي في ماله أو غيره من غير اطلاع فهو يرفع الخبر لنا سواء أنه ابن رقوش أو غيره والمظالم مانرضى بها وتحرصون على كف النزاع وكل منكم يتفقد نفسه ، وعرَّفنا راشد وعرايفكم بالقيام بأمر الله ثم الصلاة والمحافظة عليها ، وكذلك المحافظة على مارتبه عبدالرحمن ابن الشيخ عندكم ، أما الحبس والنكال فلا لأحد فيه أمر من كبار زهران غير راشد بن رقوش .

وأخيراً في رسالة غير مؤرخة قال للشيخ راشد من حقي عليك أن تؤكد على العيال إذا أراد إنسان الشرع ما يمنعونه وواجب عليهم يمشون خصمه معه .

٦ – عبدالله بن محمد بن معمر

ينتمي الأمير عبدالله إلى أسرة آل معمر وهم من قبيلة بني تميم (٩٢) ، وقد كان في الجيش الذي زحف على الطائف ودخل مكة المكرمة وقد تأمر في الطائف فيما بعد والواضح أن علاقته مع الشيخ راشد كانت علاقة جيدة لذلك توالت رسائل ابن معمر إلى الشيخ راشد ، والواضح أيضاً أن رسائل ابن معمر هي رسائل تاريخية بها تفصيلات مفيدة جداً لأنه شاهد عيان فقد ذكر إسقاط جيش عبدالعزيز لطائرة حربية هاجمت الجيش وعلى حد علمي لم أجد أحداً من المؤرخين ذكر ذلك سوى حافظ وهبه .

ففي ٩ صفر عام ١٣٤٣هـ أرسل للشيخ راشد رسالة يبشره بما من الله به من عز الإسلام فقد اجتمع أهل نجد والإخوان والوديان قد أربعة عشر بيرق وتلاقوا على (٩٣) عُشَيْرَه وزحفوا على جميع مراكز الشريف ثم بعده توجهوا للطائف وأخذوه وهاجمت طائرة الجيش وطرحها الله ثم المسلمون وقتل الطياران واحد منهم مسيحي (٩٤) . ثم في ١٦ ربيع الأول عام ١٣٤٣هـ أخبره بتوجههم إلى مكة المكرمة ونزولهم على الزَّيْمة – بلدة في طريق مكة قبل بلدة الشرايع – بعدما انسحب على بن الحسين إلى جده . ونبشرك أن مكة ما ثار فيها ولا بندق .

وفي العام نفسه ذكر ابن معمر في رسالة أخرى أن الشريف تشتت أمره و وفد عليهم المعايده وشلاح الهمْرَق وأمناهم . وقد رد الشيخ راشد عليه وهي من الرسائل القليلة النادرة التي وجدت بعد الشيخ راشد والرسالة مؤرخة في ٢٧ ربيع ١٣٤٣هـ أوضح فيها لابن معمر ،

بوجود خلل قبل تاريخه بسبعة أيام من المخواة إلى القنفذة وخفنا تزايده وتناظرنا مع جَمل المكي (٩٥) وغزونا على التّهم لأن آل دُمَيْنَه والأحْسَبه (٩٦) قطعوا السبيل وتعدى فسادهم إلى القنفذة (٩٧) وجرى التخييم في المخواة (٩٨) ثلاثة أيام ، وصبحوا الأحسبة وذُبح منهم عشرون ، وأخذ منهم المسلمون نحو ثلاثة آلاف من الغنم ، وأربعون بقرة ، وخمسون ناقة ، وقَيْنَة ، ولا ذبح منا إلا واحد وتم تأمين زُبيد وهم من قبيلة حرب (٩٩) وبنو عيسى من قبيلة حرب (١٠٠) وبنو سُهَيْم (١٠١) وآل سعد ، وابن شايق وربعه أهل يَبْس (١٠٢) وهم من القبائل القاطنة في تهامة ، ثم جاءنا أمر من خالد ابن منصور بن لؤي أن نرفع عن براري القنفذة وقلنا سمعاً وطاعة ورجعنا للحجاز . وقد أجاب ابن معمر برسالة أثنى فيها على الشيخ راشد وجهوده وأن علومه طيبة أولا وآخر .

وفاته

توفي الشيخ راشد بن جمعان بن راشد بن جمعان ابن راشد بن رقوش في عام ١٣٦١هـ وكان قد ولد في عام ١٢٦٩هـ وعمره واحد وتسعون سنة بعد سنين حافلة بالإثارة والمتاعب والتقلبات ومدة رئاسته لعموم قبيلة زهران هي اثنان وسبعون سنة تزوج نَفْلا بنت الأمير محمد بن عائض أمير عسير ، كان ميسور الحال لديه عدد كبير من الخيول ، يتكلم اللغة التركية ، نفته تركيا إلى اليمن عام ١٣٠٩هـ وبقي في صنعاء مدة عام ونصف (١٠٣) طور فيها صداقة مع إمام اليمن يحيى حميد الدين .

وفي عام ١٣١٣هـ تعرضت بيوته للتخريب من الأتراك اشترك في حصار جدة مع الملك عبدالعزيز وكان يقود ثمانين رجلا من قبيلة زهران وصفه كيماهان كورن ويلز في كتابه عسير قبل الحرب العالمية الأولى فقال : كان الشيخ راشد ضخماً وسميناً ، كان من مؤيدي الترك سابقًا ومنحوه لقب بيه لكنه قاد ثوره ناجحة ضدهم (١٠٤) . ومن القضاة الذين عملوا لديه أحمد بن عائض ، وموسى الخولاني ، وعمر بن يحيى .

رؤساء قبيلة بني عامر

ترأس في قبيلة بني عامر غير من ذكرتهم سابقًا من آل رقوش ولم تتعد رئاستهم غير قبيلتهم بني عامر راشد بن سُعَيْد بن بَخَّات الأول ، وجمعان بن راشد بن سعيد الأول الذي ولد عام ١٠٨٠هـ وتوفى عام ١١٧٠هـ وراشد ابن جمعان بن راشد بن سعيد الثاني الملقب العَوْد - أي الكبير - ولد عام ١١٥٢هـ وتوفي عام ١٢٥٥هـ وهذا الشيخ غزا مع عثمان المضايفي أمير الطائف والحجاز في الدولة السعودية الأولى واشترك معه في غزوة بسْل عام ١٢٣٠ ، ومساعد بن راشد بن جمعان ولد عام ١٣٠٩هـ وتوفى عام ١٣٦٠هـ وكان ينوب عن والده في آخر حياته ، وعبدالمجيد بن راشد بن جمعان ولد عام ١٣١٢هـ وتوفي عام ١٤١٠هـ وهذا الأخير اشترك مع والده في حصار جدة من قبل الملك عبدالعزيز - يرحمهم الله - .

من واجبات شيخ القبيلة ...

شيخ القبيلة هو السيد المطاع في قومه ، وكلمته نافذة يجرى تعيينه ابتداءً إن لم يكن للقبيلة رئيس سابق عن طريق اختيار رؤساء الأفخاذ والأعيان له وكذلك العرفاء أو النواب بناءً على سمات ومزايا تتوافر فيه ، ومنها الكرم والشجاعة ، وتفوق الرأي ، والغالب أن يصل الشيخ إلى منصبه بالوراثة وقد يكون رئيس عِمارة كبيرة ، ويُرَقَّى ليصبح شيخ شمل للقبيلة كلها بعماراتها ، وعشائرها وأفخاذها كما حدث بالنسبة للشيخ جمعان عندما تنازل القفعي له عن رئاسة قبيلة زهران حيث لم يتمكن من السيطرة على عموم القبيلة ، فأصبح بذلك الشيخ جمعان شيخ شمل عام لقبيلة زهران .

ومن واجبات شيخ القبيلة حماية قبيلته والحفاظ على مصالحها ، والدفاع عنها ، فهو الذي يتولى إشهار الحرب ، وتنظيم معاهدة السلام والقبول به ، أو التحالف مع القبائل الأخرى ، وذلك بالتشاور مع القبائل والأعيان في قبيلته الأم ، وهو الذي يقرر انضمام القبيلة إلى قوة سياسية معينة أو الخروج عنها ، كما رأينا سابقًا من ولاء قبيلة زهران للترك ولشريف مكة وترك ذلك إلى منح الولاء لأمير عسير ، أو الإدريسي ، وأخيراً للدولة السعودية حسبما يرى فيه المصلحة للقبيلة .

ومن مسئوليات شيخ القبيلة حفظ حقوق الأفراد فيما بينهم ، وإجراء الصلح ، وهو الواسطة بين السلطة المركزية وبين الفرد القبلي ، ومن واجباته إحضار المطلوبين للمحكمة الشرعية ، أو للشرطة ، أو للإمارة ، ويمنع

التعدي ، ويسلم المطلوبين للسلطة ، وينفذ تعليمات الحكومة في أفراد القبيلة ، ويقوم شيخ القبيلة اليوم بالتعريف لأفراد قبيلته لدى الجهات الرسمية مثل الأحوال المدنية ، والمعاهد العسكرية، والتوقيع على أوراق الضمان الاجتماعي ، ويشارك هو أو من ينوب عنه في استحصال الزكاة الشرعية مع اللجان المخصصة لذلك .

وفي السنوات الأخيرة حدث تطور في واجبات ومسئوليات شيخ القبيلة ، إذ عليه الآن مواصلة مراجعة الدولة لحصول القبيلة على ما تحتاجه من مشاريع تنموية وخدمات ضرورية مثل شق الطرق ، وفتح المدارس ، والمراكز الصحية ، وإيصال خدمات الهاتف ، والماء ، والكهرباء ، وكل ما يقرب القبيلة من الاستفادة من الوسائل العصرية . وقد تحقق الكثير – ولله الحمد – لأفراد القبائل بواسطة الدولة السعودية – وعلى شيخ القبيلة تقديم المعلومات الصحيحه الدقيقة . ولأهمية ذلك فإن شيخ القبيلة ونوابه وعرفاءه يشتركون الآن في لجان تنمية وتطوير القرى وهذه مهمة جليلة تضاف إلى واجبات شيخ القبيلة في الوقت الحاضر .

الهوامش

١ – تاريخ المنصوري ٥ ، ٦ .
٢ – عسير خلال قرنين ٣
٣ – بلاد زهران ١١ .
٤ – نهاية الأرب ٢٧٤ ؛ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ١١ .
٥ – في سراة غامد وزهران ٢١٥
٦ – المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ٧ .
٧ – في سراة غامد وزهران ٢١٥ .
٨ – نفس المصدر ٢٢٧ .
٩ – نفس المصدر ٢٤٢ ، ٢٧٥ .
١٠ – بلاد زهران ٣٥ ؛ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ٧٥ .
١١ – تاريخ المنصوري ٣٧ ؛ فايده في التاريخ ١ ، أ.
١٢ – تاريخ ابن بشر ١ ، ٣٤٤-٣٤٩ .
١٣ – بوركهارت ١٧٤ .
١٤ – بوركهارت ١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ؛ المنتخب ٢٩٠ .
١٥ – دراسات من تاريخ عسير الحديث ٣٣ .
١٦ – تاريخ المملكة العربية السعودية ١ ، ١٤٧ .
١٧ – بلاد زهران ٣٥ .
١٨ – بلاد زهران ٣٥ ؛ دراسات من تاريخ عسير الحديث ٣٤ .
١٩ – بلاد زهران ٣٥ .
٢٠ – المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ٣٩ .
٢١ – دراسات من تاريخ عسير الحديث ٣٤ .
٢٢ – المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ٣٩ .
٢٣ – نفس المصدر ١٢٣ .
٢٤ – نفس المصدر ١٢٢ .
٢٥ – انظر ملحق الرسائل رقم (١) .
٢٦ – الرسالة رقم (٢) .
٢٧ – الوثيقة رقم ٣ .
٢٨ – أي ممنوعون عنه .
٢٩ – الوثيقة رقم ٤ .
٣٠ – من قبيلة خثعم من سكان بيشة ، معجم قبائل المملكة ، القسم الأول ١ – ٢٧ ؛ المنتخب ٢٢٨ .
٣١ – الرسالة رقم ٥ .
٣٢ – الرسالة رقم ٦ .
٣٣ – فايدة في التاريخ ، مسعود بن حجر ، أ ، ٢ ، ب .
٣٤ – جعاث ٤ ، أ ، ٥ ، ب .
٣٥ – في الأصل في مطر ... العين خيال عند ابن شرفا وحامد ، فيكون المقصود على ما ذكرت في الهامش هي ذي عين التي تجري في تهامة وهي من قرى قبيلة بني عمر الأشاعيب يزرع بها النخيل والموز ولوجود النخيل أميل إلى أن صحة الكلمة حامي بُسْرَها لا حامد أنظر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ١٠٥ .
٣٦ – ص ٦ .
٣٧ – ١١٢ .
٣٨ – أخبار عسير ١٢٦ ؛ تاريخ عسير ٢١٦ .
٣٩ – الرسالة رقم ٧ .
٤٠ – لم يتبين لي معرفة بقية اسمه .
٤١ – الرسالة رقم ٨ .
٤٢ – المشهور الآن هي عقبة الباحة التي تنتهي في مدينة المخواة والظفير بلدة تابعة لقبيلة بني عبدالله من غامد في السراة شرق مدينة الباحة بل التصقت الآن بالباحة وكانت الظفير مقرًا للحكومة في زمن آل عائض ، والأتراك والأدارسة وللإدارة السعودية منذ عام ١٣٥٣هـ إلى عام ١٣٧١هـ حيث نقلت الإدارة إلى مدينة بلجرشي ثم أعيدت للباحة أواخر عام ١٣٨٣هـ وأصبحت الظفير الآن حيًا من أحياء مدينة الباحة ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ١٥٣ .
٤٣ – الرسالة رقم ٩ .

٤٤ – الأعلام ٢٧٥/٤ .
٤٥ – نفس المصدر ٢٨٢/٢ .
٤٦ – نفس المصدر ٢٨٠/٥ .
٤٧ – هي قرى شمال مدينة الباحة ، انظر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ٥٠ ، ٦٨ .
٤٨ – المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ١١١ .
٤٩ – هي عاصمة منطقة الباحة منذ عام ١٣٨٣هـ أما الظفير فانظر هامش ٤٢ .
٥٠ – ملحق الرسائل ١٠ .
٥١ – الاعلام ٥ ، ٢٨٠ .
٥٢ – الأعلام ٢٧١/٢ .
٥٣ – ملحق الرسائل ١١ .
٥٤ – الأعلام ٢١١/٤ .
٥٥ – إن وصف دعوة التوحيد التي دعت إليها الدولة السعودية ودعاتها بأنها فتنة وإلحاد كلام في غير محله ، فهم في الواقع سلفيون على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وكتبهم ورسائلهم ومناظراتهم شاهدة على ذلك ، ولقد ثبت فساد ما ذكره الحسين في بقية الخطاب وعدم صحة تقوم أهل نجد عليه .
٥٦ – الرسالة رقم ١٢ .
٥٧ – الرسالة رقم ١٣ .
٥٨ – الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز ١٢٣ – ١٥٥ ؛ تاريخ الدولة السعودية ١٩١ – ١٩٢ .
٥٩ – الأعلام ١٣٩/٨ .
٦٠ – الرحلة اليمانية ٢٢ .
٦١ – الرسالة رقم ١٤ .
٦٢ – أخبار عسير ١٢٥ .
٦٣ – الرسالة رقم ١٥ .
٦٤ – الرسالة رقم ١٧ .
٦٥ – بنو سُليم فخذ من دوس من قبيلة زهران – تاريخ المنصوري هـ ٣ ص ٤٣ .
٦٦ – مدينة على ساحل البحر الأحمر جنوب جدة وشمال القنفذة تابعة لإمارة منطقة مكة المكرمة .
٦٧ – الرسالة رقم ١٥ .
٦٨ – يقصد الحسين بن علي ملك الحجاز السابق ؛ وانظر الأعلام ٢٧١/٢ .
٦٩ – الرسالة رقم ١٩ .
٧٠ – الرسالة رقم ٢٠ .
٧١ – انظر تفصيل أفخاذهم في المنتخب ملحق القبائل ٤٤٥ .
٧٢ – تسمى قُريش الحَسَن من قبيلة زهران بالسراة شمال الأطاولة منهم القائد بخروش الذي ذكرته سابقًا ؛ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ٧٥ .
٧٣ – تاريخ الدولة السعودية ٢ ، ١٤٦ .
٧٤ – أي نَزَل ومن يسافر من الحجاز إلى نجد يقال له حَدَر .
٧٥ – العَوْد كناية عن الكبير في السن والمقصود به الحسين بن علي ملك الحجاز سابقًا .
٧٦ – تاريخ عسير ٢٥٥ .
٧٧ – بيشه مدينة كبيرة تتبع إداريًا إمارة منطقة عسير .
٧٨ – الرسالة رقم ٢١ .
٧٩ – بلدة كبيرة من بلاد زهران في تهامة في الطرف الغربي وهي حاضرة قبيلة الشُّعْبان من سلَيْم ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ٦٩ ، ٧٠ ؛ الرسالة ٢٢ .
٨٠ – قاض لدى ابن رقوش .
٨١ – الرسالة رقم ٢٢ .
٨٢ – هم من قبيلة بني مالك في تهامة ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ١٢٠ ؛ المنتخب ملحق القبائل ٤٦٦ .
٨٣ – من قبيلة بني مالك من بجيلة من قبائل الطائف المنتخب ملحق القبائل ٤٦٦ .
٨٤ – المنتخب ملحق القبائل ٤٦٦ .
٨٥ – من بلاد قبيلة بني مالك في تهامة .
٨٦ – المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ٥٢ ، ٥٣ .
٨٧ – من قبيلة الرهوة من غامد جنوب بلجرشي ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ١٦٨ ، ٢١٤ .
٨٨ – ذكر بعض الحوادث الواقعة في نجد ١٢٥ .
٨٩ – انظر هـ ٧٩ .
٩٠ – انظر هـ ٦٥ .
٩١ – بنو عمر العلي تابعون لمشيخة الشيخ محمد علي في المخواة ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ٢١٧ ، ٢١٨ .
٩٢ – ذكر بعض الحوادث الواقعة في نجد ٣٥ ، ٧١ .
٩٣ – عُشَيْرة بلدة شمال الطائف يسكنها الشيابين انظر المنتخب ملحق القبائل ٤٣٢ ، وكل المراجع التي اطلعت عليها تذكر أن منطلق الهجوم كان من تُربة والخرمة ، تاريخ مكة للسباعي ٦٢٨ ؛ نجد وملحقاته ٣٣١ ؛ قلب جزيرة العرب ٢٨٣ ، تاريخ الدولة السعودية ١٥٢ .
٩٤ – الرسالة ٢٣ .
٩٥ – من مشائخ قبائل غامد في بلدة العقيق في منطقة الباحة توفي قبل خمس سنوات ، الرسالة رقم ٢٤ .
٩٦ – المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ٣٩ ، ٢١٨ .
٩٧ – انظر هـ ٦٦ .
٩٨ – المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ٢١٧ .
٩٩ – المصدر نفسه ١٠١ .
١٠٠ – المصدر نفسه ٢٣٨ .
١٠١ – المصدر نفسه ١٤٤ .
١٠٢ – المصدر نفسه ٢٤٧ .
١٠٣ – المصدر نفسه ١٢٣ .
١٠٤ – Asir befor world war I . P. 100 .

المراجع

أ - المخطوطات .

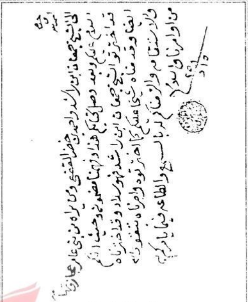
- الأبلجي ، أحمد بن محمد بن سعيد الفقيه الملقب جعاث ، بدون عنوان .
- ابن حجر ، مسعود بن حجر البركي الغامدي ، فايدة في التاريخ .

ب - المطبوعات .

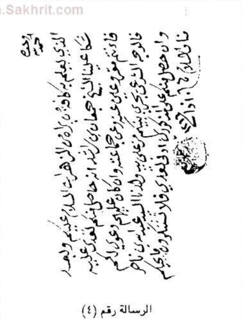
- البركاتي ، شرف بن عبدالمحسن ، الرحلة اليمانية ، بيروت ١٣٨٤هـ .
- الجاسر ، حمد ، في سراة غامد وزهران ، الرياض ١٣٩١هـ .
- الجميعي ، عبدالمنعم إبراهيم ، عسير خلال قرنين ، أبها ١٤١١هـ .
- الزركلي خير الدين ، الأعلام ، بيروت ١٣٨٩هـ .
- الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز ، بيروت ١٤٠٥هـ .
- آل زلفة ، محمد بن عبدالله ، دراسات من تاريخ عسير الحديث ١٤١٢هـ .
- الزهراني ، محمد مسفر ، بلاد زهران ، الرياض ١٤٠٣هـ .
- سعيد ، أمين ، تاريخ الدولة السعودية ، الرياض .
- السلوك ، علي بن صالح ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية لبلاد غامد وزهران ، بيروت ١٣٩١هـ .
- القلقشندي ، أبو العباس أحمد ، نهاية الأرب في معرفة أنساب قبائل العرب ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، بيروت ١٤٠٠هـ .
- المختار ، صلاح الدين ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، بيروت .
- المغيري ، عبدالرحمن بن حمد بن زيد ، المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب ، تحقيق إبراهيم محمد الزيد ١٤١٢هـ .
- المنصوري ، محمد بن عبدالله ، تاريخ ، تحقيق ودراسة إبراهيم محمد الزيد ١٤١٢هـ .
- النعمي ، هاشم بن سعيد ، تاريخ عسير في الماضي والحاضر .
- ابن بشر ، عثمان ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ١٣٩٤هـ .
- بوركهارت ، جوهان لودفيج ، مواد التاريخ الوهابيين ، تحقيق عبدالله صالح العثيمين ، الرياض ١٤٠٥هـ .
- ابن عيسى ، إبراهيم بن صالح ، ذكر بعض الحوادث الواقعة في نجد ، تحقيق الشيخ حمد الجاسر ، بيروت ١٣٨٤هـ .
- Kinhan Cornwalis printed by John G . Eccles Inverness , England .
- ابن مسفر ، عبدالله ، أخبار عسير ، بيروت ١٣٩٨هـ .



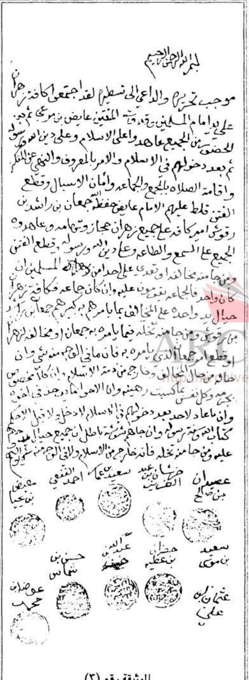
الرسالة رقم (١)



الرسالة رقم (٢)



الرسالة رقم (٤)



بسم الله الرحمن الرحيم

موجب تحريره والداعي الى تسطيره لقد اجتمعوا كافة زهران
على يد امام المسلمين وقدوة المتقين عايض بن مرعي ...
الحصول من الجميع عاهد واعلى الاسلام وعلى دين الله ورسوله
ثم بعد دخولهم في الاسلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
واقامة الصلاه بالجمع والجماعه وامان الاسبال وقطع
الفتن فلما علم الامام عايض حفظه الله جمعان بن راشد بن
رقوش امير كافة على جميع زهران حجاز وتهامه وعاهده
الجميع على السمع والطاعه وعلى دين الله ورسوله وقطع الفتن
ومن جا منهم مخالف او تعدى على احد من زهران او من المسلمين ان
كان واحد فالجماعه يقومون عليه وان كان جماعه فكافة زهران
حبال يد واحده على المخالف بما يامرهم به كبيرهم جمعان بن راشد
بن رقوش ومن جا منهم تخلف فيما يامره به جمعان او منها عن زهران
او قطع امر جمعان الذي يامره به فان ما في الوجه منه شي وان
عاد من حال المخالف وخارج من ذمة الاسلام وان كان ...
... وكل نفس بما كسبت رهينه وان الاهوا ...
وان ما عاد لاحد بعد دخولهم في الاسلام ... لا تقبل الا حكم
كتاب الله وسنة رسوله وان جا منهم شي باطل ان جميع حبال ...
عليه ومن جا منهم تخلف فانه خارج من الاسلام والذي في الوجه ...

عصيان بن صالح — خشان بن عبيد القرشي — سعيد بن عماء — احمد القرني — معيض بن عيا...
سعيد بن موسى — حطان بن عطيه — عبد الله ... — حسن بن شماس — عثمان بن علي — عوض بن محمد

الوثيقة رقم (٣)

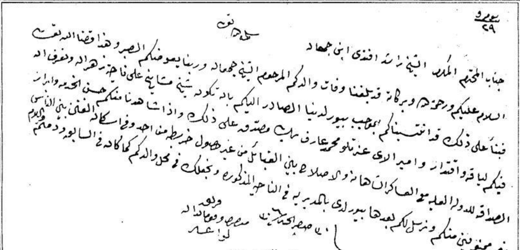
بسم الله الرحمن الرحيم

من منصور بن المرحوم الشريف يحيى بن سرور الى المحترم الاسلد المعتمد الشيخ جمعان بن راشد الزهراني سلمك
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فالموجب لتحريره ان الباري سبحانه وتعالى متصرف في عباده ايدينا
وما يجري في الدنيا بارادته جل وعلا وجرت ارادته سبحانه بصدور امر الدولة العليه برفع والدنا الشريف
محمد بن عون من امارة مكة الشريفه وطلبهم له واولاده عبدالله وعلي فتوجهوا الى دار الخلافه وترتيب عمنا
الشريف عبدالمطلب بن الشريف غالب اميرا على مكة الشريفه واقاموني مقامه بها ونفذ امر الله ثم امرهم في ذلك
وموجبه صار من حضرة الوزير الاعظم والشير الافخم والي جدة وشيخ الحرم المحترم عبدالعزيز باشا ومنا كذلك
رفع ايديهم سابقا عبدالله بن ناصر وامرنا عليهم الشريف احمد بن عمنا الشريف سعيد بن سرور ولما بلغنا منك
من حسن استقامتك وصداقتك ونصحك صدر اليك صحبة اميرهم الشريف احمد الكسوة لك كسوة جوخ
وشال كشمير وامرناه يلبسك وقت وصوله ما بيدهم في المحفل بمشاهدة اقرانك وجماعتك لاجل
افتخارك تكن على ساق الجد في الاستقامة والنصح والصداقة كما يعهد منك وزيادة واذا صار
منك ذلك ابشر بما يسرك ان شاء الله دمت سالم والسلام [illegible]

الرسالة رقم (٥)

[illegible] الاعز [illegible] الشيخ جمعان [illegible]
[illegible] وجه الله [illegible] [illegible]
معلوم وحمدنا الله الذي انت بخير وعافية وما ذكرت عن [illegible]
[illegible] ونسأل الله ان يصلح احوال جميع [illegible] من اهل [illegible]
[illegible] اخبار المفيت [illegible] ولم تصلك [illegible]
[illegible] الاشغال وتنظيم احوال البلاد والعباد [illegible]
[illegible] الفساد والانحراف [illegible] من خواطر المحبين وعندنا [illegible]
[illegible] احتمل [illegible] السعادة سيدنا الشريف محمد بن عون وحملت
[illegible] الشريف عبدالمطلب [illegible] الى الطائف
[illegible] سعود [illegible] سيدنا [illegible] الشريف عبدالمطلب
[illegible] والغدر [illegible] الذي [illegible]
[illegible] العرب الذي [illegible]
[illegible] ولزم محله [illegible]
[illegible] في الانفس والاموال [illegible]
[illegible] سيدنا [illegible] الايام [illegible]
[illegible] اللازم [illegible]
[illegible] المطلوب [illegible]
[illegible]

الرسالة رقم (٦)



سيورو ٢٩

جناب المحترم المكرم الشيخ راشد افندي ابن جهاد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته قد بلغنا وفات والدكم المرحوم الشيخ جهاد وربنا يعوضكم الصبر وهذا قضا الله تعالى

فبنا على ذلك قد انتسبناكم بموجب بيورلدينا الصادر اليكم بان تكونو شيخ مشايخ على ناحية زهران ونعرف انه

فيكم لياقة واقتدار وامير الاي عزتلو محمد عارف بك مصدقه على ذلك واذا شاهدنا منكم حسن الخدمه وابراز

الصداقة للدولة العلية مع العساكر الشاهانية والاصلاح بين القبايل من غير حصول خربطه من احد وفي اسكان العلى بني الاسمر والبلام

فيكم كما كان في السابق ...

وتجعلك في محل والدكم ... في الناحية المذكورة

وبعد ذلك نرسل لكم بعدها بيورلدي بالمديرية

[illegible]

الرسالة رقم (٧)



سعادتلو افندم حضرتلري

المعروض الى سعادتكم افندم انه بحسب ما امرتم به على محسوبكم بقرار المجلس اني امشي برفقة ذو العزه ميرالاي حسن شكري بيك مأمور على قبيلة بني عامر وقد علمتم اني رجل منفصل وقد جئت الى الحكومة في مركز القضا لأجل التبعد عن التهم والشبهات وقطع التزاوير من ذوي الأغراض الفاسده فان تريدون الصلاح في جلوسي في محلي او في الحكومه لا باس وان اردتم امشي على القبيلة المذكوره فلا يسعنا الا السمع والطاعه ومع ذلك احوال ناحية زهران ما خفيت عليكم من القديم والأمر لمن له الأمر افندم والسلام

١٢ جمادى آخر ١٣١٦

[illegible]

الرسالة رقم (٨)

دولتلو سيادتلو ولي النعم افندم حضرتلري

فرع الشجرة الزكية والعصابة الهاشمية سيدنا وسيد الجميع حفظه الله تعالى آمين اللهم آمين
السلام عليكم ورحمة الله وبعد السلام الدعا الكريم بطول العمر ونيل المرام نعرض الى اعتاب سيدنا انه اتصل الى
حكومة قضا غامد سعادتلو رئيس اركان الحرب امير اللوا الواحد لطفي باشه وصحبته متصرف لوا عسير اسماعيل
حقي بيك وبرفقتهم من العساكر الشاهانه قدر ستة طوابير ونصف وثلاثة مدافع ثم بعد تحصيلات غامد
توجهوا الى بلاد زهران ونزلوا العساكر في ثلاث قرايا مما يوالي بلاد غامد ثم تجمعوا زهران في قرية يقال لها
شبرقه بعد نصيحتنا لهم يودون حقوق الله سبحانه ويطيعون الله والرسول واولي الامر فلم يقبلوا النصيحه
وكل شي بقضا وقدر فتوجهوا الامرا المذكورين مع العساكر وصار بينهم محاربه من الصبح الى العصر فقتل من العسكر
نحو نفر ومن زهران نحو نفر ورجعوا بعد المحاربه امسوا تلك الليله في قريتنا اللتي هي بني سار ثم تناظروا الامرا
الى حكومة القضا ويطلبون امداد من الدوله لاجل زاد التجمع
وضباط الطوابير على انهم يرجعون بالعساكر توجهوا الى بلاد غامد بجميع مهماتهم سالمين من النهب
في العربان فبعد صلاة الصبح الذي هو ٢٢ رجب
ما راح عليهم شي حتى وصلوا قريت رغدان فلما وصلوا القريه المذكوره صارت الملاحمه على العسكر من غامد
وزهران فقتل المتصرف والقمندان وقتل من العسكر والعربان خلق كثير واخذوا العرب مدافع ناعين و
بعض الخيل والبغال ولا بقي منها الا اليسير واما العسكر فبقي منهم بعد السلب والقتل قدر طابور ومدفع
وقايمقام العسكر علي حيدر بيك وجمله من الضباط التجاو الى الحكومه في قريت الظفير فهجموا عليهم غامد
المجاورين منهم للحكومه منهم خاصه فاخذوا جميع ما بقي معهم من الاسلحه وهجموا على الحكومه واخذوا
جميع ما فيها من الحبوب والاسلحه ومهمات الدوله واما ما بقي من الضباط فراحوا على درب تهامه قصدهم
مركز اللوا واما افراد العساكر فكل راح على حال سبيله بعد سلبهم فاحوج الحال برفع ما ذكر الى اعتاب
دولت سيدنا والامر والفرمان لمن له الامر افندم

١٢ رجب

محسوبكم ...

الرسالة رقم (٩)

مطيطة زهران ١٥ شعبان ٤٠

حفظه الله

بانشه

الى حضرة المحترم المكرم الاعز الاحشم ولي النعم سيدنا وسيد الجميع عوض بن محمد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد السلام وصل كتابكم المكرم وفهمناه وعلى

انا نزود المتوربات الذي غدت على الدولة

الامين والرائس وضعناه تذكرونا فيما صار على العسكر من واقع هذه

نبيضا ونبدي لسيادتكم انه تعلمونا بطويل الحمرات جانا عسكر و

دخلو بلاد زهران وحطو في ثلاث قرى من [illegible] ثم صار [illegible]

بين العسكر وزهران قتال من الصبح الى وقت العصر ولا بد ما غدا

زهران والعسكر ثم رجعو قرية بني يسار العسكر باجمعهم

ولا غدا عليهم من الماخوذات شي ثم اصبحو صبح اليوم الثاني لبلاد

رجعو بلاد [illegible] ثم دخلو بلاد غامد وقطعو ورد زهران وبلادهم

[illegible] النهي هي البلا والحبشي والرهوه والباديه

دخلو الاربع الغرابي ونحطو بهم

ويوم دخلو الغربية الخامسه التي رغدات صار على العسكر ما

صار واجتمع لها غامد با وبنو ب وزهرانيا وذلك الوقت

الرسالة رقم (١٠)



الرسالة رقم (١١)



الاكرم الاجل الشيخ راشد بن جمعان

وبعد فقد قدر المولى انقطاع الوارد عن مكة المكرمة وسد البحر

ولدفع ضرورة جيران بيت الله من هذا الخطر فالمطلوب ان

ما يزيد عند قبايلكم من الحبوب الى الطايف او مكة

الحاضر عندكم ... عليه كراها وما يلحقها من اتعاب

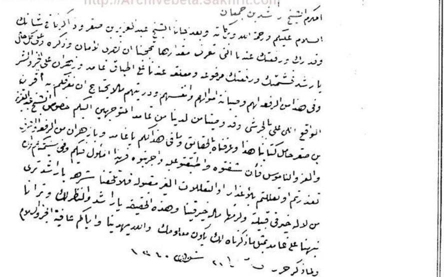
في ذلك من الاجر في الاخرة والكسب في الدنيا ما لا يحتاج

وايضا ... كافة من تراه من القبائل والسلام ورحمة الله

١٥ رجب ١٣٣٦

الرسالة رقم (١٢)





الاكرم الشيخ راشد بن جمعان

الرسالة رقم (١٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

عبد العزيز ... سلمه الله

من محمد علي الإدريسي إلى القاضي العلامة قدوة أهل الاستقامة الشيخ المفيد
أدام الله علينا وعليكم بركته ... صدر ... محبة وعهداً ما كره ود ...
وكتبكم الكريم وصلت ... بعض تلك القصيدة الفخيمة التي احتوت
على ما طاب ورقت وراقت أمام شأن البيان ... لكم ...
والشيخ راشد صحيح كما ذكرتم وقد جاءني منه كتاب عرفت منه ذلك لأنه
تعلق على الجهاد ... وهو من بيت العنكبوت وقد رأينا أن يتوجه
إليكم السيد مصطفى ... لإصلاح الخلل وعرفناه يعرف مشايخ كل قبيلة
على حدته ... عند الداعي ... راشد ... على غيره ويجامل راشد بحسب
الظاهر ويعطي المنصب بالظاهر ويكون هذا مكتوم بينكم ...
... وصينا السيد مصطفى عليه وعلى النواب وعلى حضرتكم
... السيد ... السيد أحمد الرضي أيضاً ... عندكم إن شاء الله
... شوال إذا وصلت ... المسلمين ... العناد ... لا قوة إلا بالله ...
...

الرسالة رقم (١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

من [illegible] ... الفيصل إلى كافة ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... أعلمنا أمير ... بن رقوش
... وحسن سيرتكم ... [illegible]
... [illegible]
... الطاعة ... [illegible]
للخير ...

الرسالة رقم (١٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ... طارفنا سلمهم الله تعالى آمين
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعد ذلك ... راشد بن جمعان بن رقوش
هو أمير قبايلكم على ما كان عليه سابق ولا لكم معارض ... ذلك يكون معلوم
... ١٣٤٤

الرسالة رقم (١٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

من خالد بن منصور بن لؤي إلى راشد بن جمعان بن رقوش ارشده الله لسواء
السبيل ووفقه لطاعة الملك الجليل سلام عليكم ورحمة الله وبركاته والخط وصل
وما ذكرت كان معلوم واشرفنا عليه وانت مثلك ما يكتب لاجل يخبر المعاني
ان ملي بناء الى الاسلام ما يرد وانت رجال ما انت بزاين مع المسلمين الا انك
ملزق عليهم ومنا جنودنا الحجاز كله قصيرهم من جانا راغب في الاسلام فالله
يهديه ويحييه ومن ابا فنشكر الله يعيننا عليه ونا صله بحول الله و
قوته وانت متقدح لك رجال عيا يطيع الدول الاجنبية على الصلح والواجد
ندافع والشكاين على ديرنا ومعاونا ونخرهم الى ذله ويوم ساطاعهم على الصلح نا
نا بحول الله وقوته نؤدبه هو ومن كان والى بي يقبرا انت وغيرك فهو
من هذا ما لزم تعريفه والسلام على من اتبع الهدى

الرسالة رقم (١٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

من خالد بن منصور الى جناب الاخوان الكرام كافة جميع عامة مسلمهم الله تعالى وهداهم ووفقهم
لطاعة مولاهم آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وموجب الخط السلام وبعد
الفاعلينا راشد بن جمعان هو ومن حضر معه وخبرناهم يامرونكم بالقومه بكتاب الله
وسنة نبيه ومن عمل بها فهو رفيقنا ومن خالفها فنشهد الله على قوامته
وبغضه ومن يم الزكاة وشروطها فهي على يد الرسول الذي يجيكم من طرفنا والرسول
خبرناه يميز الذي يقامه لله وفيه خير ويعامله بما يبين له منه من الخير و
العمل مستنظر واحذر من المخالفه هذا ما يجب تعريفه وبلغوا سلامنا جماعتكم و
قبايلكم ومن عندنا الاولاد والاخوان يسلمون والسلام

الرسالة رقم (٢٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى جناب الأخ المكرم راشد بن حمدان سلمه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن حالكم أحوالنا من كرم الله جميلة

بعد ذلك بارك الله فيك لم يزل يبلغنا عنك [illegible] وموركك السابقة مع المسلمين

الطيبة ما تحنا علينا وانت محسوب علينا [illegible] في مكانك وفيك [illegible]

والله يسعدك والبركة وانت إن شاء الله في التمحيص والثبات والتخفيف و[illegible]

وحنا شادين من بيشة إلى عسير [illegible] الله التوفيق ولابد إن شاء الله

يجيكم الخبر الذي يسركم هذا ما لزم مع إبلاغ السلام [illegible]

الشيخ والإخوان يسلمون عليكم [illegible]

الرسالة رقم (٢١)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن إبراهيم إلى جناب الأخ المكرم راشد بن حمدان بن رنعوش سلمه الله تعالى آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن حالكم أحوالنا [illegible] غنيم وصل وما ذكرته كان معلوم

والذي بعد وصل بموجب ذكرته والسبيعي ما [illegible] ريال [illegible] أهل الصدر وجانا خبر بكثر الذي

الذي اخذت والذي طلع به [illegible] تهامة ودنا انكم ما تاخذون شي الا ببينة لنا لاجل الى جانا

خبر من غيركم ما يلقا درب من طرف السبيعي طلب علينا [illegible] مساعدتنا ومساعدتكم واجبرناه ان

مال عنده او من طرف عمر من الأمور الصغار في دعوى من خمسة ريال وجاي يخلصها او ما فوق يدفعون

لطايف وقسم المواريث [illegible] ورقة ويرسلها ويشرح عليها القاضي دعوى الأرقاب والعقارات

والطلاق [illegible] هذا ما لزم بيانه من طرف الأرقاب الذي في تهامة والذي وده يطلع على

يديكم ما بأس تاخذون المعشر وترسلونه سلموا لنا على العيال [illegible] ومن عندنا الخدام يسلمون والسلام

١٢٤٤

١٤

الرسالة رقم (٢٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله ابن محمد ابن معمر الى جناب الأخ الأكرم راشد ابن جمعان ابن رقوش سلمه الله آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن حالك احوالنا تسر الله جميله وبعد

ذالك نبشرك بما من الله به من عز الاسلام والمسلمين اجتمعوا الجموع اهل نجد هلا الى ديان قصدار العشر

بير قدمنا [illegible] اياهم على عشرة [illegible] على جميع مراكز الشريف وذبحهم الله ثم ذبحناهم ثم بعده [illegible]

للطايف واعاد الله المسلمين عليه واخذوه [illegible] يوم اقبلنا عليه جانا اطوار [illegible] الله ثم المسلمين

وذبح اهلها [illegible] سنة [illegible] المالك [illegible] ثلاث مائة الخيل

خمسين [illegible] البجول [illegible] الاموال [illegible] نصفها [illegible]

التاريخ وانا [illegible] في الطايف [illegible] الحجاز واهل السيل [illegible] علينا [illegible] جواد الله ينصر دينه

[illegible] العيال [illegible] المشايخ ابن حسين وابن داود

وابن [illegible] والسلام

وطلب بشا [illegible] ناصر [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

من راشد بن جمعان الى حضرة المحترم المكرم الاعز الاحشم الابن عبد الله ابن محمد بن معمر سلمه الله تعالى امين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد السلام وصل كتابكم المكرم وفهمناه وعلى الراس وظهناه

وذكر تم نتوح مكة من غير فتنة فالحمد لله على ذلك الذي اعز الاسلام والمسلمين وشتت

اعدا الدين وقبل تاريخه بسبعة ايام حصل خلل من المخواة الى القنفذة وخفنا يزايد

شرابهم وتناظرنا نحن وحمد المكي وعزمنا على التهم لاجل اب ال ادبيلة [illegible] الاحسبه

قطعو السبيل وتعد اغسال [illegible] الحج

[illegible] القنفذة رجعنا ملحنا المخواة وثمانيها

ثلاثة ايام وصبحنا الاحسبه وذبح منهم عشرين وخذ منهم المسلمين نحو ثلاثة الاف غنم

واربعين بقر وخمسين ناقة ولا ذبح منا الا واحد ثم كلما جانا احد طلب الامان وامناه

وهم زبيد وبني عيسى وبني سهيم وال سعد وبن شايق وربيعة وجانا البشر على فلح الاحسبه

ويبلغ سلامنا الشيخ ابراهيم بن حسين ومن عندنا ساعد وعبد المجيد يسلمون عليكم

والحين قصدنا القنفذة وجانا خط من عبد المعين [illegible] جانا [illegible] ٢٧

خالد بن منصور بن شيبة [illegible] التنذور قتلنا [illegible] ورجعنا الحجاز

والسلام

سلوك المدرسين الباحثين التونسيين الجامعيين في العلوم الأساسية والتطبيقية تجاه المعلومات

عبدالمجيد بوعزة
قسم المكتبات والوثائق
جامعة السلطان قابوس

وحيد قدورة
المعهد العالي للتوثيق
جامعة تونس الأولى

١ - مقدمة :

١,١ - الإشكالية والمنهجية :

يهتم هذا المقال بدراسة سلوك المدرسين الباحثين التونسيين في العلوم الأساسية تجاه المعلومات ودرجة إسهام المكتبات الجامعية في تلبية الحاجات المعلوماتية لهذا الصنف من المستفيدين من المعلومات العلمية والتقنية . وبعبارة أخرى فإن هذه الدراسة تحاول الإجابة عن أسئلة البحث التالية :

- كيف يستخدم المدرسون الباحثون التونسيون في العلوم الأساسية مختلف مصادر المعلومات ؟
- ما درجة تواتر استخدام مصادر المعلومات النظامية وغير النظامية Formal and Informal Information Sources من قبل هؤلاء المستفيدين سواء لإعداد المحاضرات أو لإنجاز البحوث ؟
- ما الوسائل التي يستخدمونها من أجل الكشف عن المعلومات التي يحتاجون إليها ؟
- هل تستخدم المكتبات الجامعية تقنيات التسويق Marketing لتلبية الحاجات المعلوماتية لهؤلاء المستفيدين ، وكيف ذلك ؟

وللحصول على عناصر الإجابة لمختلف أسئلة البحث هذه ، أجري مسح شمل ثمانين مدرساً باحثاً يعملون بكل من كلية الطب بتونس ، وقسمي الفيزياء والكيمياء بكلية العلوم بتونس وذلك بواسطة استبيان وزّع عليهم طوال أربعة أشهر . وقد أجاب عن هذا الاستبيان سبع وأربعون باحثاً ، وهو ما يحدد نسبة الإجابة بـ ٥٨,٥٧ ٪ وقد تم تحليل البيانات الواردة في الاستبانات بواسطة إحصاءات وصفية .

وتكمن أهمية هذا البحث في أن من غير الممكن دراسة سلوك المستفيدين تجاه المعلومات ، والتعرف على حاجاتهم إلا بتصميم أنظمة معلومات فعالة وملائمة ، كذلك إن مركز المعلومات لا يستطيع القيام بدوره بوصفه مؤسسة مكلفة ببث المعلومات إذا ما أهمل أداة مهمة جداً في مجال الإدارة وهي تسويق المعلومات .

٢,١ - تعريف المفاهيم :

- مصادر المعلومات النظامية Formal Information Sources وهي المصادر التي تتجه إلى جمهور عريض ، والمعلومات التي تنقلها هذه القنوات تسجل بصفة دائمة ، ويمكن بشكل عام التعرف عليها (١) .
- مصادر المعلومات غير النظامية InFormal Information Sources وهي المصادر التي تتجه

إلى جمهور محدود ، وتنقل معلومات غير مسجلة أحيانًا بصفة دائمة ، ويصعب كذلك التعرف عليها (٢) .

٣,١ - تقديم المكتبات موضوع الدراسة :

١,٣,١ - مكتبتي قسمي الفيزياء والكيمياء بكلية العلوم بتونس :

أسست هاتان المكتبتان سنة ١٩٧١ أي في العام نفسه الذي أحدثت فيه كلية العلوم بتونس ، وتتمثل مهمتهما في الاستجابة للحاجات المعلوماتية للمدرسين الباحثين في قسمي الفيزياء والكيمياء ، ويعمل بهما موظفون غير متخصصين علاوة على أن عددهم غير كاف ، ذلك أن كل مكتبة لا تشغل سوى موظفين اثنين يتوليان القيام بكل الأنشطة والخدمات ، ويوجد من بين هؤلاء موظف محرز على الإجازة (بكالوريوس) في الفيزياء .

تحتوي مجموعات المكتبتين على الكتب (٦٥٠٠ عنوان في الفيزياء و ٤٥٠٠ عنوان في الكيمياء) والمراجع وخاصة الدوريات (٦٠ عنوانًا حالياً في كل واحدة) ، وقد ألغيت في السنوات الأخيرة العديد من الاشتراكات في الدوريات بسبب ارتفاع ثمن الاشتراك ، وتخفيض قيمة الدينار ، وتقلص الميزانية المخصصة للاقتناءات .

وتقدم كلتا المكتبتين خدماتها ، إضافة إلى المدرسين الباحثين بالقسمين المذكورين ، إلى الباحثين والمهندسين الذين ينتمون إلى مؤسسات جامعية أخرى أو مؤسسات اقتصادية ، وكذلك إلى طلاب الدراسات العليا (لإعداد شهادة الدكتوراه) .

٢,٣,١ - مكتبة كلية الطب بتونس :

تهدف هذه المكتبة التي أنشئت سنة ١٩٦٤ إلى بث المعلومات الطبية لدى المدرسين الباحثين وطلاب كلية الطب وتعمل تحت إشراف مجلس إداري وإدارة أستاذ مساعد ، ويبلغ عدد الموظفين بها خمسة عشر من بينهم اثنين متخصصين في المكتبات . إن هذا العدد الضعيف وغير المتخصص في غالبيته من الموظفين لم يسهل البتّة عمل المكتبة .

وتعدّ مجموعات المكتبة ثرية نسبياً بالمقارنة مع المكتبات الطبية التونسية الأخرى (١٧٠٠٠ عنوان كتاب ، ٢٧٠٠ رسالة جامعية ، ٣٤٥ عنوان دورية) (٣) ، وعلى غرار مكتبتي الفيزياء والكيمياء وللأسباب نفسها ألغيت عشرات الاشتراكات في الدوريات الطبية .

وتقدم المكتبة خدماتها إلى الجامعيين التابعين للكلية ، وكذلك إلى أصناف أخرى من المستفيدين مثل المدرسين الباحثين العاملين في مؤسسات طبية أخرى والأطباء العاملين في مستشفيات الصحة العمومية ، وكذلك في العيادات الخاصة .

١,٤,١ - أدبيات الموضوع :

ظهرت الدراسات المتعلقة بالمستفيدين من المعلومات منذ أكثر من قرن ، وقد اهتمت البحوث الأولى بالقراءة والقراء . وبعد الحرب العالمية الثانية بدأ المتخصصون ينكبون على دراسة استخدام مصادر المعلومات من قبل المهندسين والباحثين في العلوم الأساسية ، وفي الستينات توسع هذا النوع من الدراسات ليشمل المستفيدين من مصادر المعلومات في العلوم الاجتماعية ، ولم تهتم هذه الدراسات بالمستفيدين في الإنسانيات إلا في السبعينات .

استخدمت هذه الدراسات المتعلقة بالمستفيدين من المعلومات مناهج متعددة يمكن تصنيفها إلى صنفين : طرق مباشرة (الاستبيان ، والمقابلة ، واليوميات ، والملاحظة المباشرة وغيرها) . وطرق غير مباشرة (دراسة

الاستشهادات المرجعية ، وتحليل إحصاءات الإعارة وغيرها) .

توصلت هذه الدراسات إلى النتائج التالية :

- فيما يتعلق باستخدام المصادر النظامية للمعلومات يميل المدرسون الباحثون في العلوم الأساسية إلى تفضيل الدوريات العلمية والتقنية ، بينما يبدو أن زملاءهم في العلوم الاجتماعية يفضلون الدوريات والكتب على قدم المساواة ، في حين يميل المدرسون الباحثون في الإنسانيات إلى استخدام الكتب أكثر من أي مصدر آخر .
- وعلى مستوى آخر يبدو أن المدرسين الباحثين في العلوم الأساسية يقبلون على استخدام المصادر غير النظامية أكثر من زملائهم في العلوم الاجتماعية ، والإنسانيات . وهذه الظاهرة أدت إلى ازدهار المدرسة الاعتبارية Invisible College لدى المتخصصين في العلوم الأساسية ، إلا أن انتشارها في أوساط الباحثين في العلوم الاجتماعية محدود ، وتكاد تكون غائبة لدى علماء الإنسانيات .
- أما عن العوامل المؤثرة في سلوك المدرسين الباحثين تجاه المعلومات فهي عديدة ، وإذا كانت هناك عوامل مرتبطة بنظام المعلومات فإن هناك أخرى متعلقة بالباحث نفسه ، ومن بين هذه العوامل يمكن أن نذكر:

أ - توافر مصادر المعلومات وسهولة الوصول إليها، وقيمتها ، وتكلفتها ، وسهولة استخدامها .

ب - الوضع الإداري للباحث وتجربته ، وتخصصه ، ومستواه العلمي ، وانطباعاته الذاتية .

ج - المرحلة التي يصل إليها الباحث في مشروع بحثه ، والمحيط الاجتماعي ، والسياسي والاقتصادي الذي يعيش فيه (٤)(٥)(٦) . بالنسبة للدراسات التي أجريت بتونس والمتعلقة بالمستفيدين من المعلومات فإنها قليلة إذ أنه باستثناء بعض رسائل ختم الدروس الجامعية فإن هذه الدراسات تكاد تكون شبه منعدمة .

٢ - تحليل البيانات :

١,٢ - بيانات عامة عن مجتمع الدراسة :

يتكون مجتمع الدراسة من ٤٧ مدرسًا باحثًا يتوزعون حسب المجالات العلمية التالية :

- ١٧ مدرسًا باحثًا في العلوم الطبية (١٧ ,٣٦ ٪).
- ١٧ مدرسًا باحثًا في العلوم الفيزيائية (١٧ ,٣٦ ٪) .
- ١٣ مدرسًا باحثًا في العلوم الكيميائية (٢٧,٦٥ ٪) .

أما عن توزيعهم حسب الاختصاصات فيلاحظ وجود مهم للمتخصصين في الطب الباطني (٤ أي بنسبة ٢٣,٥٢٪) هذا فيما يتعلق بالطب ، وفي الفيزياء العامة (٨ أي بنسبة ٤٧,٠٥٪) بالنسبة للفيزياء، وفي الكيمياء العضوية (٧ أي بنسبة ٥٣,٤٦ ٪) بالنسبة للكيمياء .

١,١,٢ - توزيع مجتمع الدراسة حسب السن والجنس :

يضم هذا المجتمع بين أفراده أغلبية من الشباب حيث بلغ عدد الذين تتراوح أعمارهم بين ٣١ و ٤٠ سنة ٢٨ مدرسًا باحثًا (أي بنسبة ٥٩,٥٧ ٪) ، وتأتي في المرتبة الثانية مجموعة مهمة من الكهول تتراوح أعمارهم بين ٤١ و ٥٥ سنة (١٥ أي بنسبة ٣١,٩١ ٪) .

ومن جهة أخرى يلاحظ حضور ضعيف لجنس الإناث في مجتمع الدراسة (٣ من ٤٧ أي بنسبة ٦,٣٧ ٪) ، وقد يعود ذلك إلى النقص في عدد إجابات المدرسات الباحثات عن الاستبيان .

٢,١,٢ - توزيع مجتمع الدراسة حسب الدرجة الأكاديمية :

إن هذا التوزيع يعكس بصفة عامة الوضعية الحقيقية لهيئة التدريس والبحث بالجامعات التونسية ذلك أن المدرسين الباحثين من درجة المساعدين والأساتذة المساعدين يمثلون أغلبية مجتمع الدراسة (٢٦ أي بنسبة ٥٥,٣١ ٪) أما عن الأساتذة المحاضرين والأساتذة فيتبوأون المرتبة الثانية (١٩ أي بنسبة ٤٠,٩ ٪) .

بينت نتائج الدراسة كذلك أن أغلبية مجتمع الدراسة مرسمة إدارياً في درجاتها (٤٠ أي بنسبة ٨٥,١٠ ٪) .

٣,١,٢ - توزيع مجتمع الدراسة حسب صنف النشاط الأكاديمي :

كشفت البيانات أن أغلبية المدرسين الباحثين ينجزون حالياً بحوثاً علمية (٣٧ أي بنسبة ٧٨,٧٢ ٪) ويقومون بالتدريس (٣٣ أي بنسبة ٧٠,٢١ ٪) . إن هذه النسبة العالية من الجامعيين الذين يشتغلون في البحث العلمي يمكن تفسيرها بوجود عدد مهم من المساعدين والأساتذة المساعدين ضمن مجتمع الدراسة ، والذين يتوقون إلى الرقي الأكاديمي ولا يمكنهم تحقيق هذا الطموح إلا بإنجاز البحوث ونشرها .

٤,١,٢ - توزيع مجتمع الدراسة حسب سنوات الخبرة :

اكتسب المدرسون الباحثون خبرة مهمة فيما يتعلق بالتدريس بما أن أغلبهم حصل على تجربة بيداغوجية تتراوح بين ١١ و ٢٠ سنة (٢٣ أي بنسبة ٥١,١ ٪) .

أما في مجال البحث فإن خبرتهم تبدو أقل أهمية حيث إن تجربة الأغلبية تمتد بين ٦ و ١٥ سنة (٢٢ أي بنسبة ٤٩,٩٩ ٪) .

ويمكن تفسير هذا التفاوت في اكتساب الخبرة في التدريس وفي البحث بانشغال المدرس الجامعي في بداية حياته المهنية بإعداد المحاضرات ، بحيث إنه لا يتفرغ للبحث إلا بعد مدة معينة ، هذا بالإضافة إلى أن الجامعة التونسية الفتية لم تتوجه نحو البحث إلا بعد أن رسخت تقاليدها في مجال التدريس .

٥,١,٢ - توزيع مجتمع الدراسة حسب تقسيمه للوقت بين التدريس والبحث :

كشف البحث أن أغلب المستجوبين يقسمون وقت العمل بالتساوي بين البحث والتدريس (١٧ أي بنسبة ٣٦,١٧ ٪) ، وتعد هذه الظاهرة مؤشراً إيجابياً للمكانة التي يحتلها البحث في صلب النشاط الأكاديمي للجامعي التونسي في العلوم الأساسية والتطبيقية . وقد يعود ذلك إلى أهمية الحوافز المادية (منح البحث وغيرها) ، ويمكن أن نضيف إلى هذه العناصر طبيعة البحث في العلوم الطبية والفيزيائية والكيميائية إذ يدمج هذا النشاط في صلب عملية التدريس (تجارب في المخابر ، ودراسات سريرية ، ودراسات حالة وغيرها) .

٢,٢ - استخدام مصادر المعلومات .

١,٢,٢ - استخدام مصادر المعلومات من قبل المدرسين في الطب والفيزياء والكيمياء.

يبين الجدول رقم (١) أن متوسط استخدام مصادر المعلومات النظامية من قبل المدرسين في الطب عند إعداد الدروس هو ٥ / ٢,٤٣ . وهذا الرقم

جدول رقم (١) استخدام مصادر المعلومات النظامية من قبل المدرسين في الطب

مصادر المعلومات	درجة الاستخدام عند إعداد المحاضرات					
	غالب الأحيان	أحياناً	في بعض الحالات	نادراً	أبداً	٪
كتب	١١	٤	١	١		٤,٥٢
مجلات علمية وتقنية	٨	٧	١	١		٤,٢٩
مستخلصات وكشافات		٣	٥	٤	٣	٢,٣٣
مصغرات فلمية وبطاقية ، صور ثابتة وأشرطة فديو	١		٤	٣	٩	٢,١٧
مجلات غير أكاديمية وصحف	٢	١	٢	٢	١٠	١,٧٦
ببليوجرافيات	٥	٣	٤	٢	٣	٣,٢٩
فهارس الناشرين	١		١		١٤	١,٣٧
فهارس المكتبات	١	١	٥	١	٩	٢,٠٥
تقارير البحوث	٣	٢	٥	٦	١	٣
رسائل جامعية	٣	٥	٦	٣		٣,٤٧
مراجع	٥	٧	٤	١		٤
قائمة محتويات المجلات Current Contents		٢	١	٣	١٣	١,٧٦
براءات الاختراع			١	١	١٥	١,١٧
مواصفات		٢	١	٢	١٣	١,٦٤
خرائط ورسوم		١	٢	٢	١٢	١,٥٢
وقائع الندوات والمؤتمرات		١	٣	٣	١٠	١,٧٠
بنوك وقواعد المعلومات			٣	٢	١٢	١,٤٧
مطبوعات حكومية	٢	٢	٣	٢	٨	٢,٢٩
متوسط الاستخدام						٢,٤٣

جدول رقم (٢) : استخدام مصادر المعلومات غير النظامية من قبل المدرسين في الطب

مصادر المعلومات	درجة الاستخدام عند إعداد المحاضرات					
	غالب الأحيان	أحيانا	في بعض الحالات	نادرا	أبدا	٪
اتصالات شخصية بالزملاء (عن طريق الزيارة ، أو الهاتف ، أو المراسلات أو غيرها)		٣	٨	٤	٢	٣,٠٥
ندوات ومؤتمرات	١	٣	٧	٣	٣	٢,٦١
وثائق شخصية	١٠	٤	٣			٤,٤١
استشارة المكتبي	١	٣	٣	٥	٥	٢,٤١
معارض ، عروض وغيرها		١	١	٢	١٣	١,٤١
متوسط الاستخدام						٢,٧٧

يبرز أن استخدام هذه المصادر متوسط . وإذا استثنينا الكتب ، والمجلات العلمية ، والتقنية ، وكتب المراجع ، والرسائل الجامعية والببليوجرافيات ، وتقارير البحوث فإن درجة تواتر استخدام بقية المصادر ضعيفة جداً . ويمكن تفسير هذه الظاهرة بطبيعة المصادر الأولى التي تتلاءم أكثر مع الحاجات البيداغوجية للمدرسين .

يتضح من خلال الجدول رقم (٢) أن متوسط استخدام مصادر المعلومات غير النظامية من قبل المدرسين في الطب مرتفع بالة ياس مع المعدل المتعلق بالمصادر النظامية حيث بلغ ٥/٢,٧٧ إن هذه الفئة من المستفيدين تلتجئ بالخصوص إلى الوثائق الشخصية، وإلى الاتصالات الشخصية بالزملاء للحصول على المعلومات الضرورية لإعداد المحاضرات ، ويمكن تفسير هذه النزعة بوجود هذه المصادر وسهولة الوصول إليها ، وملاءمتها مع حاجات المدرسين .

يبين الجدول رقم (٣) أن المدرسين في مجال الفيزياء يفضلون المصادر النظامية نفسها التي يستخدمها المدرسون في مجال الطب ، وبالفعل فإن الفيزيائيين يلتجئون بالخصوص عند إعداد المحاضرات إلى الكتب والمجلات العلمية والتقنية والببليوجرافيات وكتب المراجع والرسائل الجامعية .

جدول رقم (٣) : استخدام مصادر المعلومات النظامية من قبل المدرسين في الفيزياء

مصادر المعلومات	درجة الاستخدام عند إعداد المحاضرات					
	غالب الأحيان	احيانًا	في بعض الحالات	نادرا	ابدا	٪
كتب	١٥	٢				٤,٨٨
مجلات علمية وتقنية	٣	٥	٧	١	١	٣,٤٧
مستخلصات وكشافات	٣	٢	٤	٦	٣	٢,٦٤
مصغرات فلمية وبطاقية ، صور ثابتة ، وأشرطة فديو	٢	٢	٣	٣	٩	١,٨٨
مجلات غير أكاديمية وصحف		١	٦	٤	٦	٢,١١
ببليوجرافيات	٢	٥	٥	٣	٢	٣,١١
فهارس الناشرين	١	٢	٢	٧	٥	٢,٢٣
فهارس المكتبات	١	٥	٢	٢	٧	٢,٥٨
تقارير البحوث	٢		٥	٦	٤	٢,٤١
رسائل جامعية	١	٣	٩	٣	١	٣
مراجع	٤	٤	٥	٢	٢	٣,٣٥
قائمة محتويات المجلات Current Contents	١	٣	٣	٤	٦	٢,٣٥
براءات الاختراع			١	٢	١٤	١,٢٣
مواصفات			١	٣	١٣	١,٢٩
خرائط ورسوم			٢	٢	١٣	١,٣٥
وقائع الندوات والمؤتمرات		٣	٥	٥	٤	٢,٤١
بنوك وقواعد المعلومات			٥	١	١١	١,٦٤
مطبوعات حكومية	١	٥	٣	٣	٥	٢,٦٤
متوسط الاستخدام						٢,٤٧

جدول رقم (٤) : استخدام مصادر المعلومات غير النظامية من قبل المدرسين في الفيزياء

مصادر المعلومات	درجة الاستخدام عند إعداد المحاضرات					
	غالب الأحيان	أحيانًا	في بعض الحالات	نادرًا	أبدًا	٪
اتصالات شخصية بالزملاء (عن طريق الزيارة ، أو الهاتف ، أو المراسلات أو غيرها)	١	٤	٨	٤		٤,٠٧
ندوات ومؤتمرات	١	١	٩	٣	٣	٣,٤٦
وثائق شخصية	٨	٧	٢			٤,٣٥
استشارة المكتبي		٤	٧	٤	٢	٢,٧٦
معارض ، عروض وغيرها			٢	٦	٩	١,٥٨
متوسط الاستخدام						٣,٢٤

يكشف الجدول رقم (٤) أن معدل استخدام المصادر غير النظامية لأغراض التدريس في الفيزياء أكثر ارتفاعًا (٣,٢٤٪) مما هو عليه في الطب (٢,٧٧٪) . إن هذا الفارق كان نتيجة الاستخدام المكثف لمصدرين أساسيين وهما الاتصالات الشخصية (معدل الاستخدام في الفيزياء ٤,٠٧٪ مقابل ٣,٠٥٪ في الطب) ، والندوات (٣,٤٦٪ في الفيزياء مقابل ٢,٦١٪ في الطب) . ومن ناحية أخرى يلاحظ استخدام مكثف للوثائق الشخصية لأغراض بيداغوجية في كلا المجالين .

جدول رقم (٥) : استخدام مصادر المعلومات النظامية من قبل المدرسين في الكيمياء

مصادر المعلومات	درجة الاستخدام عند إعداد المحاضرات					
	غالب الأحيان	أحيانًا	في بعض الحالات	نادرًا	أبدًا	٪
كتب	١٠	١	١	١		٤,٨٤
مجلات علمية وتقنية	٥	٣	٢	٣		٣,٧٦
مستخلصات وكشافات	٣	١	٣	٣	٣	٢,٨٤
مصغرات فلمية وبطاقية ، صور ثابتة ، وأشرطة فديو		٢	٢		٩	١,٧٦

مجلات غير أكاديمية وصحف				٤	٩	١,٣
ببليوجرافيات	٢	٤	٢	٢	٣	٣
فهارس الناشرين		١	١		١١	١,٣٨
فهارس المكتبات	١		١	١	١٠	١,٥٣
تقارير البحوث		١	٣	١	٨	١,٧٦
رسائل جامعية	٢	١	٤	٢	٤	٢,٦١
مراجع		٢	٥	٢	٤	٢,٣٨
قائمة محتويات المجلات Current Contents			٢	٢	٩	١,١١
براءات الاختراع					١٣	١
مواصفات			١	١	١١	١,٢٣
خرائط ورسوم				٢	١١	١,١٥
وقائع الندوات والمؤتمرات			٥	٣	٥	٢,٢٣
بنوك وقواعد المعلومات			٢	٢	٩	١,١١
مطبوعات حكومية	٣	٢	٢	١	٥	٢,٧٦
متوسط الاستخدام						٢,٠٩

إن البيانات التي تم جمعها في هذه الدراسة تبرز أن المدرسين في مجال الكيمياء يستخدمون مصادر المعلومات النظامية لإعداد المحاضرات بدرجة أقل (٢,٠٩/٥) من المدرسين في الطب (٢,٤٣/٥) ، وفي الفيزياء (٢,٤٧/٥) ، ويمكن أن يعزى هذا الاختلاف إلى قلة استخدام بعض المصادر مثل كتب المراجع (٢,٣٨/٥) في الكيمياء مقابل ٤ في الطب و (٣,٣٥/٥) في الفيزياء والرسائل الجامعية (٢,٦١/٥) في الكيمياء مقابل (٣,٤٧/٥ في الطب و ٥ / ٣ في الفيزياء) .

على غرار مصادر المعلومات النظامية يستخدم المدرسون في مجال الكيمياء مصادر المعلومات غير النظامية بدرجة أقل من الأطباء ، والفيزيائيين ، وباستثناء الوثائق الشخصية (٤,٠٧/٥) فإن استعمال المصادر الأخرى يبقى ضعيفاً .

إن نتائج هذه الدراسة تكشف أن الكيميائيين لا يستهلكون المعلومات بكثرة في مجال التدريس مثل المدرسين في الطب والفيزياء ، ويمكن تفسير هذا السلوك بطبيعة برامج التدريس في الكيمياء التي تولى اهتماماً كبيراً للجانب التطبيقي (تجارب المخابر وحصص تطبيقية) ، وبالتالي يتم استيفاء المعلومات من التجارب المخبرية أكثر من مصادر المعلومات النظامية وغير النظامية .

جدول رقم (٦) : استخدام مصادر المعلومات غير النظامية من قبل المدرسين في الكيمياء

مصادر المعلومات	درجة الاستخدام عند إعداد المحاضرات					
	غالب الأحيان	احيانا	في بعض الحالات	نادرا	ابدا	٪
اتصالات شخصية بالزملاء (عن طريق الزيارة ، أو الهاتف ، أو المراسلات أو غيرها)	١	٢	٥	٢	٣	٢,٦٩
ندوات ومؤتمرات		٣	٢	٤	٤	٢,٣٠
وثائق شخصية	٦	٤	١	٢		٤,٠٧
استشارة المكتبي	١	١	١	٢	٨	١,٨٤
معارض ، عروض وغيرها		١	١	١	١٠	١,٤٦
متوسط الاستخدام						٢,٤٧

جدول رقم (٧) : استخدام مصادر المعلومات النظامية من قبل الباحثين في الطب

مصادر المعلومات	درجة الاستخدام عند إنجاز البحوث			
	الإشكالية	جمع البيانات	تحليل البيانات	متوسط الاستخدام
كتب	٤	٣	٢,٩٣	٣,٣١
مجلات علمية وتقنية	٤,٤٦	٣,٧٦	٤,١٣	٤,١١
مستخلصات وكشافات	٢,٧٨	٣	٢,٨٦	٢,٨٨
مصغرات فلمية وبطاقية ، صور ثابتة وأشرطة فديو	١,٧٨	٢,٨	١,٤٦	٢,٠١
مجلات غير أكاديمية وصحف	١,٧٣	١,٧٣	١,٧٣	١,٧٣
ببليوجرافيات	٤,٢٦	٤,٠٦	٤,١٣	٤,١٥
فهارس الناشرين	١,٥٧	١,٣٣	١,٣٣	١,٤١
فهارس المكتبات	٢	٢,٠٦	١,٧٣	١,٩٣
تقارير البحوث	٣,٣٣	٣,٠٧	٣,٧١	٣,٣٧
رسائل جامعية	٣,٧٦	٣,٦٦	٣,٧٣	٣,٧٠

مراجع	٣,٥٣	٣,٥٣	٣,٣٣	٣,٤٦
قائمة محتويات المجلات Current Contents	١,٥٣	١,٥٣	١,٤	١,٤٨
براءات الاختراع	١,٢٦	١,٢٦	١,٢	١,٢٤
مواصفات	١,٣٥	١,٣٥	١,٤٢	١,٣٧
خرائط ورسوم	١,٣١	١,٣١	١,٣٧	١,٣٣
وقائع الندوات والمؤتمرات	٢,٢	٢,٠٦	١,٤٦	١,٩٠
بنوك وقواعد المعلومات	١,٨٦	٢,٠٦	٢,٠٦	٢,١٠
مطبوعات حكومية	٢,٦٦	٢,٦٦	٢,٦٦	٢,٦٦
متوسط الاستخدام				٢,٤٤

جدول رقم (٨) : استخدام مصادر المعلومات غير النظامية
من قبل الباحثين في الطب

مصادر المعلومات	درجة الاستخدام عند إنجاز مشروع البحث			
	الإشكالية	جمع البيانات	تحليل البيانات	متوسط الاستخدام
اتصالات شخصية بالزملاء (عن طريق الزيارة ، أو الهاتف ، أو المراسلات أو غيرها)	٢,٨٦	٢,٤	٣,٠٦	٢,٧٧
ندوات ومؤتمرات	٣,٤٦	٣,١٣	٣,١٣	٣,٢٤
وثائق شخصية	٣,٨٦	٣,٧٦	٣,٨	٣,٧٩
استشارة المكتبي	٢,٦	٢,٠٦	٢,٦	٢,٤٢
معارض ، عروض وغيرها	٢,٢	١,٦٦	١,٨	١,٨٨
المتوسط العام	٢,٩٩	٢,٥٩	٢,٨٧	٢,٨١

إن معدلات استخدام مصادر المعلومات النظامية (٢,٤٤/٥) ، وغير النظامية (٢,٨١/٥) من قبل الباحثين في الطب تتطابق مع تلك المتعلقة باستخدام المصادر نفسها من طرف الأطباء أنفسهم في مجال التدريس (٢,٤٣/٥ و ٢,٧٧/٥) . إلا أنه يلاحظ أن درجة استخدام بعض المصادر تختلف حسب نوعية النشاط الأكاديمي .

وعلى سبيل المثال فإن درجة استخدام الكتب والوثائق الشخصية ارتفعت عند إعداد المحاضرات حيث وصلت على التوالي إلى (٤,٥٢/٥ و ٤,٤١/٥) ، وانخفضت عند إنجاز البحوث العلمية إلى (٣,٣١/٥ و ٣,٧٩/٥) .

كما يلاحظ أيضًا الاستخدام الضعيف لوقائع الندوات والمؤتمرات . وإذا عُدَّ هذا السلوك شبه عادي في

عملية التدريس (١,٧٠/٥) ؛ فإنه من الصعب إيجاد تفسير مقنع لتبرير عدم الإقبال على هذا المصدر في عملية البحث العلمي (١,٩٠/٥) خاصة ، وكما هو معروف - فإن وقائع الندوات تحتوي على معلومات حديثة ومهمة بالنسبة للباحث .

وعلى مستوى آخر تبرز نتائج الدراسة ، إن درجة استخدام المصادر النظامية وغير النظامية تختلف حسب مراحل إنجاز البحث العلمي (الإشكالية وتجميع البيانات وتحليلها) . ذلك أنه في المرحلة الأولى يبحث الأطباء عن أفكار تساعدهم في طرح الإشكالية (أسئلة البحث والفرضيات) وفي توضيح مختلف أوجه الموضوع وفي الربط مع البحوث السابقة .

ولتحقيق هذا الغرض يلتجئ هؤلاء الباحثين بشكل مكثف إلى بعض مصادر المعلومات مثل المجلات العلمية والتقنية (٤,٤٦/٥)، والببليوجرافيات (٤,٢٦/٥)، والرسائل الجامعية (٣,٧٣/٥) ، والاتصالات الشخصية (٢,٨٦/٥) ، والوثائق الشخصية (٣,٨٦/٥) ، والندوات (٣,٤٦/٥) .

بالنسبة للمرحلة الأخيرة في البحث نلاحظ أن الأطباء يسعون للحصول على معلومات تساعدهم في تفسير نتائج دراستهم . ومن هذا المنطلق فإنهم يستخدمون بكثرة المجلات العلمية والتقنية (٤,١٣/٥) ، وتقارير البحوث (٣,٧١/٥) ، والرسائل الجامعية (٣,٧٣/٥)، والاتصالات الشخصية (٣,٠٦/٥)، والندوات (٣,١٣/٥) ، والوثائق الشخصية (٣,٨٠/٥) .

جدول رقم (٩) : استخدام مصادر المعلومات النظامية من قبل الباحثين في الفيزياء

مصادر المعلومات	درجة الاستخدام عند إنجاز مشروع بحث: الإشكالية	جمع البيانات	تحليل البيانات	متوسط الاستخدام
كتب	٣,٤١	٣,٧٠	٣,٨٢	٣,٦٤
مجلات علمية وتقنية	٤,١٧	٤,٣٥	٤,٥٢	٤,٣٤
مستخلصات وكشافات	٣,٨٢	٣,٦٤	٣,٥٨	٣,٦٨
مصغرات فلمية وبطاقية ، صور ثابتة ، وأشرطة فديو	١,٨٢	٢,١١	٢,١٧	٢,٠٣
مجلات غير أكاديمية وصحف	٢,٤٧	٢,٤٧	٢,٤١	٢,٤٥
ببليوجرافيات	٣,٤٧	٣,٥٢	٣,٥٨	٣,٥٢
فهارس الناشرين	١,٧٦	٢,١٧	١,٨٨	١,٩٣
فهارس المكتبات	٢,٣٥	٢,٤١	٢,٣٥	٢,٣٧
تقارير البحوث	٢,٧٠	٢,٧٢	٢,٧٦	٢,٧٦
رسائل جامعية	٣,٥٢	٣,٨٢	٣,٧٦	٣,٧٠
مراجع	٢,٨٨	٢,٧٦	٢,٨٢	٢,٨٢
قائمة محتويات المجلات Current Contents	٢,٥٢	٢,٦٤	٢,٥٢	٢,٥٦

براءات الاختراع	١,٣٥	١,٤١	١,٣٥	١,٣٧
مواصفات	١,٤١	١,٣٥	١,٢٣	١,٣٣
خرائط ورسوم	١,٢٩	١,٢٣	١,٢٣	١,٢٥
وقائع الندوات والمؤتمرات	٢,٨٨	٢,٦٤	٢,٨٨	٢,٨٠
بنوك وقواعد المعلومات	٢,٢٣	٢,٠٥	٢,١٧	٢,١٥
مطبوعات حكومية	٣,٧٠	٣,٨٢	٣,٧٦	٣,٧٦
متوسط الاستخدام العام				٢,٦٩

جدول رقم (١٠) : استخدام مصادر المعلومات غير النظامية من قبل الباحثين في الفيزياء

مصادر المعلومات	درجة الاستخدام عند إنجاز مشروع بحث			
	الإشكالية	جمع البيانات	تحليل البيانات	متوسط الاستخدام
اتصالات شخصية بالزملاء (عن طريق الزيارة ، أو الهاتف ، أو المراسلات أو غيرها)	٣,٤١	٣,١١	٢,٨٢	٣,١١
ندوات ومؤتمرات	٣,٠٥	٣,٠٥	٢,٩٤	٣,٠١
وثائق شخصية	٣,٦٤	٤,١١	٤,٠٥	٣,٩٣
استشارة المكتبي	٢,٥٨	٢,٦٤	٢,٣٥	٢,٥٢
معارض ، عروض وغيرها	١,٧٦	١,٨٢	١,٦٤	١,٧٤
المتوسط العام .				٢,٨٦

يكشف الجدولان رقما (٩ ، ١٠) عن اختلافات في مستوى استخدام مصادر المعلومات النظامية ، وغير النظامية في كل من عمليتي التدريس والبحث في الفيزياء . ذلك أن متوسط استخدام المصادر النظامية الذي كان يساوي (٢,٤٧/٥) في عملية التدريس ارتفع ليصل إلى (٢,٦٩/٥) في عملية البحث ، وبالمقابل انخفض المتوسط بالنسبة للمصادر غير النظامية حيث انتقل من (٣,٢٤/٥) في التدريس إلى (٢,٨٥/٥) في البحث العلمي .

إن هذه النتيجة تختلف عما لوحظ في مجال الطب حيث كانت درجات استخدام المصادر النظامية وغير النظامية للمعلومات في كلا النشاطين الأكاديميين متطابقة. إنه من الصعب تفسير سلوك الفيزيائيين تجاه

المعلومات فهم يستخدمون المصادر غير النظامية في عملية التدريس أكثر مما يبدونه في مجال البحث ، وبالمقابل فإنهم يستعملون المصادر النظامية في التدريس أقل مما هو عليه في البحث العلمي ، وهذه النتيجة تتعارض مع نتائج دراسات سابقة (١٣) .

وعلى غرار ما استنتج في مجال الطب ؛ فإن استخدام مصادر المعلومات من قبل الفيزيائيين يختلف حسب مراحل البحث .

بالنسبة للمصادر النظامية نلاحظ استخداماً مرتفعاً للمجلات العلمية والتقنية (٤,٣٤/٥) ، والرسائل الجامعية (٣,٧٠/٥) ، والمستخلصات والكشافات (٣,٦٨/٥) ، والكتب (٣,٦٤/٥)، والببليوجرافيات (٣,٥٢/٥) وبالمقارنة مع الأطباء (٢,٨٨/٥) نلاحظ أن الباحثين في الفيزياء يلتجئون أكثر إلى المعلومات المتوافرة في المستخلصات والكشافات (٣,٦٨/٥) وقد يعزى ذلك إلى دقة «المستخلصات الفيزيائية» Physical Abstracts وسهولة استعمالها ، وهو الأمر الذي يميزها عن الأداة المعروفة في الطب أي الكشاف الطبي Index Medicus .

أما عن المصادر غير النظامية فإن الجداول تبرز الاستخدام المرتفع للوثائق الشخصية (٣,٩٣/٥) ، والاتصالات الشخصية (٣,١١/٥)، والندوات (٣,٠١/٥).

جدول رقم (١١) : استخدام مصادر المعلومات النظامية من قبل الباحثين في الكيمياء

مصادر المعلومات	درجة الاستخدام عند إنجاز مشروع بحث			
	الإشكالية	جمع البيانات	تحليل البيانات	متوسط الاستخدام
كتب	٣	٣,٠٧	٣,١٥	٣,٠٧
مجلات علمية وتقنية	٤	٤,٥٣	٤,٣٠	٤,٢٧
مستخلصات وكشافات	٤,٠٧	٣,٨٤	٣,٠٧	٣,٦٦
مصغرات فلمية وبطاقية ، صور ثابتة ، وأشرطة فديو	١,٣٨	١,٣٠	١,٣٨	١,٣٥
مجلات غير أكاديمية وصحف	٢,٢٣	٢,٣٠	٢	٢,١٧
ببليوجرافيات	٤,٣٨	٤,٦١	٤,٢٣	٤,٤٠
فهارس الناشرين	١,٦٩	١,٨٤	١,٣٨	١,٦٣
فهارس المكتبات	١,٦٩	٢	١,٧٦	١,٨١
تقارير البحوث	١,٩٢	٢,٤٦	١,٩٢	٢,١٠
رسائل جامعية	٣,١٥	٣,٥٣	٢,٩٢	٣,٢٠
مراجع	١,٧٦	١,٧٦	١,٣٨	١,٦٣
قائمة محتويات المجلات Current Contents	١,٩٢	٢,١٥	١,٧٦	١,٩٤

براءات الاختراع	١,٤٦	١,٣٨	١,٣٨	١,٤٠
مواصفات	١	١	١	١
خرائط ورسوم	١	١	١	١
وقائع الندوات والمؤتمرات	١,٦٩	١,٦١	١,٧٦	١,٦٨
بنوك وقواعد المعلومات	١,٤٦	١,٥٣	١,٣٨	١,٤٥
مطبوعات حكومية	٢,٤٦	٢,٥٣	٢,٤٦	٢,٤٨
متوسط الاستخدام العام				٢,٢٢

جدول رقم (١٢) : استخدام مصادر المعلومات غير النظامية من قبل الباحثين في الكيمياء

مصادر المعلومات	درجة الاستخدام عند إنجاز مشروع بحث			
	الإشكالية	جمع البيانات	تحليل البيانات	متوسط الاستخدام
اتصالات شخصية بالزملاء (عن طريق الزيارة ، أو الهاتف ، أو المراسلات أو غيرها)	٢,٦١	٢,٤٦	٢,٦١	٢,٥٦
ندوات ومؤتمرات	٢,٩٢	٢,٨٤	٢,٣٨	٢,٧١
وثائق شخصية	٤,٠٧	٣,٦٩	٣,٦١	٣,٧٩
استشارة المكتبي	١,١٥	١,١٥	١,١٥	١,١٥
معارض ، عروض وغيرها	١,٣٢	١,٣٠	١,٣٢	١,٢٥
المتوسط العام				٢,٢٩

إن سلوك الكيميائيين في مجال المعلومات يشبه سلوك الفيزيائيين . هذا ما يستنتج من الجدولين رقمي ١١ و ١٢ ، اللذين كشفا أن المدرسين الباحثين في الكيمياء يستعملون المصادر النظامية في البحث العلمي (٥/٢,٢٢) أكثر من استعمالها في التدريس (٥/٢,٠٩) ، وبالمقابل يستخدمون المصادر غير النظامية في التدريس (٥/٢,٤٧) أكثر مما عليه الحال في مجال البحث (٥/٢,٢٩) .

وعلى غرار بعض المصادر النظامية للمعلومات مثل المجلات العلمية والتقنية (٥/٤,٢٧) ، والببليوجرافيات (٥/٤,٤٠) ، والرسائل الجامعية (٥/٣,٢) ، والكتب (٥/٣,٠٧) فإن درجة استخدام

المستخلصات والكشافات في الكيمياء تبدو مرتفعة (٣،٦٦/٥) . ويمكن تفسير ذلك بوجود أداة بحث مهمة وهي المستخلصات الكيميائية Chemical Abstracts .

وعلى مستوى آخر يبدو أن حاجات الكيميائيين إلى المعلومات لأغراض التدريس والبحث أقل من حاجات الأطباء والفيزيائيين ، وقد يعود ذلك إلى طبيعة البحث في الكيمياء الذي يعتمد أساساً على التجارب في المخابر ، ويمكن استنتاج أن هذه التجارب أصبحت في حد ذاتها مصدراً مهماً للمعلومات .

الجدول رقم (١٣) : جدول مقارن للوسائل المستخدمة للكشف عن المعلومات من قبل المدرسين الباحثين في الطب والفيزياء والكيمياء

مسلسل	الوسائل	درجة الاستخدام حسب التخصص		
		الطب	الفيزياء	الكيمياء
١	إشارات مرجعية موجودة في مقالات أو كتب	١٠٠	١٠٠	١٠٠
٢	ببليوجرافيات	١٠٠	١٠٠	١٠٠
٣	بيانات مقدمة من قبل الزملاء بالقسم	٨٨،٢٣	١٠٠	٨٤،٦١
٤	كشافات ومستخلصات وعروض للكتب والمقالات	٩٤،١١	٨٢،٣٥	٦١،٥٣
٥	مراجعات الكتب	٧٦،٤٧	٦٤،٧٠	٦١،٥٣
٦	فهارس الناشرين	٦٤،٧٠	٨٢،٣٥	٦١،٥٣
٧	بيانات مقدمة من طرف أشخاص من خارج القسم	٥٢،٩٤	٨٢،٣٥	٦١،٥٣

٢،٢،٣ - وسائل الكشف عن المعلومات :

يستنتج من خلال قراءة الجدول رقم (١٣) أن هناك تقارباً في درجات استخدام وسائل معاينة المعلومات من قبل المدرسين الباحثين في الاختصاصات الثلاثة . كما يلاحظ أن المصادر النظامية هي المفضلة في هذا المجال .

وعلى مستوى آخر يمكن القول إن الحظ يلعب دوراً مهماً في الكشف عن المعلومات في العلوم الأساسية والتطبيقية ، بما أن أربعة وسائل مستخدمة لهذا الفرض على سبعة تعتمد على الحظ أكثر من اعتمادها على بحث منهجي ، وهي : الإشارات المرجعية المأخوذة من المقالات ، والكتب ، والبيانات المقدمة من قبل الزملاء بالقسم ومراجعات الكتب والبيانات المقدمة من قبل أشخاص من خارج القسم .

٣،٢ - تسويق المعلومات :

١،٣،٢ - علاقة المدرس الباحث بالمكتبي :

أثبتت نتائج الدراسة أن ٦٨،٠٨ ٪ من المدرسين الباحثين في العلوم الأساسية والتطبيقية يلتجئون إلى خدمات المكتبي عندما تعترضهم صعوبات أثناء البحث عن المعلومات داخل المكتبة (٢٣،٤٠ ٪ أحياناً و ٤٤،٦٨ ٪ نادراً) ، إلا أن درجة الاستشارة تختلف حسب الاختصاص فمثلاً يتصل الأطباء والفيزيائيون عند الحاجة بالمكتبي أكثر من الكيميائيين . ويمكن أن يعزى هذا السلوك إلى وجود أو عدم وجود أعوان مؤهلين بالمكتبة ،

وهذا ما ينطبق على مكتبة كلية الطب بتونس التي تضم بين أعوانها متخصصين اثنين في المعلومات (محافظ وأمين مكتبة) . أما مكتبة قسم الفيزياء بكلية العلوم بتونس وإن كان لا يوجد بها متخصص في المعلومات ؛ فإنها تتميز بوجود متخصص في الفيزياء (متحصل على الإجازة أو البكالوريوس) قادر على فهم حاجات الفيزيائيين من المعلومات ، في حين بقيت مكتبة قسم الكيمياء محرومة من خدمات متخصصين في المعلومات إذ لا يشتغل بها سوى معاونين لم يتلقيا أي تكوين في مجال التوثيق والمعلومات .

ومهما يكن من أمر فإن نسبة المستفيدين الذين يستشيرون أعوان المكتبة ضعيفة (٢٣,٤٠ ٪ أحياناً والبقية إما نادراً أو أبداً ٧٦,٦٠ ٪) . وتجيب المجموعة الثانية من هؤلاء المدرسين الباحثين عن أسباب قلة أو عدم التجائهم إلى المكتبي فتذكر بأن العاملين بالمكتبة غير مؤهلين للإجابة عن أسئلتهم (٧٠,٢ ٪) وخاصة في مكتبتي الفيزياء (٧٦,٧٤ ٪) ، والكيمياء (٨٤,٦١ ٪) ، وهو ما يدعم الرأي المتعلق بعدم اختصاص الأعوان الذي سبق أن ذكرناه . أما عن أسباب عدم التجاء بعض الأطباء إلى المكتبي فيعود ذلك حسب إجاباتهم إلى عدم تفرغه للإجابة عن الأسئلة المرجعية (١٧,٦٤ ٪) .

رسم رقم ١٤ : الصعوبات المتعلقة بالبحث عن المعلومات داخل المكتبة



تكمن أهم الصعوبات التي يعترضها المدرسون الباحثون أثناء البحث عن المعلومات داخل المكتبة في نقص المجموعات داخل المكتبات الثلاث ، وفي تأخر وصول أعداد الدوريات العلمية التقنية لسنتي ١٩٩٠ - ١٩٩١ (٤٠,٤٢٪) ، وهذا التأخر الذي يشتكي منه المستفيدون يعود إلى عدم احترام مجمع الشراءات لالتزاماته المتعلقة بإرسال الدوريات للمكتبات الجامعية . ومن أهم العراقيل كذلك التي تعيق عملية البحث عن المعلومات يذكر مجتمع الدراسة صعوبة استخدام الفهارس البطاقية (٤٦,٨٠ ٪) وعند تفحصها اتضحت النقائص التي تعاني منها هذه

الفهارس المتمثلة بالخصوص في سوء اختيار رؤوس الموضوعات ، وسوء تنظيم البطاقات وعدم تحديث هذه الفهارس رغم أهميتها في عملية البحث عن المعلومات .

ومن بين العراقيل الأخرى ذكر المستفيدون غياب قاعة مطالعة في مكتبة كلية الطب (٢١,٢٧ ٪) ، وسوء تنظيم قاعات المراجع (١٧,٠٢ ٪) .

رسم رقم ١٥ : أسباب الصعوبات التي تعترض المستفيدين عند البحث عن المعلومات



تتمثل أهم أسباب الصعوبات التي تعيق عملية البحث عن المعلومات في المكتبة حسب رأي المدرسين في نقص الأعوان المتخصصين ، الأمر الذي تسبب في سوء إدارة المكتبات . وعلاوة على ذلك هناك أسباب تتعلق بإيصال المعلومات ، وبالعلاقة مع الأعوان . وهذه الأسباب مرتبطة بالسبب الأول إذ أنه بدون عدد كاف من العاملين المتخصصين تكون خدمات المعلومات غير جيدة مثل الخدمة المرجعية والعلاقات العامة وتسويق المعلومات . هناك أسباب أخرى تعرقل عملية البحث مثل نقص تدريب المدرسين الباحثين على استخدام المكتبة والنقص الفادح في مجموعات المكتبات ، وخاصة الدوريات .

٣.٢.٣ - إعلام المستفيدين بآخر مقتنيات المكتبة .

عبر أغلب المدرسين الباحثين (خاصة في الطب والفيزياء) ، بأنه لا يتم إعلامهم بآخر مقتنيات مكتباتهم ، ويبدو أن الكيميائيين هم الأكثر حظاً ، إذ يتم إعلامهم بفضل الجناح المخصص لعرض آخر مقتنيات مكتبة القسم .

رسم رقم ١٦ : الوسائل التي تستعملها المكتبة لإعلام المدرسين الباحثين بآخر مقتنياتها



عندما تسعى المكتبات الثلاث إلى التعريف بآخر مقتنياتها ، فإنها تستخدم بالخصوص الوسائل التالية : تقنيات عرض المقتنيات الجديدة (٢٩,٧٨ ٪) ، والاتصال الشخصي (١٧,٠٢ ٪) . إلا أنه من الملاحظ أن هناك وسائل أخرى مهمة لم تستغلها هذه المكتبات بالقدر الكافي مثل قائمة محتويات المجلات والمعلقات . هذا على الرغم من أنها في متناول أية مكتبة ولا تتطلب إمكانات مهمة ، ويبدو أن القضية مرتبطة بالخصوص بالعقليات وبإهمال تقنيات تسويق المعلومات التي تدعو إلى الذهاب إلى المستفيد وإيصال المعلومات إليه عوض انتظار مجيئه إلى مكتب العون .

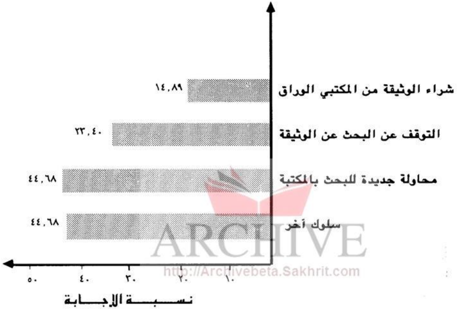
٢ . ٣ . ٤ - سلوك المدرسين الباحثين عند الكشف عن المعلومات .

أثبت البحث أن الأغلبية الساحقة من المدرسين الباحثين يخفقون في العثور عن المعلومات التي يحتاجون إليها (٩٧,٨٧ ٪) ، وهذه الظاهرة يمكن أن تحدث حتى في أفضل المكتبات في العالم إلا أنها تصبح غير عادية عندما تتكرر في أحيان كثيرة (٩١,٤٨٪) ، كما هو الحال في مكتبات الطب والفيزياء والكيمياء .

ويمكن تفسير ذلك ببعض الأسباب منها : نقص مجموعات الكتب والدوريات وغياب أو نقص وسائل الكشف عن المعلومات مثل الفهارس البطاقية ، وغياب أقسام

المراجع ، والعلاقات العامة للإجابة عن الأسئلة المرجعية للمستفيدين وغياب خدمة الإعارة بين المكتبات باستثناء مكتبة كلية الطب وغياب أو نقص في الفهارس الموحدة ودروات تدريب المستفيدين .

رسم رقم ١٧ : سلوك المدرسين الباحثين عندما تعترضهم صعوبات للكشف عن المعلومات بالمكتبة



عبَّر أغلب المستفيدين عن عدم التوقف عندما تعترضهم صعوبات أثناء البحث عن الوثائق التي يحتاجون إليها فهم يعيدون الكرّة للعثور عليها بمكتبة القسم (٤٤,٦٨ ٪) ، أو يذهبون للبحث عنها بمكتبة أخرى ، أو يلتجئون إلى خدمة الإعارة بين المكتبات أو يقتنون الوثيقة من الخارج (٤٤,٦٨ ٪) .

إن هذا السلوك يدل على أن المدرسين الباحثين لا ينتابهم اليأس عند البحث عن المعلومات العلمية والتقنية إذ يبذلون كل ما في وسعهم لتلبية حاجاتهم إلى المعلومات . وعلى مستوى آخر نستنتج من حرص المستفيد على إعادة البحث عن وعاء المعلومات بمكتبة القسم ، أو الكلية مدى ما يوليه من مكانة متميزة للوحدة التوثيقية التي يرتادها رغم النقائص التي تعاني منها .

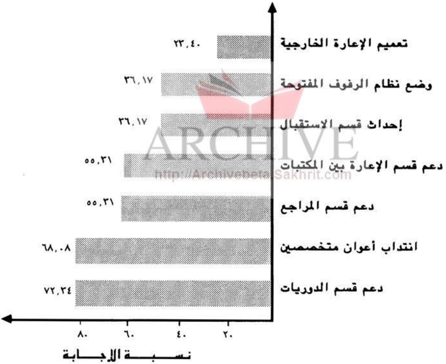
٢ . ٣ . ٩ - مهام وصفات المكتبي حسب المستفيدين :

إن دور المكتبي كما يراه المدرسون الباحثون يختلف حسب الاختصاص ، وإذا اتفقوا على أنه من أبرز مهام المكتبي جمع ومعالجة المعلومات (٦٨,٠٨ ٪) ؛ فإنهم يختلفون في الرؤى بالنسبة للوظائف الأخرى ، ويبدو أن تأكيدهم على المهمة الأولى كان نتيجة ما لمسوه من نقص في المجموعات المكتبية ، وسوء تنظيمها لهذا فهم يأملون من المكتبي أن يسعى إلى تفادي هذه النقائص . بالإضافة إلى ذلك يؤكد الأطباء علي ضرورة اهتمام المكتبي بالإجابة

عن أسئلة الباحثين وباسترجاع المعلومات .

وللقيام بهذه المهام على أحسن وجه ذكر المستفيدون الصفات والخصال التي يجب - حسب رأيهم - أن توجد في أعوان المكتبة ، وقد أكدوا بالخصوص على ضرورة تخصص العاملين في مجال المعلومات (٥٥,٣١ ٪) حتى يتمكنوا من الاستجابة لحاجاتهم الدقيقة إلى المعلومات كما ركزوا - وخاصة الأطباء منهم - على أهمية اكتسابهم لخبرة مهنية واسعة (٥٩,٥٧ ٪) ، وأخيراً أشار المدرسون الباحثون بدرجة أقل إلى صفة أخرى وهي حب الاطلاع (Curiosity) لدى المكتبي (٢٧,٦٥ ٪) .

رسم رقم ١٨ : اقتراحات المدرسين الباحثين لتحسين خدمات المكتبة



ترمي الاقتراحات التي قدمها المدرسون الباحثون إلى تجاوز العقبات التي تعاني منها المكتبات ، لذلك يوصون بدعم أو إحداث أقسام للدوريات والمراجع ، أو الإعارة بين المكتبات والاستقبال . كما يقترحون أيضاً انتداب أعوان متخصصين في المكتبات والمعلومات ، واستبدال النظام الحالي بنظام الرفوف المفتوحة ، وتعميم خدمة الإعارة الخارجية ، وتقديم تسهيلات في خدمات النسخ والتصوير ، وأخيراً إدخال الحاسب الآلي بالمكتبة .

إن هذه التوصيات تعبّر عن عمق وعي المستفيدين بالمشكلات التي تعيق المكتبة من تحسين خدماتها ، وتهدف إلى تمكين المكتبة من أن تلعب دورها بوصفها مؤسسة اجتماعية لها دور مهم يتمثل في إيصال المعلومات إلى أعوان اجتماعيين لتلبية حاجاتهم المعلوماتية .

٣ - خلاصة وخاتمة :

يهدف هذا البحث إلى دراسة سلوك المدرسين الباحثين التونسيين في الطب والفيزياء والكيمياء تجاه المعلومات ، وذلك من خلال تحليل درجات استخدامهم للمصادر النظامية وغير النظامية للمعلومات والوسائل التي يعتمدونها للتعرف على المعلومات التي يحتاجون إليها . وتتناول هذه الدراسة أيضاً بالبحث مدى استخدام المكتبات الجامعية لتقنيات التسويق لتلبية حاجات المستفيدين إلى المعلومات .

وللحصول على بيانات مباشرة من هذه الفئة من المستفيدين أجريت دراسة ميدانية بواسطة استبيان شمل ثمانين مدرساً باحثاً تونسياً يعملون بكلية الطب بتونس وبقسمي الفيزياء والكيمياء بكلية العلوم بتونس . وقد أجاب عن هذا الاستبيان ٤٧ باحثاً فكانت نسبة الإجابة ٥٨,٧٥ ٪ . وفي ختام هذا العمل سنحاول تقديم أهم نتائج هذه الدراسة .

فيما يتعلق باستخدام مصادر المعلومات في ميدان التدريس ، تبين أن الأطباء والكيميائيين والفيزيائيين يحصلون على المعلومات من المصادر غير النظامية أكثر من المصادر النظامية لتلبية حاجاتهم من المعلومات ، بغرض إعداد المحاضرات . أما عن أهم المصادر النظامية فقد اتضح أن المدرسين يفضلون الدوريات العلمية والمراجع والرسائل الجامعية والببليوجرافيات . في حين يميل هؤلاء المستفيدين إلى مصدرين غير نظاميين أساسيين ، وهما الوثائق الشخصية والاتصالات الشخصية . ويمكن تفسير هذه الظاهرة بسهولة الوصول إلى هذه المصادر وتوفرها وملاءمتها لحاجات المدرسين . ويبدو أن الفيزيائيين هم أكثر نهماً للمعلومات - بقطع النظر عن المصادر النظامية وغير النظامية التي يستخدمونها - من زملائهم في الطب والكيمياء . وفي المقابل يلاحظ أن الكيميائيين هم أقل نهماً للمعلومات من الآخرين ، بما أن معدل درجة استخدامهم لمصادر المعلومات هو أضعف المعدلات . وهذه النزعة قد تعود إلى طبيعة برامج تدريس الكيمياء التي تفضل الجانب التطبيقي (تجارب في المخابر وحصص أشغال تطبيقية) على الجانب النظري .

أما بخصوص استخدام مصادر المعلومات بغرض البحث العلمي فقد تبين أن معدلات درجات استخدام المصادر النظامية وغير النظامية للمعلومات متقاربة مع المعدلات المتعلقة بالتدريس . إلا أن هناك اختلافاً في سلوك المدرسين الباحثين في الطب من جهة وزملائم في الفيزياء والكيمياء من جهة أخرى . فإذا كان الأطباء يستخدمون بالدرجة نفسها تقريباً المصادر النظامية وغير النظامية في أغراض التدريس والبحث ، فإن الفيزيائيين والكيميائيين يفضلون المصادر غير النظامية لإعداد المحاضرات والمصادر النظامية لإنجاز البحوث العلمية . وتعد هذه النتيجة غير عادية إذ أنها لا تتطابق مع نتائج دراسات مماثلة أجريت في الغرب . فقد أجمعت هذه الدراسات على أن المدرسين بالجامعة يميلون بشكل عام إلى استخدام المصادر النظامية ، وأن الباحثين يفضلون بصفة عامة المصادر غير النظامية .

أظهرت الدراسة من ناحية أخرى أن استخدام المصادر النظامية وغير النظامية للمعلومات يختلف حسب المراحل التقليدية لمشروع البحث (أي الإشكالية وجمع البيانات وتحليلها) . ذلك أن الباحثين في الاختصاصات الثلاثة يحاولون في مرحلة أولى جمع الأفكار التي يمكن أن تساعدهم في صياغة الإشكالية (أسئلة البحث والفرضيات) ، وضبط مختلف أوجه المسألة والانطلاق من

حيث توقفت البحوث السابقة . ولتلبية احتياجاتهم في هذه المرحلة يلتجئ الباحثون إلى بعض المصادر مثل الدوريات العلمية والتقنية والببليوجرافيات والرسائل ، والاتصال الشخصي والوثائق الشخصية والندوات . أما في المرحلة الأخيرة من مشروع البحث (تحليل المعلومات) ، فإن المستفيدين يبحثون عن معلومات تمكنهم من تفسير نتائج الدراسة وهم يستخدمون لذلك الغرض الدوريات العلمية والتقنية وتقارير البحوث والرسائل والاتصال الشخصي والندوات والوثائق الشخصية .

وعلى غرار ما لوحظ في ميدان التدريس فإن حاجات الكيميائيين من المعلومات بغرض إنجاز البحوث تبدو أقل أهمية من الأطباء والفيزيائيين . ويمكن تفسير هذه الظاهرة بطبيعة البحث في مجال الكيمياء الذي يعتمد على التجارب في المخابر حيث يمكن أن تكون التجربة في حد ذاتها مصدراً مهماً من مصادر المعلومات .

بخصوص المصادر التي تساعد على الكشف عن المعلومات أظهرت الدراسة أن المدرسين الباحثين في الطب والكيمياء والفيزياء يفضلون في هذا المجال المصادر النظامية للمعلومات (مقالات الدوريات والببليوجرافيات) . وأن الصدفة تلعب دوراً مهماً في التعرف على المعلومات في العلوم الأساسية بما أن أربعة مصادر من بين سبعة يجد فيها المستفيد ضالته عن طريق الصدفة وليس عن طريق البحث المنهجي (إشارات مرجعية مأخوذة من مقالات وكتب وإشارات يقدمها الزملاء في القسم ، مراجعات الكتب ، معلومات يقدمها أشخاص أجانب عن القسم) .

فيما يتعلق باستخدام المكتبة بيّنت الدراسة أن أغلبية المستفيدين يلتجئون إلى خدمات المكتبي إلا أن درجة استشارته تختلف حسب اختصاص المدرسين الباحثين ، فالأطباء يطلبون المساعدة من المكتبي أكثر من الفيزيائيين والكيميائيين ؛ نظراً لأن مكتبة كليتهم تضم متخصصين اثنين في المعلومات .

وتعترض المستفيدين صعوبات عند البحث عن المعلومات بالمكتبة تتمثل في نقص المجموعات المكتبية ، وسوء تنظيم الفهارس البطاقية ، وغياب قسم المراجع وغيرها . وتعود أسباب هذه العراقيل بالخصوص إلى نقص أو غياب أعوان متخصصين ، وعدم وجود تقاليد في مجال إيصال المعلومات ، وهكذا فإن المكتبات الثلاث لا تعرف جيداً حاجات مستفيديها وفي المقابل لا يعرف المدرسون الباحثون طرق عمل هذه المكتبات في غياب قوائم المقتنيات الجديدة ، وأدلة استخدام المكتبة ، ودورات تدريب المستفيدين وغيرها . وتكشف الدراسة كذلك عن عدم دراية العاملين بالمكتبات الثلاث بتقنيات تسويق المعلومات ، وهذه المعرفة كان بإمكانها أن تساعد على النهوض بخدمات المكتبات وتحسين طرق تسييرها وإدارتها .

وعلى مستوى آخر يرى المدرسون الباحثون أن على المكتبي أن يولي اهتماماً كبيراً إلى جمع ومعالجة المعلومات نظراً لحالة المجموعات المكتبية التي تعاني من سوء الإدارة ومن عدة ثغرات . ومن المهام الأخرى للمكتبي كما يراها الأطباء هي الرد على استفسارات الباحثين الذين ليس لديهم الوقت الكافي للبحث عن المعلومات ، وللقيام بهذه المهام يجب على المكتبي حسب المدرسين الباحثين أن يتحلى بعدة صفات منها التخصص في مجال المكتبات والمعلومات ، واكتساب خبرة مهنية مهمة وحب الاطلاع (Curiosity) .

التوصيات

نقدم فيما يلي مجموعة من التوصيات لتحسين خدمات المكتبات الجامعية التونسية ، وتوجد من ضمنها توصيات وردت في إجابات المستفيدين عن الاستبيان :

١ - انتداب أعوان متخصصين في المعلومات بغرض تحسين طرق تيسير وإدارة المكتبات الجامعية .

٢ - السهر على إقامة دورات للتكوين المستمر للعاملين غير المتخصصين حالياً .

٣ - العمل على احترام المواصفات الدولية المتعلقة بنسب

المتخصصين العاملين بالمكتبات الجامعية مع غير المتخصصين.

٤ – إحداث أو إعادة تنظيم أقسام الاستقبال والمراجع والدوريات والاستنساخ بالمكتبة .

٥ – السعي إلى إدخال الحاسب الآلي إلى المكتبات بقصد تطوير الشبكة الوطنية للمعلومات العلمية والتقنية ، ودفع التعاون بين مكتبات الدراسة والبحث .

٦ – استخدام تقنيات تسويق المعلومات في المكتبات الجامعية (معلقات ، وقائمة محتويات المجلات ، والبث الانتقائي للمعلومات وقوائم المقتنيات الجديدة ، ودليل المكتبة والاهتمام بالعلاقات العامة وتطوير خدمة الإعارة الخارجية ، وإحداث نظام الرفوف المفتوحة ، والقيام بتقويم مستمر للخدمات) .

٧ – القيام بانتظام بدراسات حول حاجات المستفيدين بالمكتبات الجامعية .

٨ – تدريب المستفيدين على استخدام المكتبة واختيار الطرق الملائمة للبحث عن المعلومات .

٩ – إعلام المدرسين الباحثين بمختلف الندوات واللقاءات العلمية التي تعقد بتونس وبالخارج .

مصادر البحث

1 -W.E. GARVEY and B.C. GRIFFITH .- "communication in a science : the system and its modification" .- In **comunication in science** .- Edited by A. De Ruck and J.Knight .- Boston : Little Brown and Company, 1967 .- p. 22 .

2 -**Ibid .**

3 -Sihem DAMI .- "Analyse des besoins et des profils des usagers : cas de la bibliothe`que de la faculte` de me`decine de Tunis".- Tunis : Institut de Presse et des sciences de l'information, 1991 (Me`moire de maitrise) .

4 -Abdelmajid BOUAZZA : Use of information sources by physical scientists, social scientists and humanities scholars at Carnegie-Mellon University.- ph . D . Dissertation, University of Pittsburgh, 1986 . p . 39 -40 .

5 - Lois DEBOUT et al .- "user studies in humanities : a survey and a proposal" .- R Q . 15 (1975) .- p . 43 .

6 - John MARTYN. "Information Needs and Uses." .- **Annuel Review of information sciene and technology**, 9 (1974) . 3 .

7 - Rakia ENNAIFAR .- "Utilisation des sources d'information par les enseignants - chercheurs a` l' Ecole Nationale d'Inge`nieurs de Tunis" .- Tunis: Institut Supe`rieur de Documentation, 1990 (Me`moire de fin d'e`tudes universitaires) .

8 - Sihem DAMI .- "Analyse" .- op . cit .

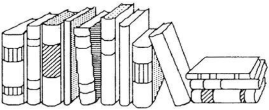
9 - Re`jean SAVARD .- **Principes directeurs pour l'enseignement du marketing dans la formation des bibliothe`caires, documentalistes et archivistes** .- Paris : Unesco, 1988 .- 128 p (PGI - 88 / W S / 1) .

10-Abdemajid BOUAZZA .- "Le marketing au service des bibliothe`ques" .- **Revue Maghrebine de Documentation, 3** (1985) .- p . 65 - 82 .

11-Nardeosingh RAMBHUJUN .- "Le marketing des bibliothe`ques universitaires" .- **Bulletin des Bibliothe`ques de France**, t . 29, n .1 (1984) .- p 4 - 15 .

12-Najoua DJERAD .- "La Gestion des services d'information dans une approche marketing : un ple`onasme" .- Tunis,1991 (texte dactylographie`) .

13-Abdelmajid BOUAZZA .- Use of information sources ... **o p . cit** .





دور السريان في نقل التراث الفلسفي والعلمي اليوناني [إلى العربية] والاستفادة منه

جيرار تروبو Gèrard Troupeau

ترجمه وقدّم له وعلّق عليه
محمد خير البقاعي

أضواء على النص المترجم

نُشر النصّ الذي نقدّمه اليوم لقُرّاء العربية في مجلة أرابيكا ARABICA مجلة الدراسات العربية (١٠) .

كاتب المقالة هو المستشرق الفرنسي الأستاذ جيرار تروبو Gèrard Troupeau أستاذ العربية في مدرسة اللغات الشرقية في باريس ، ويعرفه العالم العربي دارساً للنحو العربي في بداياته الأولى .

وتتضمّن المقالة على قصرها فيضاً من المعلومات التي تُطْلِعُه على موضوعها وهو مُتشعّب المسالك، كثير المنزلقات .

لقد وجدنا أنّ كثيراً من الأماكن جاءت دون تعريف وهي تكاد تخفى على كثير من المثقفين بله القارئ العادي؛ لذلك وجدنا من المفيد التعليق على ما رأيناه بحاجة إلى ذلك ثم أحلنا في الكتب التي رجع إليها المؤلف إلى طبعات أخرى أو مصورة عن تلك .

ونستَغِلُّ فرصة تقديم هذه المقالة للقارئ العربي لِنُنَبّه على أمرين هما على جانب من الأهمية كبير تتعلّقان بعلاقة العالم العربي مع غرْب البارحة وغرب اليوم . ونعني بغرب البارحة اليونان الذين ساروا بالمعارف الإنسانية دون شك أشواطًا ، ولكنّ حضارتهم لم تكن وليدة فراغ كما يحلو لبعض غربيي اليوم أن يقولوا ؛ بل إنّها كانت وريثة شرعية أو غير شرعية لحضارات نشأت في مناطق موزعة في العالم العربي الذي هو الوريث الشرعي لحضارة المصريين القدماء والآراميين والبابليين وغيرها من حضارة سورية وبلاد الرافدين ، أوّل هذين الأمرين :

= أنّ السريان الذين نقلوا التراث اليوناني إلى العربية هم أصحاب حضارة موغلة في القدم ، إنّها حضارة واحدة وأسماء متعدّدة ، وليست الحضارة العربية إلاّ الحالة الأخيرة لحضارات شعوب إنْ لَمْ نُسَمِّها عربية ؛ لأنّ هذه التسمية كما ذكرنا هي المآل فَلْنُسَمِّها كما اصْطلح على ذلك سامية ولنَقُلْ خلافًا لما قاله ولفنستون إنّ اللغة العربية هي مُسْتَوْدع أسرار الساميين .

= وثانيهما : أنّنا يجب أنْ نتنبّه في معالجة كثير من الأمور التي تَمَسُّ تاريخنا ؛ لأنّ المصطلحات والمناهج التي تُستَخْدم في هذا المجال هي نتاج المستشرقين الذين تواضعوا على مصطلحات معينة ومناهج مُحَدّدة يجب ألاّ نمضي أعمارنا في نقدها والتشنيع على أصحابها ، وإنّما علينا أنْ نستبدل بها مصطلحات عربية ومناهج عربية تستطيع أن تقف على قدمَيْها حينئذٍ سيكون على الذين لا نكف عن اتهام نيّاتهم وعلومهم أنْ يستخدموا مناهجنا ومصطلحاتنا التي رضيناها في الحديث عن حضارتنا وتاريخنا ، ولكنّنا حتى ذلك اليوم سنبقى عيالاً على مناهجهم ومصطلحاتهم نتفاوت في الاعتماد عليها ، ولكنّ طيفها موجود ولا محيد عنها لدارس أو باحث .

هذا جملة ما أردنا قوله بين يدي هذا البحث الذي

نرجو أنْ يجد المهتمون فيه بعض ما يفيد ؛ والله من وراء القصد .

النص

إنَّ مِنْ تمام الفائدة قبل أنْ ندرس دور السريان (٥٢) في نقل التراث اليوناني في الفلسفة والعلم وفي الاستفادة منه أنْ نُحدّد ماذا نعني بـ «السريان» .

نعني بـ «السريان» الآراميين المسيحيين الذين انتشروا في سورية وبلاد الرافدين ، والذين كانت لغتهم الأدبية منذ اعتناقهم المسيحية اللهجة الآرامية للرُّها (٥٣) وبعبارة أخرى اللغة السريانية Le Syriaque .

ينقسم السريان من وجهة نظر لغوية إلى مجموعتين: السريان الغربيون ، والسريان الشرقيون .

وينقسمون من وجهة نظر كَنَسيّة إلى ثلاثة مذاهب :

النساطرة ، واليعاقبة ، والموارنة .

أمّا الملكيّون فهم آراميّون تبنّوا الثقافة الهيلينية ، والعرب تسميهم «الروم» ؛ ولا يمكن أنْ نَعُدَّهم سريانًا وهذا سبب خُلوّ مقالنا هذا من الحديث عنهم . ونُميِّز في دراسة نقل السريان التراث اليوناني مرحلتين :

الأولى : قبل الفتح العربي وتمتدّ هذه الفترة من القرن الخامس إلى القرن السابع ، وهي مرحلة النقل من اليونانية إلى السريانية .

الثانية : هي مرحلة ما بعد الفتح العربي من القرن الثامن حتى القرن الحادي عشر ، وهي مرحلة النقل من اليونانية إلى السريانية فالعربية ومن السريانية إلى العربية.

وشرع السريان بترجمة الكتب اليونانية الفلسفية والعلمية القديمة إلى لغتهم منذ القرن الخامس ، ووصلت هذه الكتب إليهم بواسطة المدارس الهيلينيّة في سورية ومدارس أنطاكية بشكل خاص .

وقد نشأت هذه الحركة في النصف الأوّل من القرن الخامس في مدرسة الرُّها المشهورة ، والرُّها عاصمة إقليم أوسروين (٤) كما تذكر التقاليد .

وكان أوّل مَنْ ترجم بعض كتب الأورغانون organon وشرحها ثلاثة أساتذة ممّن كانوا يُعلّمون في تلك المدرسة وهم Ibas و Koumi و Probus ، وكان الأورغانون ممّا يُدَرّس في مدرسة الرُّها إلى جانب كتابات رجال الدين في اللاهوت والتفسير ككتابات Thèodore de Mopsueste مثلاً . ونَدين لـ Ibas بأقدم ترجمة لإيساغوجي ، وللتأويل L'Hermèneutique وتحليل القياس الأول (أنالوطيقا) Analytiques .

وتابع سيرجيوس Sergius (ت ٥٣٦) حركة الترجمة ، وكان طبيبًا يعقوبيًا ؛ بل رئيس أطباء مدينة رأس العين الواقعة في بلاد الرافدين الجنوبية بعد أنْ دَرَس اليونانية والطب في الإسكندريّة ، وقد ترجم Sergius كتاب المقولات (٥٥) Les Catègories ، وكتاب إيساغوجي ، وكتابين صغيرين منسوبين لأرسطو ؛ الأوّل في الكون ، والثاني في النفس ، وعمل أيضًا شرحًا للكُلّيات ولعدد من الكتب الفلسفية الصغيرة .

ونحن ندري بطريق حنين بن إسحاق أنّ Sergius ترجم تسعة وعشرين كتابًا صغيرًا لـ Galien ، وخصوصًا كتاب (مقالة في المفردات ، وكتاب الفنّ الطبي وكتاب تنوى العناصر) واثني عشر كتابًا لأ بقراط Hippocrate . وكانت هذه التراجم موجودة في عهد حنين؛ لأنّه راجع بعضًا منها .

وترجم Sergius أيضًا في مجال العلوم الطبيعية الجيوبونيك LesGèoponiques وهي عبارة عن مجموعة مقالات في الزراعة .

وألف سرياني يعقوبي آخر في حوالي نهاية القرن السادس هو Ahudemmeh أحودميه (ت ٥٧٥) ، وكان كبير أساقفة تكريت ، كتابًا في تعريفات مفاهيم المنطق كلها .

وانتقل في القرن السابع مركز الترجمة نحو الغرب

ليَسْتَقِرَّ في الدير اليعقوبي قنسريّ (٦) الواقع على الشاطئ الأيسر للفرات مقابل جرابلس .

وكان يعمل في هذا الدير أربعة من كبار علماء السريان هم : Sèvère Seboht (ت ٦٦٧) صاحب الشروح على التأويل L' Hermèneutique ، وعلى تحليل القياس الأول :-Les Premiers Analytiques ، وعلى الخطابة .

والثاني هو : Athanase de Balad (ت ٦٩٦) مترجم الإيساغوجي .

والثالث: جاك الرُّهاوي Jacqaes l'Edesse(ت٧٠٨) مؤلف معجم المصطلحات التقنية الفلسفية .

والرابع هو: جورج العرب Georges des Arabes (ت ٧٢٤) سُمّي بذلك ؛ لأنّه كان راهب قبائل عرب الجزيرة وهو مترجم الكتب الثلاثة الأولى من الأرغانون .

أمّا عند السريان النساطرة في النصف الثاني من القرن السابع فقد ألّف عننيشوع Ananisu كتابًا في تعريفات المنطق وتقسيماته ، وألف الكاثوليكي حنا نيشوع الأول Hananisu 1 (ت ٧٠١) شرحًا لتحليل القياس الأول Les Premiers Analytiques .

ونستطيع في نهاية هذه المرحلة أنْ نُسَجّل بعض الملاحظات على نشاط السريان في نقل التراث اليوناني .

لقد ترجم السريان في مجال الفلسفة عددًا من مجموعات الأمثال والحوارات المنسوبة لفلاسفة مثل بيثاغور Pythagore ، وأفلاطون Platon ، وسقراط Socrate وبلوتارك Plutarque .

إلاّ أنّ اهتمامهم كان مُنصبًّا على كتب أرسطو Aristote ، وخصوصًا حول الكتب الثلاثة الأولى من الأورغانون (٧) L' Organon، فكثرت شروحها عندهم.

إنّ هذا الاهتمام الكبير بمنطق أرسطو ترك آثاره الواضحة في تطور الفلسفة عند العرب الذين لم يختاروا أرسطو وإنّما فرضه عليهم السريان ؛ لأنّ هؤلاء كانوا قَبْلُ قَدْ ترجموا قسمًا من كتبه وشروحها وعلّموها في مدارسهم التي كانت منظمة على مثال مدرسة الرُّها .

وأنهى السريان بعد الفتح العربي ترجمة كتب أرسطو إلى السريانية وإلى العربية وتابعوا شرحه وتدريسه .

وكان لسيرغيوس الرأسي عَيْنيّ (٨) Sergius de Res ayna الفضل الكبير في نقل كتب أبقراط Hippocrate وجالينوس Galien الطبية من الإسكندرية إلى بلاد الرافدين ، وعَرّف السريان بها فأدخلها هؤلاء في مناهج مدرسة جنديسابور Jundisabur .

وفرض الأطباء السريان الذين تعلّموا في هذه المدرسة على العالم العربي طِبَّ أبقراط Hippocrate وجالينوس Galien .

أمّا في العلوم الأخرى كالرياضيات والفلك فيبدو أنّ السريان لم يعيروهما اهتمامًا كبيرًا؛ لأنّ الكتب المهمة التي ترجمت إلى السريانية في هذه المدة الأولى كانت قليلة .

واستمرت بعد الفتح العربي عند السريان ترجمة الكتب اليونانية القديمة الفلسفية والعلمية .

وفي حين أنّ الترجمة من القرن الخامس إلى السابع كانت تتم حصرًا من اليونانية إلى السريانية ، فإنّها منذ القرن الثامن صارت من اليونانية إلى العربية ومن السريانية إلى العربية .

كان علماء السريان في القرنين الثامن والتاسع يترجمون من اليونانية إلى السريانية ، ومن اليونانية إلى العربية ، ولكنّهم كانوا يُفَضّلون الترجمة من اليونانية إلى السريانية ثم إلى العربية ؛ كما كان يفعل حنين بن إسحاق أمّا في القرن العاشر فلم يَعُدْ علماء السريان يعرفون اليونانية فوجّهوا اهتمامهم إلى الترجمة من السريانية إلى العربية .

وتابع الترجمة من اليونانية إلى العربية الملكيون «الروم» الذين كانت اليونانية لغتهم الأدبية وانصبّ اهتمامهم خصوصًا على كتب الفلكيين والرياضيين اليونانيين وصار دور العلماء السريان في المرحلة الثانية ذا ثلاثة جوانب هدفها نقل التراث اليوناني والاستفادة منه، ونعني الترجمة والاختصار والشرح . إنّ اهتمام السريان

بالترجمة معروف ومُجْمَعٌ عليه ، ولكن لكي نُقدّر أهمية هذا الجانب من نشاطاتهم علينا أنْ نتساءل عن نسبة السريان بين المترجمين العاملين من نهاية القرن الثامن وحتّى نهاية القرن العاشر .

ليس بحوزتنا اليوم قائمة جامعة للمترجمين في هذه المدة إلاّ أننا نعرف قائمتين تُكمّل إحداهما الأخرى وتقدمان لنا عدداً كبيراً من المترجمين . ويُقدّم ابن النديم أولى هاتين القائمتين وعنوانها «أسماء النقلة من اللغات إلى اللسان العربي» (٩) ، ولا يُحَدِّد ابن النديم أسماء هذه اللغات إلاّ أنّ هناك قرينة سياقية تدلّ أنّ المعنيّ هي اللغات اليونانية والسريانية ، وهي أنّ صاحب الفهرست يذكر بعد هذه القائمة قائمة أخرى بأسماء النقلة من الفارسي إلى العربي وتضم قائمة ابن النديم هذه سبعة وأربعين اسمًا . ويُقدِّم ابن أبي أصيبعة القائمة الثانية وعنوانها : «في طبقات الأطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي ، وذكر الذين نقلوا لهم» .

وتضم قائمة ابن أبي أصيبعة في حقيقة الأمر المترجمين عن السريانية إلى العربية أيضاً وتحتوي على تسعة وثلاثين اسماً (١٠) .

وتشترك القائمتان بذكر خمسة وعشرين اسمًا وينفرد ابن النديم بذكر اثنين وعشرين اسمًا (١١) وابن أبي أصيبعة بأربعة عشر .

وبذلك يكون حاصل ما تذكره القائمتان واحداً وستين اسمًا ينقسمون كما يلي : ٤٨ هم من السريان (٣٨ من النساطرة ، ٩ من اليعاقبة، ماروني واحد) ١١ من الملكيّين، صابئيّ واحد ، وفارسيّ .

وبذلك نرى أنّ السريان يُمثّلون نسبة ٧٨ بالمئة من المترجمين، ويأتي النساطرة في المقام الأوّل بنسبة ٦٢ بالمئة.

تُعَزِّز العملية الحسابية ما كُنّا نَظُنُّه عن الدور السرياني المتفوق عمومًا والنساطرة خصوصًا ، وكان من المهم أنْ نُحَدِّد ذلك الدور ونحسبه بدقة .

ولا تهدف هذه المقالة إلى دراسة أعمال كُلّ واحدٍ من الثمانية والأربعين مترجمًا على حدة ؛ لأنّ كتب كبار المترجمين السريان من مدرسة حنين بن إسحاق ومدرسة يحيى بن عدي أضحت اليوم معروفة بفضل أعمال معاصرة .

وسأركز اهتمامي على ذكر بعض الملاحظات حول بعض المترجمين السريان المتقدمين الذين نعرف شيئًا عنهم، أو أنّ معلوماتنا عنهم قاصرة .

بدأ السريان في نهاية القرن الثامن ترجمة الأعمال الفلسفية والعلمية اليونانية إلى العربية (١٢) .

وأقدم هؤلاء المترجمين هو كاتوليكوس تيموتي Catholicos Timothèe الذي يخبرنا في رسالة مؤرخة بـ (٧٨٢) أنّه أنهى بمساعدة من يدعوه أبا نوح وبطلب من الخليفة المهدي ، ترجمة الأدوية الموضعية Les Topiques من السريانية إلى العربية ، وأنّه يبحث عن شروح سريانية لهذا الكتاب ولكتب أخرى هي السوفسطيقا de Sophistique ، والخطابة La Rhètorique ، والشعر La Poèthque .

وترجم سلاّم الأبرش في العصر نفسه الفيزياء La Phisique ؛ وكُنّا نَوَدّ أنْ يكون لدينا معلومات أكثر غنىً وأشد دقّة حول بعض المترجمين ممّن لا ينتسبون إلى مدرسة حنين بن إسحاق أمثال :

- ابن شهدي من الكَرْخ ، ترجم مقالة لأبقراط وثلاث مقالات لجالينوس .
- وأيوب الأبرش من الرُّها ، ترجم خمسًا وثلاثين مقالة من اليونانية إلى السريانية .
- وأيوب بن القاسم الرَّقيّ الذي ترجم الإيساغوجي .
- وثابت بن قمع مترجم مقالة لجالينوس ، وشملي الذي ترجم مقالة له أيضًا، وقسمًا من اللاهوت Thèolagie المنسوب لأرسطو .
- ويوحنّا بن يوسف مترجم مقالة لأفلاطون ، وإبراهيم بن الصلت (١٣) الذي ترجم القسم الأول من شرح ثيميستيوس Thèmistius للفيزياء ، وكذلك الكتب الثلاثة ومقالتين لجالينوس .

وكان للسريان دور المختصرين فضلاً عن الترجمة لأسباب تعليمية ، ويُعَدِّد ابن النديم في قائمة كتب الأورغانون أسماء النقلة والشراح ، ثم أسماء المختصرين وأسماء الجامعين وقد كانت المختصرات مُشَجرة أو غير مشجرة (١٤) . ويذكر ابن النديم ثمانية مختصرات للأورغانون أقدمها مختصران لابن المقفع ولابن بهريز اللذين عاشا في نهاية القرن الثامن وبداية التاسع .

وعبدالله بن المقفع مترجم كليلة ودمنة هو أول المختصرين من غير السريان وقد نشر له الدكتور دانيشهباز هوه Daneshpazhuh عام ١٩٧٨ في طهران مختصراً لإيساغوجي وللكتب الثلاثة الأولى من الأورغانون (١٥) .

ومما تجدر ملاحظته أنّ مؤرخي الفلسفة العربية يتمسكون بالقول إنّ محمد بن المقفع هو مترجم الأورغانون معتمدين على تصحيف في مخطوطة بيروت غير عابئين بالطبعة التي ذكرناها قبل قليل (١٦) .

وثاني المختصرين هو السرياني عبد يشوع بن بهريز، نسطوري ورئيس أساقفة الموصل ، صنع بطلب من الخليفة المأمون مختصراً للأورغانون عنوانه «كتاب حدود المنطق» .

وقد طبعه الدكتور دانيشهباز هوه أيضاً في ذيل مختصر ابن المقفع ، ولازال مؤرخو الفلسفة العربية يجهلونه.

وطبعة الدكتور دانيشهباز هوه ذات أهمية رئيسية في معرفة مختصرات الأورغانون هذه ؛ لأنّها تخبرنا بوساطة نسّاخ المخطوطة المستخدمة في هذه الطبعة أنّ البيزنطي الملكي إيليا Heliya كان قد لَخّص الكتب الأربعة الأولى من الأورغانون قبل ابن المقفع ، وأنّ أبا نوح معاون تيموتي Timothèe الذي أشرنا إليه قبل قليل وسلم الحرّاني مدير بيت الحكمة كانا قد لخصا الكتب الثلاثة الأولى من الأورغانون بعد ابن المقفع .

ويتضمن ملخصا ابن المقفع وابن بهريز لوحات تساعد على فهم المنطق بنظرة سريعة .

ونحن نعرف بوساطة ابن النديم وابن أبي أصيبعة أنّ الطبيب يوحنا بن ماسويه استخدم في كتابه «الحميات» (١٧) المنهج التعليمي المعتمد على التشجير واستخدمه أيضاً الفيلسوف قويري Quwayri في شرحه للأورغانون (١٨) ، والمترجم سعيد بن يعقوب الدمشقي في مقالته حول النبض (١٩) .

أمّا في مجال العلوم الفلكية فيشير ابن أبي أصيبعة إلى أنّ الطبيب اليعقوبي عيسى بن يحيى الجرجاني صنع مختصراً لكتاب المجسطي (٢٠) Almageste .

ولم يكن السريان مُجَرّد مُتَرْجِمين لكتب الفلاسفة والأطباء اليونان ومختصرين لها ، ولكنّهم كانوا أيضاً شراحاً ؛ إلاّ أنّ دورهم هذا - وهو بالتأكيد غاية في الأهمية - لم يُكْشَف النقاب عنه بَعْدُ ، ولم تُبْرَز قيمته الحقيقية وهذا يعود بلا شك إلى أنّ أكثر شروحهم قد ضاعت وانتهى إلينا منها عدد صغير لم يُطبع بعد .

وتخبرنا المصادر السريانية أنّ المؤلِّفَيْن النساطرة : أبراهام الكشكري Abraham de Kaskar في القرن الثامن ودنحا Danha في القرن التاسع ألّفا شروحاً بالسريانية لكتب أرسطو في المنطق .

أمّا المصادر العربية فتذكر أنّ أوّل الشراح السريان لكتاب الأورغانون هما الأستاذان : إبراهيم المروزي وإبراهيم القويري الحرّاني اللذان أنْهيا تدريس المنطق في بغداد في نهاية القرن التاسع .

ويذكر ابن النديم أنّ إبراهيم المروزي كان فاضلاً لكنّه كان سريانياً ، وجميع ماله في المنطق وغيره بالسريانية (٢١) .

وأمّا القويري فقد ألّف بحسب قول صاحب الفهرست شرحاً مشجراً لأربعة الكتب الأولى من الأورغانون ، ولكنّ ابن النديم يُضيف أنّ هذه الكتب كانت مطروحة مَجْفُوّة ؛ لأنّ عبارته كانت عفطية غلقة (٢٢) .

ويحتل إبراهيم قويري مكانة خاصة في تاريخ المنطق؛ لأنّه كان أول شارح سرياني لأنالوطيقا الثاني (تحليل القياس الثاني) .

ويأتي بعد ذلك كبار شرّاح المدرسة المنطقية السريانية في بغداد وهم متّى بن يونس في نهاية القرن التاسع ، ويحيى بن عدي وعلي بن زُرعة في القرن العاشر وعبدالله بن الطيب في القرن الحادي عشر .

ولمّا كانت كتب منطقيي القرن العاشر معروفة شائعة فإنني سأركّز هنا على كتب الآخرين التي لم يدرسها أحدٌ حتّىٰ يوم الناس هذا الدراسة التي تستحقها .

كان متّى بن يونس تلميذاً لإبراهيم المروزي وإبراهيم القويري ، ولكنّه درس باديءَ ذي بدء في مدرسة الدير النسطوري المعروف بدير قُنّى (٢٣) ، وشرح كتب المنطق الأربعة من الأورغانون بتمامها زيادة على أنّه ترجم كتب الأورغانون الثلاثة (أنالوطيقا الثاني ، والسوفسطيقا ، والشعر) ، وشرح كتابي أرسطو (الكون والفساد ، وكتاب السماء) ويقول ابن النديم : «وعليها يُعوّل الناس في القراءة» (٢٤) .

ويكتب القفطي عَنْ متّى بن يونس «عالم بالمنطق ، شارح له مكثر مطيل للكلام قصده التعليم والتفهيم ، وعلى كتبه وشروحه اعتماد أهل هذا الشأن في عصره ومصره» (٢٥) .

ونجد في الترجمة التي خَصّصها ابن خلّكان للفارابي معلومات مهمة عن الطريقة التي كان متى بن يونس يَتّبعها في شروحه ، يقول :

«ولمّا دخل بغداد (الفارابي) كان بها أبوبشر متّى بن يونس الحكيم المشهور ، وهو شيخٌ كبير ، وكان يقرأ الناس عليه فَنّ المنطق وله إذ ذاك صيت عظيم وشهرة وافية ، ويجتمع في حلقته كل يوم المئون من المشتغلين بالمنطق وهو يقرأ كتاب أرسطاطاليس في المنطق ويُملي على تلامذته شرحه ، فكُتب عنه في شرحه سبعون سفراً ، ولَمْ يكن في ذلك الوقت أحد مثله في فَنّه وكان حسن العبارة في تواليفه ، لطيف الإشارة ، وكان يَستعمل في تصانيفه البسط والتذليل (٢٦) حتىّ قال بعض علماء هذا الفن : ما أرى أبا نصر الفارابي أخذ طريق تفهيم المعاني الجزلة بالألفاظ السهلة إلاّ مِنْ أبي بشر يعني المذكور» (٢٧) .

وآخر مُمَثّلي مدرسة المنطق السريانية البغدادية هو عبدالله بن الطيب الذي كان طبيباً وفيلسوفاً في آن معاً وتَلْمذَ لعيسى بن زُرعة وللحسن بن سوار ، وفي حين كان أستاذاه لا يزالان يترجمان النصوص من السريانية إلى العربية في نهاية القرن العاشر ، كان هو يصنع شروحاً تسعة لكتب أرسطو الفلسفية وثلاثة وعشرين شرحاً لكتب أبقراط وجالينوس وحنين بن إسحاق الطبيّة . وكان مشهوراً على وجه الخصوص بشروحه على أنّه كتب سبع مقالات أصلية في موضوعات فلسفية وطبيّة حتى أنّ الشهر ستاني لَقّبه : المفسر (٢٨) .

وبعد هذا كلّه نعجبُ أنّ ما انتهى إلينا شرحان من شروحه الفلسفية في حين أنّ شروحه الطبية تكاد تكون وصلتنا كاملة .

ولنا أنْ نتساءل إذا ما كان هذا يعود إلى أنّ ابن سينا كان يمدح كتبه الطبية وينكر كتبه الفلسفية ؛ ولدينا في هذا الصدد شهادات متواترة لثلاثة مؤلفين أولهم البيهقي الذي يروي أنّ ابن سينا كان يذمُّه ويُهَجّن تصانيفه ويقول «من حقّ تصنيفه أنْ يُرَدّ على بايعه ويترك عليه ثمنه» .

وينحو البيهقي باللائمة على هذا الموقف ويُعيده إلى تحاسد يكون بين أهل العصر ويقول : «وأنا قد رأيت كتاباً لأبي الفرج في علل الأشياء واستفدت منه واعترفت بأنّه كان حكيماً» (٢٩) .

وثانيهم القفطي الذي يمدح المزايا التربوية لابن الطيب ويقف معه في وجه نُقّاده المشنّعين عليه ابن سينا وميمون ، فيقول : «وبسط القول في الكتب التي تولى شرحها بسطاً شافياً قصد به التعليم والتفهيم حتى لقد رأيت من ينتحل هذه الصناعة يذمُّه بالتطويل ، وكان هذا العائب يهودياً ضيق العطن (٣٠) قد وقف على عبارة ابن سينا ؛ فأمّا أنا وكل منصف فلا نقول إلاّ أنّ أبا الفرج بن الطيب قد أحيى من هذه العلوم ما دثر وأبان منها ما خفي» (٣١) .

وآخرهم ابن أبي أصيبعة الذي يُلحّ على الميزات المنهجية لابن الطيب «وشرح أيضاً كتباً كثيرة من كتب

أبقراط وجالينوس في صناعة الطب وكانت له مقدرة قوية في التصنيف وأكثر ما يوجد من تصانيفه كانت تنقل عنه إملاء من لفظه» (٣٢) .

وإنْ دلّت هذه الشهادات الإيجابية على شيء ؛ فإنّها تدلّ على أنّ رأي ابن سينا السلبي فيه لم يكن معاصروه من العلماء يؤيدونه فيه . وقد كان للعلماء السريان عدا عن كونهم مترجمين ومختصرين وشُرّاح دور رابع هو دور المعجميّين ؛ لأنّ كلّ تلك التراجم كانت بحاجة إلى عمل مُعجَميّ ضخم فكان أولئك العلماء ، إسهام منهم في تسهيل عمل المترجمين من اليونانية إلى السريانية ومن السريانية إلى العربية ، يصنعون معاجم حقيقية على نمط مجموعات الألفاظ «الغريبة» التي أُلّفت لحاجة التفسير والنحو إليها .

وقد وصلتنا ثلاثة كتب على هذا الطراز :

معجم حنين بن إسحاق وعنوانه «شرح كلمات يونانية باللغة السريانية» وقد أتمّه تلميذه عيسى بن علي (٣٣) .

ومعجم ابن بهلول (٣٤) الضخم في السريانية والعربية، ومعجم المصطلحات السريانية العربية لإيلي بن شينايا Elie Ibn Sinaya رئيس أساقفة نَصيبين Nisibi وعنوانه : «كتاب المُتَرجِم» (٣٥) .

وفي الختام نقول إنّ العلماء السريان لعبوا دورًا حاسمًا في نقل التراث اليوناني إلى العالم العربي وفي الاستفادة منه ؛ وذلك يعود إلى ما كانت تتمتع به تراجمهم ومختصراتهم وشروحهم من ميزات في الكمّ والكيف ، ناهيك عن تدريسهم .

ولكنْ بدأت أعداد السريان تتناقص منذ منتصف القرن الحادي عشر ممّا أدّى إلى انخفاض نشاطاتهم في مجال العلوم الوضعية وبدأوا يميلون إلى الاقتصار على العلوم الدينية .

وعلى ذلك يجد غريغوار بن العبري (٣٦) كبير أساقفة تكريت الشجاعة ليؤلف بالسريانية عددًا من الموسوعات التي لخص فيها الكتب الفلسفية والعلمية لليونان القديمة تلك الكتب التي كان أجداده قد أسهموا في التعريف بها مترجمين وشارحين (٣٧) .

الهوامش

١ * - المجلد الثامن والثلاثون لعام ١٩٩١ ، ص ١ - ١٠ وقد وضعنا قبل الحواشي التي زدناها إشارة (*) .

٢ * - اسم أطلقه اليونان على مُتَكَلّمي السريانية الذين كانوا يسمون أنفسهم آراميين ، ولكنهم ما لبثوا أنْ تخلوا عن هذه التسمية واتخذوا السريان اسمًا لهم بعد أن تنصروا ونبذوا الوثنية ، فصارت هذه التسمية تدل على الآراميين المسيحيين وحدهم . انظر : المدخل إلى اللغة السريانية وآدابها . د. أحمد أرحيم هبو ، مطبوعات جامعة تشرين ، بلا تاريخ ، ص ٣٧ . وانظر : الوجيز في اللغة السريانية د . ميشيل نعمان مطبوعات جامعة البعث ١٩٩٠ - ١٩٩١ ، ص ٥٨ .

٣ * - هي باليونانية EDESSA (اليوم أورفة) . انظر : معجم البلدان ٣ / ١٠٦ ، وتُمَدّ فيقال (الرُّهاء) والنسبة إليها رُهاويّ ، وانظر : كتاب «الرُّها المدينة المباركة» ففيه عرض جامع لتاريخ المدينة في مختلف العصور .

٤ * - كتبها مؤلف المقالة Osrhène ، وهي في الموسوعة العالمية Universalis Encyclopèdie ٢٠ / ٢١٨٧ (الملحقات والفهارس) Osrhène ، وهو اسم مملكة قديمة كانت تقع في شمال غربي بلاد الرافدين في منطقة الرها على أنقاض مملكة أخرى هي مملكة بيت عديني . كانت مركز الحضارة الآرامية وغالبية سكانها من الآراميين الذين يخالطهم بعض اليونان والفرس ، واستمرت لغتها موجودة في لهجة الرها السريانية . ونجد لها تاريخًا مضطربًا في علاقاتها مع الرومان والبارثيين وحمل عشرة من ملوكها اسم (أبجر) ، ولا نجد كبير فائدة في الاختلاف في اشتقاق الاسم وقد احتفظت به العربية كاسم علم انظر (لسان العرب ، مادة بجر) . انظر تفصيلاً أكثر عن هذه المملكة في كتاب «الرُّها المدينة المباركة» تأليف : ج . ب سيغال ، ترجمة يوسف إبراهيم جبرا ، تقديم ونشر غريغوريوس يوحنا إبراهيم - دار الرها حلب ١٩٨٨م ، والمخطط الذي ألحقناه بالمقال عن هذا الكتاب .

٥ * - كتاب المقولات المسمى قاطيغوريا Les Catègories . طبعة الدكتور عبدالرحمن بدوي في «منطق أرسطو» ج ١ ، ص٣٣ - ٩٦ . بترجمة حنين بن إسحاق وتعليقات الحسن بن سوار .

ونشر أيضًا في هذا الجزء كتاب «باري أرمينياس» أي «في العبارة» بترجمة حنين نفسه ص ٩٩ - ١٣٣ ، وكتاب «أنولوطيقا الأولى» أي «التحليلات الأولى» بترجمة تذاري .

٦ * - دير قِنّسْري : على شاطئ الفرات من الجانب الشرقي من نواحي الجزيرة وديار مضر مقابل جرباس . انظر معجم البلدان ٢/٥٢٩ (دير) .

٧ * - الأورغـانون Orgonon : اسم يُطْلَقُ على مجموعة كتب أرسطو المنطقية وقد طبع الدكتور عبدالرحمن بدوي كتب الأورغانون التي تُرْجِمَتْ إلى اللغة العربية وجاءت طبعته في ثلاثة أجزاء نشرتها وكالة المطبوعات في الكويت ، ودار القلم في بيروت عام ١٩٨٠م .

٨ * - انظر الخريطة التي ألحقناها بهذا المقال .

٩ - ابن النديم ، كتاب الفهرست ، ط . فلوجل ، ليبزغ ، ١٨٧١ ، ص ٢٤٤ [ط . تجدد ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥] .

١٠ - ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ط . نزار رضا بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٢٧٩ - ٢٨٣ . عدنا إلى الطبعة الأولى بالمطبعة الوهبية سنة ١٢٩٩هـ / ١٨٨٣م ، والقائمة في الجزء الأول منه ص ٢٠٣ - ٢٠٦ .

١١ - العدد في أصل المقالة الفرنسي أحد عشر اسمًا ، ولكي يصح الحساب يجب أنْ يكون اثنين وعشرين اسمًا ولعله خطأ مطبعي.

١٢ - للدكتور عبدالرحمن بدوي دراسة حول : انتقال الفلسفة اليونانية إلى العالم العربي نشره بالفرنسية بعنوان :
Badawi, A.R. : La transmission de la Philosophie grecque au monde arabe, Paris, 1968, Etudes de philosophie mèdièvale,Vrinèd .

١٣ - فسر المجسطي أيضًا كما في الفهرست (تجدد) ٣٢٧ .

١٤ - المعنيّ بالتشجير - وهو مصطلح استخدمه ابن النديم - أنْ يكون في الكتاب ترسيمات بيانية زيادة في الشرح والإيضاح .

١٥ - م . ت دانيشهبازهوه ، المنطق لابن المقفع ، حدود المنطق لابن بهريز ، طهران ١٩٧٨م .

١٦ - حول هذه القضية انظر مقال بادل كراوس في كتاب الدكتور عبدالرحمن بدوي «التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية» ص ١٠١ - ١١٧ ، القاهرة ، ط ٢ ، سنة ١٩٤٦م .
وانظر «منطق أرسطو» للدكتور عبدالرحمن بدوي، ج١، ص١٢.

١٧ - ابن النديم ، فـهـرست ، ص ٢٩٦ (تجـدد ، ٣٥٤) ابن أبي أصيبعة ط ١ ؛ ج ١ ، ص ١٨٣ .

١٨ - المصدر السابق ، ص ٢٦٢ (تجدد ، ٣٢١) وابن أبي أصيبعة ط ١ ، ج ١ ، ص ٢٣٤ .

١٩ - ابن أبي أصيبعة ، ص ٣١٦ ، ط ١ ، ج . ص ٢٣٤ .

٢٠ - المصدر السابق ، ص ٤٣٧ ، ط ١ ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

٢١ - ابن النديم ، ص ٢٦٣ (تجدد ، ٣٢٢) .

٢٢ - ابن النديم ، ص ٢٦٢ (تجدد ، ٣٢١) .

٢٣ - ويعرف أيضًا بدير مرماري السليح «من السريانية (شليحا) ومعناها الرسول» ويقع على ستة عشر فرسخًا من بغداد منحدرًا في الجانب الشرقي .
انظر : الديارات للشابشتي ، ط . كوركيس عواد ، ص ٢٦٥ ، معجم البلدان ٤ / ٣٩٩ (قُنّا) والنسبة إليه قُنّائي وقد نسب إليه جماعة من أكابر الكتاب .
وانظر معجم البلدان (دير) ٢ / ٥٢٨ ؛ ولميخائيل عواد مقالة مستقصاة في هذا الدير . المشرق ٣٧ [بيروت ١٩٣٩م] ص ١٨٠ - ١٩٨ وقد أفردت في رسالة عنوانها «دير قُنّى : موطن الوزراء والكتّاب ومعقل المسيحية في العراق» .

٢٤ - ابن النديم ، ص ٢٦٤ (تجدّد ، ٣٢٢) .

٢٥ - ابن القفطي ، تاريخ الحكماء ، ط . جوليوس ليبرت ، ليبزغ ، ١٩٠٣ ، ص ٣٢٣ . [ورجعت إلى كتاب عنوانه إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مصور عن طبعة ليبزغ في دار الآثار - بيروت بلا عنوان وعبارة القفطي موضع الشاهد فيه ص ٢١٢ وهو في حقيقة الأمر مختصر صنعه الزوزني لتاريخ الحكماء للقفطي وسماه بـ «المنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء» .

٢٦ - في الأصل الفرنسي التبديل remplacement ، والمثبت من أصل الوفيات وهو الصواب وترجمته La maitrise .

٢٧ - ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ط . إحسان عباس ، بيروت بلا تاريخ ٥ / ١٥٣ - ١٥٤ .

٢٨ - الشهرستاني ، كتاب الملل والنحل ، ط . م . الوكيل ، القاهرة ١٩٦٨ ، ٣/٣ .

٢٩ - البيهقي ، تاريخ حكماء الإسلام ، ط . محمد كرد علي ، دمشق ١٩٤٦ ، ص ٤٣ - ٤٤ [عُدْنا في ضبط النص إلى الطبعة المصورة عن الأولى - مطبوعات مجمع اللغة العربية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨] .

٣٠ - في نَصّ القفطي المشار إليه في الحاشية (١١) الفطن ولَعَلّه تصحيف صوابه ما أثبتناه .

٣١ - ابن القـفـطي ، ص ٢٢٣ ، ط . بيـروت ، ص ١٥٠ [انظر الحاشية رقم ١١] .

٣٢ - ابن أبي أصيبعة ، ص ٣٢٣ ؛ ط ١ ، ج ١ ، ص ٢٣٩ .

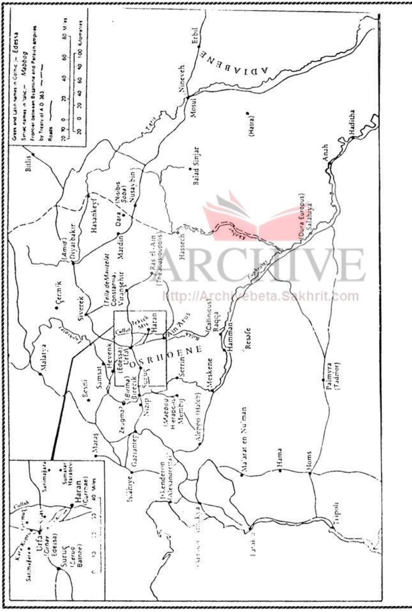
٣٣ - طبعه G. Hoffmann ، معجم سرياني - عربي، Kiel ١٨٧٤م وطبعه R. Gottheil في Roma ، ١٩٢٨.

٣٤ – طبعه R. Duval ، معجم سرياني ، تأليف الحسن بن بهلول ، باريس Paris ١٨٨٨ – ١٨٩٦ .

٣٥ – طبعه Thomas a Novaria الكنوز العربية السريانية اللاتينية ، Roma ١٦٣٦م ، وطبعه Paul de Gottingen : lagarde ١٨٧٩م .

٣٦ – Barhebraeus (١٢٢٦م – ١٢٨٦م) ، انظر المدخل إلى اللغة السريانية وآدابها ، د . أحمد ارحيم هبو ، ط . جامعة تشرين بلا تاريخ ، ص ٦٣ – ٦٤ . وانظر الأعلام ط ٥ ، ١٩٨٠ بيروت ٥ / ١١٧ .

٣٧ – بخصوص مؤلفات ابن العبري ، انظر الأعلام ، ٥ / ١١٧ .



الخريطة مأخوذة عن كتاب «الرُّها : المدينة المباركة» MAP تأليف ج . ب سيغال – ترجمة يوسف إبراهيم جبرا قدّم له ونشره غريغوريوس يوحنا إبراهيم ، رئيس أساقفة حلب ، دار الرُّها للنشر ، حلب ١٩٨٨م .

من كتاب (أبجد العلوم) للقنوجي

[illegible]

الاسكندرية – مصر

[illegible]

القنوجي ونتاجه العلمي (1)

هو أبو الطيب صديق بن حسن بن علي لطف الله الحسيني البخاري القنوجي ، نزيل بهوبال بالهند .

ولد في جمادى الأولى عام ١٢٤٨هـ (١٨٣٢م) ونشأ في قنوج ونسب إليها وهي من أقدم بلاد الهند ، وارتحل إلى دهلى وتلقى العلم على يد عدد من العلماء بها .

عاد بعد ذلك إلى بلده قنوج ، ثم رحل منها ثانية إلى بهوبال طلباً للرزق والمعاش والعلم ، وهناك لم يتوقف عن السعي في طلب العلماء والفقهاء والأخذ منهم ، فأخذ عن علماء كبار ، ولقى علماء آخرين أجازوا له .

طاب له المقام في بهوبال حيث المناخ العلمي المناسب ، وحيث هناك عدد كبير من العلماء والشيوخ ، ثم تزوج بملكة بهوبال (شاه جيهان بيكم) سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧٩م) وعمل نائباً عنها ووزيراً لها ، وعاش حياة عريضة مستقرة أتاحت له الاشتغال تماماً بالتأليف والتفرغ للتصنيف .

وافاه الاجل المحتوم في سنة ١٣٠٧هجرية (١٨٨٩م) .

أما نتاجه العلمي (2) فقد تعدد وتشعب وتفرع ، نذكر هنا أم هذا النتاج :

(١) أبجد العلوم .
(٢) اتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدثين .
(٣) الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة .
(٤) أربعون حديثاً في فضل الحج والعمرة .
(٥) بغية الرائد في شرح العقائد .
(٦) حصول المأمول من علم الأصول .
(٧) الحطة بذكر الصحاح الستة .
(٨) خبيئة الاكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان .
(٩) رحلة الصديق إلى البيت العتيق .
(١٠) العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة .
(١١) عون الباري بحل أدلة البخاري .
(١٢) فتح البيان في مقاصد القرآن .

(١٣) كشف الالتباس عما وسوس به الخناس في رد الشيعة الهندية .

(١٤) لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان .

(١٥) مسك الختام من شرح بلوغ المرام .

(١٦) نيل المرام من تفسير آيات الاحكام .

(١٧) يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار .

وغير ذلك من الكتب والمؤلفات والرسائل المخطوطة ، وله بعض الكتب المجهولة مثل :

* خلاصة الكشاف .
* ملاك السعادة .
* اللواء المعقود لتوحيد الرب المعبود .
* الروض البسام .
* هداية السائل إلى أدلة المسائل .

وله بعض الكتب بالفارسية .

كتاب أبجد العلوم

يعتبر هذا الكتاب من أضخم كتب القنوجي وأوسعها احاطة واستيعاباً ، وأجلها فائدة ، جعله القنوجي في ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم .

الجزء الثاني : السحاب المركوم المسطر بأنواع الفنون وأصناف العلوم .

الجزء الثالث : الرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم .

في الجزء الأول تناول المؤلف العلم ونسبته وتعريفه ، وتقسيم العلم وغاية العلوم ، وأجزاء العلم ومراتبه وشرفه وما يلحق به ، وآداب المتعلم والمعلم ، ومنشأ العلوم والكتب والعلم والكتابة من لوازم التمدن ، وأوائل ماظهر من العلم والكتاب ، وانزال الكتب واختلاف الناس وانقسامهم ، وأقسام الناس بحسب المذاهب والديانات ، وأهل الاسلام وعلومهم ، والتدوين وتاريخه ، والعلوم الاسلامية وعلوم اللسان العربي ، والنظم والنثر والشعر وطبقات الشعراء وغير ذلك .

أما الجزء الثاني من الكتاب ، وهو أضخم أجزاء الكتاب وأغناها مادة ، فقد استقصى فيه المؤلف ما ألف باللغة العربية من العلوم منذ بدء التدوين حتى عصر المؤلف في شتى ميادين المعرفة من فنون علوم القرآن والحديث ، واللغة والنحو والأدب ، والفلسفة ، والعقائد ، والتاريخ ، والسياسة ، والفلك ، والجغرافية ، والبلدان ، والطب ، والصيدلة ، والرياضيات ، والموسيقى ، وما يتفرع من ذلك . وعرف المؤلف كل علم وفن بعد أن رتبها على حروف المعجم . وفي آخر التعريف بالعلم أو الفن يأتي المؤلف بنماذج من الكتب المؤلفة فيه ، وما على الباحث عن معرفة علم من العلوم ، أو فن من الفنون ، إلا أن يعرف عنوانه ويكشف عنه في موضعه من الترتيب المعجمي فيجد فيه بغيته .

والجزء الثالث من الكتاب فقد أفرده المؤلف لتراجم رجال ألفوا في العلوم والفنون التي عرف بها المؤلف في الجزء الثاني من الكتاب .

وقد قسم المؤلف التراجم في هذا الجزء تبعاً للتخصص في العلم ، وكان التقسيم على النحو الآتي :

علماء اللغة ، علماء التصريف ، علماء النحو ، علماء العروض والقوافي ، علماء الانشاء والأدب ، علماء المعاني والبيان ، علماء المحاضرة ، علماء الشعر ، علماء التواريخ ، علماء المنطق ، علماء الجدل ، علماء الخلاف ، علماء الحكمة ، علماء الطب ، علماء أصول الفقه ، علماء المقالات ، علماء الفرائض ، الحفاظ ، علماء النجوم .

وبعد أن يستوفي ترجمة هؤلاء العلماء ، يذكر أهم ما وضعوه من المؤلفات ، ثم يفرد في آخر الجزء قسماً لتراجم علماء الاقاليم ، فترجم لعلماء الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وعلماء اليمن ، وعلماء الهند ، وعلماء قنوج ، وأخيراً علماء مقاطعة بهوبال في الهند ، ويذكر - أيضاً - في آخر الترجمة أشهر كتب المترجم له .

وكتاب أبجد العلوم طبع بأجزائه الثلاثة في مقاطعة بهوبال عام ١٢٩٦هـ (١٨٧٨م) في حياة المؤلف ، وتولى المؤلف بنفسه الاشراف على اخراج الكتاب مطبوعاً إلى الناس ، ثم قامت دار الكتب العلمية باخراج طبعة الكتاب الثانية - نشر وزارة الثقافة والارشاد القومي السورية - عام ١٣٩٩هجرية (١٩٧٨م) اعداد وفهرسة عبدالجبار زكار ، وهي النسخة الموجودة بين أيدينا ، وجاءت في ثلاثة أجزاء مجموع صفحاتها ١٤١٩صفحة .

علماء الحرمين الشريفين

ننقل هنا التراجم كما ذكرها القنوجي في كتابه أبجد العلوم ، وقد قمنا بترتيبها وتنسيقها قدر الامكان :

* **الشيخ علي بن محمد بن عريق** (٣) عالم المدينة المنورة وخطيب مسجد النبي ﷺ ، كان نائباً مناب أبيه في العلم والعمل والتقوى ، له تصانيف مفيدة منها كتاب : تنزيه الشريعة عن الأحاديث الموضوعة ، لخصه تلميذه الشيخ رحمة الله السندي وهو غاية في اللطف من الاختصار .

* **الشيخ أبو الحسن البكري** (٤) المصري الشافعي من آل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، كان جامعاً بين العلم والعمل وهو ممن اتفقوا على ولايته وجلالته وبلوغه رتبة الاجتهاد ، لا يفارق الكتاب من يده وينظر فيه دائماً . سئل عن شرب القهوة وذكر له أن المغاربة يحرمونه ، فقال : كيف يدعى بالحرام وأنا أشرب منها ؟ تلمذ عليه الشيخ علي المتقي وسمع منه الحديث ، وأخذ عنه الطريقة ، وكان ولده محمد البكري شاعراً مفلقاً جيداً له تأليف في التوحيد سماه تأييد المنة بتأييد السنة .

* **الشيخ أبو بكر بن سالم اليمني الحضرمي** (٥) وهو ممن جمع بين العلم والحال والولاية والسعادة ، له كلام عال وشعر حسن ينبئ عن حاله ومقامه :

فلولا وجود السـر ما كان كائن
فنمت بذاك السر كل البريـة
تمسك بنا والزم دقائق حســنا
وزرني بصرف الود تسعد بزورتي
ولي شرف المصطفى سيـد الورى
بنسبته فقنا جميع الخليقــة
وصلي على الهادي النبي وآلـه
وأصحابـه والتابعين بجملـة

* **الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر المكي الهيتمي** (٦) كان أعظم علماء عصره وفقهاء دهره ، لم يكن له نظير في الفقه في زمانه . قال الشيخ عبدالحق الدهلوي : لانسبة له بالشيخ ابن حجر العسقلاني الكبير في علم الحديث ولكن يحتمل أن يكون في الفقه مثله . تلمذ على الشيخ زكريا المصري الآخذ عن الحافظ ابن حجر العسقلاني . له مؤلفات ممتعة منها : شرح الشمائل للترمذي ، وشرح الأربعين للنووي ، وشرح المشكاة في الحديث ، والزواجر عن اقتراف الكبائر وهو كتاب لم يؤلف مثله قبله ، والصواعق المحرقة في الرد على الروافض ، وشرح الهمزية في نعته ﷺ ، وشرح عين العلم في السلوك ، وقلائد العقيان في مناقب النعمان . توفي ابن حجر المكي الهيتمي في سنة ٩٧٥هجرية ، انتهى .

* **الشيخ أحمد أبو الحرام** (٧) كان من فقهاء المدينة وعلمائها ، وكان في علم القراءة آية باهرة وأستاذ الأساتذة في الديار الحرمية ، مات ولده الفاضل الصالح في حياته فحزن عليه حزناً شديداً وبكى عند نزعه ، فقال الولد : لاتحزن علي أبق أنت فإن في بقائك نفع الخلق ، وتلا هذه الآية **﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾** (٨) .

مات رحمه الله في سنة ١٠٠١هجرية ودفن بالبقيع .

* **الشيخ محمد البهنسي** (٩) نسبة إلى قرية من قرى مصر ، هاجر عنها إلى مكة المكرمة واستوطنها ، وتلمذ على الرملي تلميذ السيوطي ، وكان يقول : عملنا على كتب الأحاديث الصحاح . وكان يستنبط في المسائل الفقهية ويجتهد ، لم أقف على عام وفاته رحمه الله .

* **السيد جعفر المدني** (١٠) مدرس المسجد الشريف النبوي ، كان يقول : لما صنف القسطلاني كتاب «المواهب اللدنية» وأورد فيه النقول من كتب السير والأحاديث ، قال له السيوطي : نقلت هذه الأقوال من كتبي ولم تسمّني ولا كتبي ، وإن كنت نقلتها من غير كتبي فأتني بأصولها فعجز القسطلاني وكان قد نقلها من كتب السيوطي ولا يخلو ذلك من نوع خيانة وعدم ديانة انتهى . قلت - أي القنوجي - وقد فعل بكتبي مثل ذلك بعض أبناء الزمان أيضاً لا أسميه حياء من الله تعالى .

* **الشيخ أحمد بن علي بن عبدالقدوس بن محمد الشناذي** (١١) تلمذ في علم الحديث على الشيخ شمس الدين الرملي وعلى والده وعلى السيد غضنفر ، وروى عن الشيخ محمد بن أبي الحسن السكري ، وصحب السيد صبغة الله ولبس منه الخرقة (١٢) وكان يقول : لو كان الشعراني حياً ما وسعه إلا اتباعي .

* **الشيخ أحمد القشاشي بن محمد يونس الدجاني** (١٣) والدجانة بتخفيف الجيم ، من قرى القدس ، كان يبيع القشاشة في المدينة المنورة وهي سقط المتاع يبيعها لستر حاله وإخفاء أمره ، وكان له اليد الطولى في علم الشريعة والحقيقة ، صحب مشائخ كثيرين منهم الشيخ أحمد الشناذي . ومن عجائب أحوال الدجاني أنه تلا القرآن الكريم من أوله إلى آخره في المنام على النبي ﷺ . قال الشيخ عيسى المغربي : ما خرجت من عند القشاشي قط إلا والدنيا في عيني أحقر من كل حقير ، ونفسي أذل من كل ذليل ولو تكرر دخولي عليه مرات .

* **السيد عبدالرحمن الإدريسي الشهير بالمحجوب** (١٤) ولد بمكناسة بلدة بالمغرب ، وساح الروم والشام ومصر ، وجاور بمكة المكرمة ، ورحل إلى اليمن . وكان السيد المحجوب من مشائخ الحرمين المعروفين بالفضل والكرامة والولاية .

* **الشيخ شمس الدين محمد بن العلاء البابلي** (١٥) حافظ الحديث في زمانه ، أستاذ أهل الحرمين ومصر . أدرك ليلة القدر في بدء أمره ودعا الله سبحانه بأن يجعله مثل الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى فأجاب الله دعاءه .

كان له روايات الصحيح للبخاري وسائر الكتب الحديثية عن الشيخ سالم السنهوري ومسلسلات صحيحة ضبطها الشيخ عيسى المغربل في رسالة وكأنها أصل لاثبات المتأخرين . توفي في سنة ١٠٧٩هجرية . وبابل قرية بمصر .

* **الشيخ عيسى الجعفري المغربي** (١٦) حفظ القرآن الكريم وبرع في علوم الأعيان ورحل إلى الجزائر وصحب السلجماسي قريبًا من عشر سنوات وتبحر عنده ، وأخذ عن علماء قسطنطينية ومصر والحرمين ، وتوطن بمكة المكرمة . له معجم سماه : مقاليد الأسانيد . تلمذ عليه جمهور أهل الحرمين الشريفين وصار أستاذًا لهم ، وكان من أوعية الحديث والقراءة .

قال السيد حسن باعمر : من أراد أن ينظر إلى شخص لا يشك في ولايته فلينظر إلى هذا ، وكان لا يعمل إلا بالسنة المطهرة .

ألف لابي حنيفة رحمه الله مسندًا ، توفي المغربي في سنة ١٠٨٠هجرية .

* **الشيخ إبراهيم الكردي** (١٧) عارف بفنون العلم من الفقه والحديث والعربية . وله تصانيف في ذلك كلها . رحل إلى بغداد ، والشام ، ومصر ، والحرمين ، وصحب القشاشي وروى عنه الحديث ، وكان يتكلم بالفارسي والكردي والتركي والعربي ، وكان متصفًا بتوقيد الذهن والتبحر في العلم والزهد والصبر والحلم والتواضع ، وكان زيه زي عامة أهل الحجاز ، ولم يكن يلبس لبس المتفقهة ولا المتصوفة ، ولا يختار هيئاتهم من تكبير العمامة وتطويل الأكمام . قال الشيخ عبدالله العباسي : كان مجلسه روضة من رياض الجنة .

* **محمد بن محمد بن سليمان المغربي** (١٨) كان حافظًا للحديث جامعًا لفنون العلم ، لبس الخرقة عن الشيخ أبي مدين المغربي ، وجد واجتهد في تصحيح كتب الحديث وأتقنها اتقانًا كاملاً حتى صار إمامًا بالحرمين الشريفين ومن ثقات الحفاظ . زاده الله بسطة في العلم والجسم والعقل المتعلق بالمعاد والمعاش على وجه الكمال .

* **الشيخ حسن العجيمي** (١٩) واحد من شيوخ الحديث ، جامع لفنون العلم ، فاق أقرانه في الفصاحة والحفظ وجودة الفهم ، صحب الشيخ عيسى المغربي واستفاد منه كثيرًا ، وروى عن أحمد القشاشي ، والبابلي ، والشيخ زين العابدين ابن عبدالقادر الطبري مفتي الشافعية ، وكان حنفيًا .

كان يأتي كل رجب إلى المدينة المنورة ومعه كتاب من الكتب الستة يختمه في المسجد النبوي عن طريق السرد ، تلمذ عليه الشيخ أبو طاهر المدني شيخ مسند الوقت الشاه ولي الله المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى .

* **الشيخ أبو طاهر محمد بن إبراهيم الكردي المدني** (٢٠) لبس الخرقة عن أبيه واستجاز له أبوه من مشائخ كثيرين منهم الشيخ محمد بن سليمان المغربي ، وأخذ النحو عن السيد أحمد إدريس المغربي الذي كان سيبويه زمانه في العربية ، واكتسب فقه الشافعي عن الشيخ علي الطولوني المصري ، والمعقول عن المنجم الباشي الرومي ، والحديث عن الشيخ حسن العجيمي وأحمد النخلي والشيخ عبدالله البصري والشيخ عبدالله اللاهوري ، وكان مجتهدًا في الطاعة ومشتغلاً بالعلم والمذاكرة ، رقيق القلب كثير البكاء . توفي رحمه الله في سنة ١١٤٥ هجرية .

* **الشيخ تاج الدين الحنفي القلعي بن القاضي عبدالمحسن** (٢١) كان فقيهًا بمكة المكرمة ، صحب كثيرًا من مشائخ الحديث ، وأخذ العلوم منهم وكلهم أجازوه ، واستجاز له والده من الشيخ عيسى المغربي ، وكان غالب تعلمه لعلم الحديث من الشيخ عبدالله بن سالم البصري . قال : عرضت عليه هذه الكتب على منهج البحث والتنقيح ، وقرأت الصحيحين على العجيمي وأجازني بجميع ما تصح له روايته . لازم الشيخ صالح الزنجاني واستفاد منه وتفقه عليه وحصل الرواية والاجازة عن الشيخ أحمد النخلي والشيخ أحمد القطان وغيرهما ، وتعلم منهما طريق الدرس . له إجازة عن الشيخ إبراهيم الكردي وعنه روى الحديث المسلسل بالأولية . قال الشيخ ولي الله المحدث الدهلوي في (انسان العين) حضرت بمجلس درسه أيامًا حين كان يدرس البخاري وسمعت عليه اطراف الكتب الستة وموطأ مالك ومسند الدارمي وكتاب الآثار ، وأخذت الإجازة لسائر الكتب وحدثني بالحديث المسلسل بالأولية عن الشيخ إبراهيم وهو أول حديث سمعته منه بعد عودتي من زيارة النبي ﷺ في سنة ١٢٤٣هجرية .

* **الشيخ محمد حيات السندي المدني** (٢٢) كان من العلماء الربانيين وعظماء المحدثين ، قرن العلم بالعمل ، وزان الحسن بالجلل . واسم والده (ملا فلاريه) من قبيلة جاجر الساكنة في أطراف «عادل بور» بليدة من توابع بكر .

ولد بالسند ورحل إلى الحجاز وحج وتوطن مدينة النبي ﷺ ، وتلمذ على الشيخ أبي الحسن السندي نزيل مكة المكرمة وبرع في الحديث ، وأخذ الاجازة عن خاتمة المحدثين الشيخ عبدالله بن سالم البصري ، وشد حزامه على درس الحديث النبوي وافنى عمره في خدمة الكلام المصطفوي ، وكان يعظ الناس قبل صلاة الصبح بالمسجد الشريف ، وانتفع به خلق كثير من العرب والعجم ، وأقبل عليه أهل الحرمين ومصر والشام والهند بالاعتقاد والانقياد ، وعاش عيشة مرضية . لقي الله سبحانه يوم الأربعاء السادس والعشرين من صفر سنة ١١٦٣هجرية ودفن بالبقيع .

* **الشيخ صالح بن محمد بن نوح بن عبدالله ابن عمر بن موسى الفُلاني** (٢٣) من ذرية العلامة الحافظ عليم بن عبدالعزيز الأندلسي الشاطبي اخي بني سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وإنما قيل له الفُلاني لان آباءه نزلوا في دارهم واستوطنوها . وفلاّن على مافي - اليانع الجني - بضم الفاء وتشديد اللام قبيلة من فلانة بالفوقية بدل النون ، أمة من السودان وأرضه التي نشأ بها تسمى «مسوف» .

قال : وكان الفلاني فاضلاً دينًا صالحًا ذا أسانيد عالية نفع الله به كثيرا من عباده ، توفي بالمدينة ليلة الخميس لخمس مضين من جمادى الآخرة سنة ثماني عشرة ومائتين وألف رحمه الله رحمة واسعة ، انتهى كلام اليانع الجني .

وأقول - أي القنوجي - هو أستاذ الشيخ محمد عابد السندي الآتي ذكره ، وله تصانيف حسنة ممتعة . منها كتاب (ايقاظ أولي الأبصار في رد التقليد) وذكره شيخنا وبركتنا الشوكاني رحمه الله في الفتح الرباني واثنى عليه بالخير .

* **الشيخ محمد عابد السندي بن أحمد علي ابن يعقوب** (٢٤) الحافظ من بني أبي أيوب الأنصاري ولد ببلدة سيوف وهي على شاطئ النهر شمالي حيدر آباد السند مما يلي بلدة بويك ، هاجر جده الملقب بشيخ الاسلام إلى أرض العرب ، وكان من أهل العلم والصلاح ، وأقام الشيخ محمد عابد بزبيد دارة علم باليمن معروفة ، واستفاد من علمائها واقتبس من أشعة عظمائها حتى عد من أهلها ، ودخل صنعاء اليمن يتطبب لامامهم وتزوج ابنة وزيره ، وذهب مرة سفيراً من إمام صنعاء إلى مصر ، وكان شديد التحنن إلى ربوع طابة ، وعاود مرة أرض قومه فدخل «نواري» بأرض السند مما يلي بندر كراجي واقام بها ليالي معدودات ، ثم عاد إلى المدينة الطيبة وولي رياسة علمائها من قبل والي مصر ، وخلف مصنفاته كتبًا مبسوطة ومختصرة منها : كتاب المواهب اللطيفة على مسند الإمام أبي حنيفة ، وكتاب طوالع الأنوار على الدر المختار ، وكتاب شرح تيسير الوصول إلى أحاديث الرسول ﷺ بلغ منه كتاب الحدود ، يقال له شرح على بلوغ المرام للحافظ ابن حجر .

كان ذا عصبية للمذهب الحنفي ، ولذلك تعقبه في بعض الرسائل له السيد العلامة أخونا أحمد بن حسن الحسيني القنوجي البخاري العرشي رحمه الله .

توفي محمد عابد يوم الأثنين من ربيع الأول سنة ١٢٥٧ هجرية ودفن بالبقيع ولم يخلف عقبًا رحمه الله .

وبإيرادنا لترجمة الشيخ محمد عابد السندي نكون قد ذكرنا تراجم علماء الحرمين الشريفين كما أوردها القنوجي في كتابه أبجد العلوم .

والحمد لله أولاً وآخراً ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

الهوامش

(١) بتصرف عن مقدمة معد كتاب أبجد العلوم ، الجزء الأول ، الصفحات (د) إلى (ك) .
(٢) أنظر أبجد العلوم : صديق حسن خان ، ج ٢٧١/٣ وما بعدها .
(٣) الكتاب ج ١٦٣/٣ .
(٤) الكتاب ج ١٦٣/٣ .
(٥) الكتاب ج ١٦٣/٣ - ١٦٤ .
(٦) الكتاب ج ١٦٤/٣ .
(٧) الكتاب ج ١٦٤/٣ .
(٨) سورة الرعد / ١٧ .
(٩) الكتاب ج ١٦٤/٣ - ١٦٥ .
(١٠) الكتاب ج ١٦٥/٣ .
(١١) الكتاب ج ١٦٥/٣ .
(١٢) لبس منه الخرقة : عبارة تعني أنه تسلم منه العلم أو ما شابه ذلك .
(١٣) الكتاب ج ١٦٥/٣ .
(١٤) الكتاب ج ١٦٦/٣ .
(١٥) الكتاب ج ١٦٦/٣ .
(١٦) الكتاب ج ١٦٦/٣ - ١٦٧ .
(١٧) الكتاب ج ١٦٧/٣ .
(١٨) الكتاب ج ١٦٧/٣ .
(١٩) الكتاب ج ١٦٧/٣ .
(٢٠) الكتاب ج ١٦٨/٣ .
(٢١) الكتاب ج ١٦٨/٣ - ١٦٩ .
(٢٢) الكتاب ج ١٦٩/٣ - ١٧٠ .
(٢٣) الكتاب ج ١٧٠/٣ - ١٧١ .
(٢٤) الكتاب ج ١٧١/٣ - ١٧٢ .

نصوص تراثية محققة

الإلمام بشرح حقيقة الاستفهام

لابن هشام الأنصاري المتوفى سنة ٧٦١هـ

حققها، وعلق عليها

عبد الفتاح السيد سليم

الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية – جامعة الأزهر – القاهرة

«تمهيد»

هذه مسألة من مسائل النحو، نسبها الإمام «محمد ابن طولون المتوفَّى سنة ٩٥٣هـ» إلى نفسه، تَجِدُ ذلك على غلاف مخطوطته التي عنوانها: (كتاب المسائل الملقبات في علم النحو) والتي شرعت مجلة (عالم الكتب) في نشره بتحقيقي بَدْءًا من العدد الثالث من المجلد الثاني عشر (المحرم ١٤١٢هـ). كما تجد هذه النسبة إلى ابن طولون أيضًا في الصفحة الثامنة والعشرين فيما دَوَّنَهُ عن نفسه من سيرته الذاتية بعنوان (الفُلْكُ المشحون في أحوال ابن طولون).

لكننا عرفنا عند تحقيق كتاب المسائل الملقبات في علم النحو، أن ابن طولون لم يكن نحويًا، ولا مشتغلاً بالنحو، وإنما كان جمَّاعَةً لبعض مؤلفات غيره من النحاة وغيرهم، وكتابه المحقق المنشور في المجلة شاهد على ذلك؛ فإن مسائله الملقبات مبثوثةٌ نصًا في كتب النحو، ولا سيَّمَا كتاب (الأشباه والنظائر) للسيوطي، الذي حوى معظم هذه المسائل، وإنما كان لابن طولون فضل الجمع والتدوين.

وعلى ذلك فهذه المسألة النحوية المسماة (الإلمام بشرح حقيقة الاستفهام) ليست لابن طولون إلا جَمْعًا وتدوينًا فقط أما مؤلفها الحقّ فهو «ابن هشام الأنصاري»، وقد جاءت نَصًّا منسوبةً إليه في كتاب (الأشباه والنظائر للسيوطي – ٥٦/٤ وما بعدها).

و«ابن هشام الأنصاري» هو: أبو محمد عبدالله بن يوسف، ولد بالقاهرة سنة ٧٠٨هـ، وبها نشأ وتعلم، وألَّفَ في العربية تصانيف تشهد بدقة فهمه واستيعابه وغزارة علمه وجودة تأليفه، وظل فارسًا حاميًا للعربية وراعيًا حتى وافته المَنِيَّةُ سنة ٧٦١هـ.

وفي مكانة ابن هشام العلمية يقول ابن خلدون: «مازِلْنَا ونحن بالمغرب نسمع أنْ ظَهَرَ بمصر عَالِمٌ بالعربية، يقال له ابن هشام، أَنْحَى من سيبويه»، كما يقول: «وصل إلينا بالمغرب لهذا العهد من تآليف رجل من أهل الصناعة العربية من أهل مصر يُعْرَفُ بابن هشام، ظهر من كلامه أنه استولى على غاية من مَلَكَة تلك الصناعة لم تَحْصُلْ إلا لسيبويه وابن جِنِّي وأهل طبقتهما؛ لعظَم مَلَكَته وما أحاط به من أصول ذلك الفن وتفاريعه وحسن تصرفه فيه، ودلَّ على أن الفضل ليس منحصرًا في المتقدمين».

ومن مؤلفات ابن هشام التي اشْتَهَرَتْ بين دارسي العربية وذاعت عند المشتغلين بالنحو: كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، وشذور الذهب، وشرحه، وقَطْرُ النَّدَى وبَلُّ الصَّدَى، والإعراب عن قواعد الإعراب، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك.

(*) وأما المخطوطة موضوع التحقيق فقد جاءت بعنوان (الإلمام بشرح حقيقة الاستفهام) للإمام محمد بن

طولون الحنفي ، وتقع في ثماني صفحات ، بكُلِّ صفحة عَدَدٌ من الأسطر بين اثنين وعشرين وخمسة وعشرين سطراً ، وبكل سطر قُرَابَةُ اثنتي عشرة كلمةً ، وقد كُتِبَتْ بالخط المعتاد ، وهي في دار الكتب المصرية برقم [٥٩٩١ - هـ] ، ومنها صورة بالميكروفلم تحمل رقم [٢٦٨٠١] .

(*) وأما النَّصُّ الموجود بكتاب (الأشباه والنظائر) منسوبًا لابن هشام الأنصاري ، فهو بعنوان (شرح حقيقة الاستفهام والفرق بين أدواته) ، ويقع في سبع صفحات من الصفحة [٥٦] إلى الصفحة [٦٢] من الجزء الرابع - بتحقيق طه عبدالرءوف سعد - الطبعة الأولى .

(*) وأما منهج التحقيق : فقد عُنِيتُ بتوثيق الشواهد من القرآن والشعر والأمثال والأمثلة النحوية المأثورة ، وأوضحت الألفاظ الغامضة والمصطلحات الخاصَّة ، وعَلَّقْتُ على بعض القواعد المختصرة ، كما وازنت بين ماجاء في المخطوطة وما جاء في الأشباه والنظائر .

(*) وأما عن مضمون المسألة المحققة فإنها تشتمل على فصول ثلاثة :

= الفصل الأول : فَسَّرَ فيه ابن هشام ما يقصد بـ (الاستفهام) عند النحاة ، وأشار إلى وِجْهَةِ بعض المتكلمين في معنى حقيقة الاستفهام ، وردَّ عليهم .

= والفصل الثاني جعل عنوانه : تفسير المطلوب بأداة الاستفهام وتقسيم الأداة باعتباره ، وفيه نَوَّعَ المطلوب بالاستفهام بين التَّصَوُّر والتصديق ، وأوضح ما يخصُّ كُلَّ مطلوب من أدوات الاستفهام وما يشترك بينهما ، مع سَوْقِ الأمثلة والتطبيق عليها ، والاعتراض على فهم بعض النحويين للمقصود من الاستفهام في نحو قولنا : أخرج زَيْدٌ ؟ وقولنا : أَزَيْدٌ خرج ؟ ، وفي نهاية الفصل بَيَّنَ أن أسماء الاستفهام كُلَّهَا مضمنةٌ معنى الهمزة .

= أما الفصل الثالث فقد جعل عنوانه : الفرق بين قِسْمَيْ (أَمْ) وفيه أشار إلى نَوْعَيْهَا متصلةً ومنقطعةً ، والأوجه اللفظية والمعنوية التي تميز الواحدة منهما من أختها .

وفي الأوجه اللفظية وَضَّحَ أن من هذه الأوجه ما يكون باعتبار ما قبل (أَمْ) فقط ، ومنها ما يكون باعتبار ما بعدها فقط ، ومنها ما يكون باعتبار ما قبلها وما بعدها مَعًا . وفي أثناء هذه الأوجه ناقش رأي ابن هشام الخضراويِّ في زعمه أن من شرط (أَمْ) المتصلة اتحاد الجملتين قبلها وبعدها في الفاعل - إذا كانتا فعليتين - وفي الخبر - إذا كانتا اسميتين - ، وأوضح وجهته ، ثم رَدَّ عليه بالشاهد والدليل . كذلك ناقش رأي ابن مالك في زعمه أن (أَمْ) المنقطعة قد تعطف المفرد ، وأوضح وجهته ورَدَّ غيره عليه .

وفي الأوجه المعنوية : ذكر منها أربعة ، وفي أثناء هذه الأوجه أشار إلى إصرار أكثر النحاة على أن (أَمْ) المنقطعة تُقَدَّرُ دائمًا بـ (بَلْ والهمزة) ؛ وأوضح أن ذلك غير لازم ، كما أشار إلى غلط ابن النحوية وَمَنْ معه في أن (هَلْ) تأتي بمعنى (قَدْ) ، واستشهد واسْتَدَلَّ ، ثم ختم الفصل بتخليص للفروق بين (أَمْ) المتصلة و (أَمْ) المنقطعة .

★ ★ ★ ★ ★

(*) في ترجمة ابن طولون ومؤلفاته ، انظر :
مجلة عالم الكتب - العدد الثالث من المجلد الثاني عشر - المحرم ١٤١٢هـ - من ص٣٥٨ إلى ص٣٦٢ .

(*) وفي ترجمة ابن هشام الأنصاري ومؤلفاته ، انظر :

١ - الأعلام للزركلي ٢٩١/٤ - الطبعة الثانية بالقاهرة سنة ١٩٥٤م .
٢ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - للشوكاني - [٤٠٠/١] مطبعة السعادة بالقاهرة - سنة ١٣٤٨هـ .
٣ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - للسيوطي [٦٨/٢] - مطبعة عيسى الحلبي - سنة ١٩٦٤م .
٤ - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة - للسيوطي [٥٣٦/١] - القاهرة - سنة ١٣٢٧هـ .
٥ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - لابن حجر [٤١٥/٢] - الطبعة الثانية - القاهرة سنة ١٩٦٦م .
٦ - روضات الجنات - الموسوي - [٤٥٥] - الطبعة الثانية سنة ١٣٢٧هـ .
٧ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب - لابن العماد [١٩١/٦] - طبعة سنة ١٣٥١هـ .
٨ - طبقات الشافعية - للسبكي [٣٣/٦ ، ٢٩٦] .
٩ - كشف الظنون - لحاجي خليفة [٤٩/٢ ، ٤١٦] - مطبعة وكالة المعارف سنة ١٩٤٣م .

١٠ – النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – لابن تغرى بردى [٣٣٦/١٠] – دار الكتب سنة ١٩٢٩م .
١١ – هدية العارفين – لإسماعيل باشا البغدادي [٤٦٥/١] – إستانبول سنة ١٩٥١م .

(*) وفي مضمون هذه المسألة المحققة ، انظر :

١ – ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب – لأبي حيان الأندلسي ، وتحقيق : مصطفى النحاس – مطبعة المدني – الأولى سنة ١٩٨٧م . [٦٥١/٢ وما بعدها] .
٢ – الأصول في النحو – لابن السراج – تحقيق عبدالحسين الفتلي – الطبعة الأولى – بيروت سنة ١٩٨٧م [٢١٢/٢ وما بعدها] .
٣ – الأشباه والنظائر – للسيوطي – تحقيق طه عبدالرءوف سعد – شركة الطباعة الفنية المتحدة – سنة ١٩٧٥م . [٢٠٢/٢ – ٥٦/٤ وما بعدها] .
٤ – الأمالي – لابن الشجري – طبعة حيدر آباد – سنة ١٣٤٩هـ [٣٣٣/٢ وما بعدها] .
٥ – الإيضاح في شرح المفصل – لابن الحاجب – تحقيق موسى بناي العليلي – مطبعة العاني – بغداد . [٢٣٨/٢ وما بعدها] .
٦ – بدائع الفوائد – لابن قيم الجوزية – إدارة الطباعة المنيرية [٤٩/٢ وما بعدها] .
٧ – التبصرة والتذكرة – للصيمري – تحقيق فتحي علي الدين – الطبعة الأولى – سنة ١٩٨٢م . [٤٦٧/١ وما بعدها] .
٨ – الْجَنَى الدَّاني في حروف المعاني – للمرادي – تحقيق طه محسن – بغداد سنة ١٩٧٦م [٢٢٥ وما بعدها] .
٩ – شرح الْجُمَل – لابن عصفور ، تحقيق صاحب أبو جناح – بغداد سنة ١٩٨٠م [٤٨٧/٢ وما بعدها] .
١٠ – شرح عمدة الحافظ و عُدَّةُ اللاَّفظ – لابن مالك ، وتحقيق عبدالمنعم هريدي – الطبعةَ الأولى – مطبعة الأمانة سنة ١٩٧٥م [٢٧٧/١ وما بعدها] .
١١ – شرح الكافية – للرضي – دار الكتب العلمية – بيروت [٣٨٨/٢ وما بعدها] .
١٢ – شرح المفصل – لابن يعيش – إدارة الطباعة المنيرية – [١٥٠/٨ وما بعدها] .
١٣ – مغني اللبيب – لابن هشام ، تحقيق مازن المبارك – دار الفكر – بيروت – الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٩م [١٧ وما بعدها] .
١٤ – همع الهوامع – للسيوطي ، تحقيق عبدالعال سالم مكرم – دار البحوث العلمية – الكويت سنة ١٩٨٠م [٣٦٠/٤ وما بعدها] .

« النص المحقق »

الحمد لله (١) الْمُنَزَّهِ عن الأَيْنِ (٢) والكَيْفِ (٣) والكَمِّ (٤) ، والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

وبعد ؛ فهذا تعليق سميته [الإلمام بشرح حقيقة الاستفهام] وهو يشتمل على فصول .

(الفصل الأول)

في تفسيره

اعْلَمْ أنَّ حقيقةَ الاستفهامِ أنه طَلَبُ المتكلم من مُخَاطَبِه أنْ يَحْصُلَ في الذهن (٥) مـالم يكن حـاصـلاً عنده (٦) مما سأله عنه .

وقـال بعض الفـضـلاء : ينبـغي أن يكون المطلوبُ تحصيلَ ذلك في ذِهْنٍ أَعَمَّ من ذِهْنِ المتكلم وغَيْرِه ، كما أن حقيقةَ الاستغفار الذي هو طلب الْغَفْرِ – وهو السَّتْرُ – أَعَمُّ من أن يكون المطلوبُ له هو المتكلمُ أَوْ غَيْرُهُ ؛ ولهذا تقول : استغفرتُ لفلان ، كما تقول : استغفرتُ لنفسي ، وفي التنزيل : ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ (٧) ، وتكون فائدةُ الاستفهام لغَيْرِكَ أنْ يتكلمَ المجيبُ بالجواب ، فَيَسْمَعَهُ مَنْ جهل ، فَيَسْتَفِيدَهُ .

فقلت : لوصَحَّ ذلك (٨) لم يُطْبِقْ العلماءُ على أن ما ورد منه في كلامه – سبحانه – مصروفٌ إلى مَعْنىً آخَرَ غَيْرَ الاستفهام (٩) ، ولو كان على ماذُكِرَ لم يَسْتَحِلْ جَمْلُهُ (١٠) على الظاهر ، ويكون المرادُ منه أن يُجِيبَ بعضَ المخاطبين فَيَفْهَمَ الجوابَ من لم يكن عَالِماً به .

فإن قيل : فما سبب الفرق بين طلب المغفرة – مَثَلاً – وطلب الاستفهام ؟

قلت : طَلَبُ الإنسانِ المغفرة لغيره أن يَفْهَمَهُ الشخصُ المطلوبُ منه – مع كـونِ الطالب عَالمًا – فـهـو وإن كـان مُمْكنًا إلا [11] أنه لا تدعو الحاجة إلى إرادته غالبًا ، فإن المتكلم إذا كان عَالمًا كان أسْهَلَ من طلبه من غيره تفهيمَ غَيْرِهِ أن يفهـمه هو ؛ فلذلك لم تَنْصَرِفْ إرادةُ الواضع إلى ذلك القصد ؛ لعدم الحاجة إليه غالبًا .

(الفصل الثاني)

(في تفسير المطلوب بأداة الاستفهام ، وتقسيم الأداة باعتباره [12])

اعْلَمْ أن المـطـلوبَ حُصُولُهُ فـي الـذهـن إمَّا تَصَوُّرٌ أو تصديقٌ ؛ وذلك لأنه إمَّا أن يَطْلُبَ حُكْمًا بِنَفْيٍ أو إِثْبَاتٍ وهو (التصديق) [13] أوْلاَ وهو (التَّصَوُّرُ) [14] . والأداةُ [15] بالنسبة إليهما ثلاثةُ أقسام :

(١) مُخْتَصٌّ بطلب التصورِ ، وهو (أَمْ) المتصلة [16] وجميع أسماء الاستفهام [17] ، نحو : ما صَنَعْتَ ؟ وكَمْ مَالُكَ ؟ وأَيْنَ فَرَسُكَ ؟ ومتى سَفَرُكَ ؟ ونحوها .

(٢) ومُخْتَصٌّ بطلب التـصـديق ، وهو (أَمْ) المنقطعة [18] و (هل) .

(٣) ومُشْتَرَكٌ [19] بينهما وهو (الهمزة) التي لم [20] تُسْتَعْمَلْ مع (أَمْ) المتصلة ، فـتـقـول في طلب التـصـور : أَزَيْدٌ الخـارجُ ؟ فـإن المطلوبَ تعـيينُ الفـاعل [21] ، لا نَفْسُ النسبـة . وفي طلب التـصـديق : أَخَرَجَ زَيْدٌ ؟ – كـذا مَثَّلُوا – والظاهر أنه مُحْتَمِلٌ لذلك ؛ بأن يكون المتكلمُ شاكًا في حصـول النسبـة ، ومحـتـملٌ لطلب تصوُّرِ النسبة .

وبيـان ذلك أن المتكلم إذا شَكَّ في أنَّ الواقعَ من زيد خُرُوجٌ أو دُخُولٌ ، فله في السؤال طُرُقٌ :

أحـدها : أخَرَجَ زَيْدٌ أم دَخَلَ ؟ وجـوابه بالتـعـيين ، فَيَحْصُلُ مراده بالتنصيص عليه .

والثانية : أَخَرَجَ زَيْدٌ ؟

والثالثة : أَدَخَلَ زَيْدٌ ؟

فإنه يجاب في كل منهما بـ (نَعَمْ) أو (لا) ، ويحصل له مراده ، وأنه إذا أُجِيبَ بـ (نَعَمْ) عَلِمَ ثُبُوتَ ما سـأل عنه ، وانتفاءَ الفعل الذي لم يَسْأَلْ عنه ، [وإذا أجيب بـ (لا) عَلِمَ انتفاءَ ما سأل عنه ، وثبوتَ ما لم يَسْأَلْ عنه] [22] .

وتلخيصه : أن تصديق المذكور يقتضي تكذيبَ غَيْرِه ، وبالعكس ، وغَرَضُ السائل حَاصِلٌ على كُلِّ تقدير ، وغَايَةُ مـا تَخَلَّفَ في هاتين الطريقـتين أنّ السـامع لا يعلم : هل السائل مُتَرَدِّدٌ بين نسبتين أو بين حصول نسبةٍ وعدمها ؛ وهذا أمْرٌ خارجٌ عَمَّا نحن فيه .

وليس من الأوجه التي يحتـملها هذا الكلام أن يكون المراد بالاستفهام طَلَبَ تعيين المسند إليه ، وذلك بأن يكون المتكلم عَالِمًا بوقـوع الفـعل ، ولَكِنْ جَهِلَ عَيْنَ الفـاعل [23] ، فإنه لو أريد لَمْ يُولِ أدَاةَ الاستفهامِ ماهو عَالِمٌ بحصوله – وهو الفعل ويُؤَخِّرْ عنها ماهو شَاكٌّ فيه – وهو الفاعل – ، وإنما كان سبيلُهُ أن يَعْكِسَ الأمرَ ، فيقول : أَزَيْدٌ خَرَجَ ؟

وعلى هذا فـإذا قـيل : أَزَيْدٌ خَرَجَ ؟ احْتَمَلَ الكَلَامُ مـا احتمله ذلك المثال ، واحتـمل [مع] [24] ذلك وَجْهًا آخَرَ وهو السؤال عن المسند إليـه ، وتكون الجملةُ على هذا التقدير الأخير اسْمِيَّةٌ لا فِعْلِيَّةٌ ، وعلى تقدير أن السؤال عن المسند فِعْلِيَّةٌ لا اسْمِيَّةٌ ، وارتفع الاسْمُ حينئذٍ بفعلٍ محـذوف على شريطة التفسـير . وعلى تقدير أنه عن النسبة محـتملةٌ للاسمية والفعلية ، فالأرْجَحُ [25] الفعليةُ ؛ لأن طلب الهمزة للفعل أقوى ، فَهِيَ به أَوْلَى .

والنحـويون يَجْزِمُونَ بِرُجْحَانِ الفعليـة في هذا المثال ونحوه مطلقًا ؛ بناءً على ماذكرنا من أَوْلَوِيَّةِ الهمزة بالجُمَلِ الفعلية [26] . والتحريرُ ما ذكرنا . فمتى قَامت قرينةٌ نَاصَّةٌ على أن السؤال عن المسند إليه تَعَيَّنَتْ الاسمـيـةُ ، أوْ عَنْ المسند تَعَيَّنَتْ الفعليةُ ، وإلاَّ فَالأمْرُ على الاحتمال وترجيح الفعلية كما ذُكِرَ .

وأما أسماءُ الاستفهام فَكُلُّهَا مُضَمَّنَةٌ [27] معنى الهمزة التي يُطْلَبُ بها التَّصَوُّرُ ، والنحويون يقولون : معنى الهمزة – ويُطْلِقُونَ [28] – وهو صحيحٌ ، إلاَّ أنَّ فيه إجمالاً ونَقْصًا في التـعـليم ، وإنما لم يُوضِحُوا ذلك ؛ لأن الكلام في هذه الأغراض ليس من مقاصدهم .

(الفصل الثالث)

(في الفرق بين قِسْمَي «أَمْ»)

تفـتـرق (أَمْ) المتـصلة – وتَسمى المُعَادَلَةَ أيْضًا – و (أَمْ) المنقطعة – وتسمى المنفصلة أَيْضًا من كَلِّ واحدة من جِهَتَي اللفظ والمعنى من أربعة أوجه :

● فأما الأوجه اللفظية : (*) فأحدها باعتبار ما قبلها ؛ وذلك أن ما قبل المتصلة لا يكون إلا استفهامًا لفظًا ومعنًى ، أو استفهامًا لفظًا لامعنًى ؛ فالأول نحو : أَزَيْدٌ قائمٌ أَمْ عَمْرٌو ؟ والثاني نحو : سَوَاءٌ عَلَيَّ أَقُمْتَ أَمْ قَعَدْتَ ، فإن الهمزة هنا قد خُلِعَ منها معنى الاستفهام ؛ ولهذا يَصِحُّ في مكانها ومكان ما دخلت عليه المصدرُ ، فيقال : سَوَاءٌ عَلَيَّ قِيَامُكَ وَقُعُودُكَ . ويَصِحُّ تصديق الكلام الذي هي فيه وتكذيبه . ولا يستحقُّ المتكلمُ به جوابًا . واسْتُعْمِلَتْ في لازم الاستفهام – وهو التسوية – ؛ ألا تَرَى أن الطالب لفَهْم الشيء استوى عنده وُجُودُهُ وَعَدَمُهُ ، أَعْني استواءهما في أصل الاحتمال ، وإن كان أحدهما قد يكون راجحًا .

وهذا المعنى أشار إليه سيبَوَيْه – رحمه الله تعالى – بقوله : «وإنما جاز الاستفهام هنا ؛ لأنك سَوَّيْتَ الأمْرَيْن عندك ، كما استوى ذلك حين قلنا : أَزَيْدٌ عِنْدَكَ أَمْ عَمْرٌو ؟ فجرى هذا على حرف الاستفهام ، كما جرى على النداء في قولهم : اللَّهُمَّ اغْفِرْلَنَا أَيَّتُهَا العِصَابَةُ (٢٩) . انتهى .

وما قبل المنقطعة يكون استفهامًا ، نحو : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ (٣٠) وخبرًا ، نحو : ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ (٣١) .

(*) والوجه الثاني باعتبار ما قبلها أيضًا ، وذلك أن الاستفهام قَبْلَ المتصلة لا يكون إلا بالهمزة التي يُطْلَبُ بها التَّصَوُّرُ أو التَّسْوِيَةُ – كما قَدَّمْنَا – ، والاستفهامُ الذي قبل المنقطعة لا يكون بواحدةٍ منهما ، بل تارةً يكون بغير الهمزة البَتَّةَ ، كما في قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾ الآية ، وقول عَلْقَمَةَ بْن عَبَدَةَ (٣٢) :

هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتُودِعْتَ مَكْتُومُ
أَمْ حَبْلُهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مَصْرُومُ
أَمْ هَلْ كَثِيرٌ بَكَى لَمْ يَقْضِ عَبْرَتَهُ
إِثْرَ الأَحِبَّةِ يَوْمَ الْبَيْنِ مَشْكُومُ (٣٣)

وتارةً (٣٤) يكون بالهمزة التي يُطْلَبُ بها التصديقُ ، نحو : أَقَائِمٌ زَيْدٌ أَمْ قَعَدَ عَمْرٌو – إذا أردتَ بـ (أم) الإضرابَ عن الأول ، فإن أردت الاستفهامَ عن الواقع من النسبتين (٣٥) فـ (أم) متصلةٌ ، فالكلامُ على هذا محتملٌ للمتصلة والمنقطعة بِحَسَبِ الغرض الذي يريده . هذا معنى كلام جماعة .

وقال ابن هشام الخضراوي (٣٦) : «منْ شرط (أم) المتصلة ألاَّ يكونَ بعدها فعلٌ وفاعلٌ إلاَّ وقبلها فعلٌ وفاعلٌ ، والفاعل في كُلٍّ من الجملتين واحدٌ ، نحو : أقام زيد أم قعد ؟ فإن قلت : أقام زيد أم قعد عمرو ، كانت منقطعة .

وكذا إذا كان ما قبلها مبتدأً وخبرًا فلا بُدَّ من اتحاد الْخَبَرَيْن ، نحو : أَزَيْدٌ منطلقٌ أَمْ عمرو منطلقٌ ؟ فإن قلت : أَمْ عَمْرٌو جَالِسٌ ، كانت منقطعة .

وكذا إِذَا خَالَفْتَ بين الجملتين ، نحو : أَقَامَ زَيْدٌ أَمْ عَمْرٌو منطلقٌ» انتهى .

وهذا مخالفٌ لما تقدم ، ولا شكَّ أن تَخَالُفَ الْخَبَرَيْن أو الْفِعْلَيْن أو الجملتين يقتضي بظاهره الانقطاعَ ، وأمَّا أنه يَصِلُ إلى إيجاب ذلك فلا . وقد نَصُّوا على اتِّصَال (أم) في قوله :

مَا أُبَالِي أَنَبَّ بِالْحَزْنِ تَيْسٌ
أَمْ جَفَانِي بِظَهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ (٣٧)

مع اختلاف الْفَاعِلَيْن (٣٨) . وفي قوله :

وَلَسْتُ أُبَالِي بَعْدَ فَقْدِيَ مَالِكًا
أَمَوْتِيَ نَاءٍ أَمْ هُوَ الآنَ وَاقِعُ (٣٩)

مع اختلاف الْخَبَرَيْن (٤٠) .

وقد يُجَابُ بأن الجملتين هنا في تأويل المُفْرَدَيْن (٤١) ، فلذلك تَعَيَّنَ الاتصالُ (٤٢) ؛ لأنَّ ما قبل (أم) وما بعدها لا يَسْتَغْنِي أحدهما (٤٣) عن الآخر ، كما في قولك (٤٤) : أَزَيْدٌ أَمْ عَمْرٌو في الدار ؟ .

وإذا اتَّحَدَ الْخَبَرَان نحو : أَزَيْدٌ قَائِمٌ أَمْ عَمْرٌو قَائِمٌ ؟ احْتَمَلَ الكلامُ الاتِّصَالَ والانقطاعَ باختلاف التقدير (٤٥) .

فإن قيل : فَلِمَ لَزِمَ الجميع في نحو : أَزَيْدٌ قَائِمٌ أَمْ عَمْرٌو ؟ بالاتصال مع إمكان الانقطاع بأن يكون ما بعدها مبتدأً حُذِفَ خَبَرُهُ ؟

قيل : لأن الكلامَ إذا أمكن حَمْلُهُ على التمام امتنع حَمْلُهُ على الحذف ؛ لأنه دَعْوَى خلاف الأصل بغير بَيِّنَةٍ ؛ ولهذا امتنع أن يُدَّعَى في نحو : جاء الذي في الدار – أنَّ أَصْلَهُ : الذي هو في الدار (٤٦) .

(*) والوجه الثالث باعتبار ما بعدهما ، وهو أن (٤٧) المتصلة لا تدخل على الاستفهام ، بخلاف المنقطعة ، فإنها تدخل عليه ، ويكون بالحرف كما تقدم في الآية الكريمة ، وفي بَيْتَيْ عَلْقَمَةَ بْن عَبَدَةَ . وبالاسم كما في قول الله تعالى : ﴿ أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ ﴾ (٤٨) ، وقول الشاعر :

أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطِي الْعَلُوقُ بِهِ
رِئْمَانُ أَنْفٍ إِذَا مَا ضُنَّ بِاللَّبَنِ (٤٩) .

(*) والوجه الرابع باعتبار ما قبلهما وما بعدهما جميعًا : وهو أن المتصلة تقع بين المفردين وبين الجملتين . والمنقطعة لا تقع إلا بين الجملتين ، فأمَّا قولهم : (إنَّهَا لإبِلٌ أَمْ شَاءٌ) (٥٠) ، فمحمولٌ عند النحويين على إضمار مبتدأ .

وقد خرَقَ ابْنُ مالك (٥١) إجماعَهُمْ في ذلك ، فادَّعَى أنَّ المنقطعةَ قد تَعْطِفُ المُفردَ ، مُحْتجًا بما رواه من قول بعضهم : (إنَّ هُنَاكَ لإبِلاً أَمْ شَاءً) (٥٢) بالنصب .

ومَحْمَلُ هذا عند الجماعة - إنْ ثَبَتَ - على إضمار فِعْلٍ ، أي : أَمْ أَرَى شَاءً ، لا على العطف على اسم إنَّ (٥٣) .

ولقوله - رحمه الله - وَجْهٌ من النَّظَرِ ، وهو أن المنقطعة بمعنى (بَلْ والهمزة) ، وقد تتجرد لمعنى (بَلْ) (٥٤) ، فإذا استُعْمِلَتْ على هذا الوجه كانت بمنزلة (بَلْ) - وهي تعطف المفردات - فلا أقلَّ من أن يجوز .

فإن قيل : لو صَحَّ (٥٥) هذا الاعتبارُ لكان ذلك كثيرًا ، كما في العطف بـ (بَلْ) ، ولم يكن نادرًا ، ولا قَائِلَ بكثرته ، بل الجمهور يقولون بامتناعه الْبَتَّةَ ، وابْنُ مالك يقول بنُدُورِه .

قيل : الذي مَنَعَ من كثرته أنَّ تجرد (أَمْ) المنقطعة لمعنى الإضراب مع دخولها على المفرد لفظًا قليلٌ ، وتَبَيَّنَ من هذا أنه كان ينبغي لابْنِ مالك أن يقول : وقد تعطف المفردَ إن تجردت عن معنى الاستفهام . وقد يجاب بأنه استُغْنِيَ عن هذا التقييد بما هو معلوم من حكم الاستفهام بالهمزة ، وأنه لا يدخل على المفردات ، فكذا الاستفهام بـ (أَمْ) التي هي في قوة الهمزة وبَلْ .

وأما قول الزمخشري (٥٦) في : ﴿ أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ ﴾ (٥٧) : إن (آبَاؤُنَا) عطف على الضمير في (مَبْعُوثُونَ) ، وساغ العطف على المرفوع المتصل ؛ للفصل بين العاطف والمعطوف (٥٨) بالهمزة - فمَرْدُودٌ بما ذكرنا .

● وأمَّا أَوْجُهُ المعنى :

(*) فأحدها : ما أسلفناه في صدر المسألة من أنَّ المتصلة لطلب التصور ، والمنقطعة لطلب التصديق .

(*) والثاني : أنَّ المتصلة تفيد مَعْنًى واحدًا ، والمنقطعةَ تفيد مَعْنَيَيْنِ غالبًا ، وهو الإضرابُ والاستفهامُ .

(*) والثالث : أنَّ المتصلة ملازمةُ الاستفهامِ ، أوْ لازِمَهُ - وهو التَّسْوِيَةُ - ، والمنقطعة قد تَنْسَلِخُ عنه رأسًا ، وسَبَبُ ذلك ما قَدَّمْنَاهُ من أنها تفيد مَعْنَيَيْنِ ، فإذا تجردت عن أحدهما بقي عليها المعنى الآخر . والمتصلة لا تفيد إلا الاستفهام ، فلو تجردت عنه صارت مهملة .

ومما يَدُلُّ على أن المنقطعة قد تأتي لغير الاستفهام دُخُولُهَا على الاستفهام - كما قَدَّمْنَا من الشواهد - وبهذا يُعْلَمُ ضَعْفُ جَزْمِ النحويين أو أكثرهم في : (إنَّهَا لإبِلٌ أَمْ شَاءٌ) بأن التقدير : (بَلْ أهِيَ شَاءٌ) ؛ إذْ يجوز أن يكون التقدير : (بَلْ هِيَ شَاءٌ) - على أن المتكلم أَضْرَبَ عن الأول ، واستأنف إخبارًا بأنها شاءٌ (٦٠) .

وعلى هذا المعنى اتَّجَهَ لابْنِ مالك أن يَدَّعي أنها عاطفةٌ مفردًا على مفرد - كما قَدَّمْنَا .

ويُعْلَمُ أَيْضًا غَلَطُ ابْنِ النَّحْوِيَّةِ (٦١) وغيرِه ، في استدلالهم بنحو : ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ وبِبَيْتِ عَلْقَمَةَ ، على أن (هَلْ) بمعنى (قَدْ) (٦٢) ظَنًّا منهم أن معنى الاستفهام لا يفارق (أَمْ) والاستفهامُ لا يدخل على الاستفهام ، وجعلوا هذا نظير الاستدلال بقوله :

أَهَلْ رَأَوْنَا بِوَادِي القُفِّ ذِي الأَكَمِ (٦٣)

ومما يقطع به على قولهم بالبطلان أنها في البيت (٦٤) داخلةٌ على الجملة الاسمية ، وقد لا تدخل عليها .

فإن قيل : لَعَلَّهُمْ يُقَدِّرُونَ ارتفاعَ (كَبِيرٍ) (٦٥) بِفِعْلٍ محذوف (٦٦) ، على حَدِّ : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ﴾ (٦٧) .

فالجواب : أن ذلك ممتنع بعد (قَدْ) فكذلك ما رَادَفَهَا .

(*) الوجه الرابع : أن الاستفهام الذي تفيده المتصلة لا يكون إلا حقيقيًا ، والذي تفيده المنقطعة يكون حقيقيًا ، نحو : (إنَّهَا لإبِلٌ أَمْ شَاءٌ) على أحد الاحتمالين . وغير حقيقي ، نحو : ﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾ (٦٨) ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾ (٦٩) .

والحاصل : أن الفرق بين المتصلة والمنقطعة من أَوْجُهٍ :

(*) أحدها : أن ما قبل المتصلة لا يكون إلا استفهامًا . وما قبل المنقطعة يكون استفهامًا وغَيْرَهُ .

(*) والثاني : أن ما بعدها يكون مفردًا وجملةً . وما بعد المنقطعة لا يكون إلا جملةً .

(*) والثالث : أنها تُقَدَّرُ مع الهمزة قبلها بـ (أَيّ) ، ومع الجملة بعدها بالمصدر . والمنقطعة تُقَدَّرُ وحدها بـ (بَلْ والهمزة) .

(*) والرابع : أنها قد تحتاج لجواب ، وقد لا تحتاج . والمنقطعة تحتاج للجواب .

(*) والخامس : أن المتصلة إذا احتاجت إلى جواب ، فإن جوابها يكون بالتعيين . والمنقطعة إنما تجاب بـ (نَعَمْ) أو (لا) .

(*) والسادس : أن المتصلةَ عاطفةٌ ، والمنقطعةَ غيرُ عاطفةٍ ، ومِمَّنْ نَصَّ على هذا ابْنُ عُصْفُور (٧٠) في (مُقَرَّبِه) (٧١) ، وفيه خلافٌ مشهورٌ (٧٢)

[والله تعالى أعلم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل] (٧٣) .

[الهوامش والتعليقات]

(١) في الأشباه والنظائر [٤/٥٦] جاءت مقدمة المسألة هكذا : (بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والتسليم على سيدنا محمد أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحابته أجمعين ، وبعد : فهذه مسألة في شرح حقيقة الاستفهام ، والفرق بين أدواته ، على حسب ما التمس مني بعض الإخوان ، وبالله تعالى المُسْتَعَانُ ، وعليه التُّكْلَانُ ، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وفيه فصول) .

(٢) مصطلح كلامي معناه : الحالة التي تعرض للشيء بسبب حصوله في المكان .

(٣) مصطلح كلامي معناه : الهيئة القارَّةُ في الشيء لا يقتضي قسمةً ولا نسبةً لذاته ، وقد شرح الإمام علي بن محمد الجرجاني - صاحب التعريفات - هذا فقال : قوله : (هيئة) يشمل الأعراض كلها ، وقوله : (قارَّة في الشيء) احتراز عن الهيئة غير القارَّة كالحركة والزمان والفعل والانفعال ، وقوله : (لا يقتضي قسمة) يخرج الكَمّ ، وقوله : (ولا نسبة) يخرج الأعراض ، وقوله : (لذاته) يدخل فيه الكيفيات المقتضية للقسمة أو النسبة باقتضاء محلها ذلك ، وهي أربعة :

الكيفيات المحسوسة ، والنفسانية ، والمختصة بالكميات ، والاستعدادية .

[انظر توضيحًا في : التعريفات ١٨٨] .

(٤) مصطلح كلامي معناه : الْعَرَضُ الذي يقتضي الانقسام لذاته ، متصلاً كان أو منفصلاً .

(٥) في الأشباه والنظائر [٤/٥٦] ، في ذهنه .

(٦) في الأشباه والنظائر [٤/٥٦] : (عنه) - وهو تصحيف .

(٧) الآية ٦٤ من سورة النساء - وفيها دليل على أن طلب الغَفْرِ - الذي هو معنى الاستغفار - قد يكون للطالب نفسه ، لا للمخاطب ولا غيره ، وذلك في قوله : (فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ) ، أي لأنفسهم . كما يكون لغير الطالب ، وذلك في قوله : (وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ) .. وعليه يُقَاسُ الاستفهام عند هؤلاء ، فقد يكون طلب الفهم للمتكلم الطالب ، وقد يكون لغيره من مخاطب أو غائب .

(٨) أي : لوصحّ أن يكون الطلب لغير المتكلم من مخاطب أو غائب .

(٩) كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ : يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ : اتَّخِذُونِي وَ أُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟ قَالَ : سُبْحَانَكَ﴾[المائدة ١١٦] ، فلو جاز أن الاستفهام قد يكون تحصيل مضمونه لغير المتكلم ما لجأ العلماء إلى إخراجه هنا عن معناه إلى معنى آخر مجازيّ .

جاء في تفسير القرطبي (في موطن هذه الآية) : «واختلف أهل التأويل في معنى هذا السؤال - وليس هو باستفهام ، وإن خرج مخرج الاستفهام - على قولين : أحدهما أنه سأله عن ذلك توبيخًا لمن ادَّعَى ذلك عليه ؛ ليكون إنكاره بعد السؤال أبلغ في التكذيب ، وأشدُّ في التوبيخ والتقريع . والثاني قصد بهذا السؤال تعريفه أن قومه غَيَّرُوا بعده ، وادَّعَوْا عليه مالم يَقُلْهُ» .

(١٠) أي لم يكن من المستحيل .

(١١) التعبير (هو وإن كان ... إلاَّ أنه ...) لا يستقيم على جهة الفصحى ؛ لما فيه من زيادة (إلاّ) وأصلها الاستثناء ، وهي من حروف المعاني التي لا تزاد بقياس ، بل يوقف بها عند حَدِّ السماع ، كما قيل في أحد تخاريج قول ذي الرمة .

حَرَاجِيجُ مَاتَنْفَكُّ إِلاَّ مُنَاخَةً
عَلَى الْخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بَلَدًا قَفْرَا

وقد وقع في مثل هذا كثير من المصنفين في اللغة وغيرهم ، كالزمخشري في المفصل ، وابن يعيش في شرحه عليه . وقد يُتَأَوَّلُ لهؤلاء ، وإن كان التأويل في مثله غير مستساغ . أما التعبير الفصيح فهو أن يقال : (فهو وإن كان ممكنًا ، لا تدعو الحاجة إلى إرادته غالبًا) .

(١٢) في الأصل : (بأداته) ، ولا وجه له ، والتصحيح من الأشباه والنظائر [٤/٥٧] .

(١٣) مصطلح منطقي يراد منه : إدراك الماهية مع الحكم عليها بنفي أو إثبات .

(١٤) مصطلح منطقي يراد منه : إدراك الماهية من غير الحكم عليها بنفي أو إثبات .

(١٥) في الأشباه والنظائر [٤/٥٧] : (والأدوات) .

(١٦)(أم) المتصلة تنحصر في نوعين :

أحدهما : أن تتقدم عليها همزة التسوية ، كقوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ [المنافقون ٦٣] .

والثاني : أن يتقدم عليها همزة يطلب بها وبـ (أم) تعيين أحد الشيئين أو الأشياء ، كقوله تعالى : ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ؟ ﴾ [النازعات ٢٧] .

وإنما سميت (أمْ) في هذين النوعين متصلةً ؛ لأن ما قبلها وما بعدها متصلان ، لا يستغنى بأحدهما عن الآخر . وتسمى أيضًا (المعادلة) ؛ وذلك لمعادلتها للهمزة في إفادة التسوية في النوع الأول ، والاستفهام في النوع الثاني . [انظر : مغني اللبيب ٦١] .

(١٧) ذكر هنا بعض أسماء الاستفهام التي يطلب بها التصور (ما ، كم ، أين ، متى) . أما بقية هذه الأسماء فهي : (مَنْ ، كيف ، أيّ ، أيّانَ ، أنّى) ، ولكل منها موضع . فـ (ما) يستفهم بها عن غير العقلاء أو عن صفات العقلاء . و (كم) عن العدد . و (أين) عن المكان . و (متى) عن الزمان مطلقًا ماضيًا أو حاضرًا أو مستقبلاً . و (مَنْ) عن العقلاء . و (كيف) عن الأحوال . و (أيّ) عن العقلاء وغيرهم . و (أيّانَ) عن الزمان الذي لم يجئ . و (أنّى) عن الأحوال أو الأمكنة .

(١٨) (أمْ) المنقطعة ثلاثة أنواع :

١ - مسبوقة بخبر محض ، نحو قوله تعالى : ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ [السجدة ٢ ، ٣] .

٢ - ومسبوقة بهمزة لغير الاستفهام ، نحو قوله تعالى : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف ١٩٥] .

٣ - ومسبوقة بغير الهمزة ، نحو قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَ النُّورُ ﴾ [الرعد ١٦] .

ومعنى (أمْ) المنقطعة هو الإضراب : إمّا مجردًا ، وإمّا مصحوبًا بإرادة استفهام إنكاريّ أو طلبيّ . وسميت (أمْ) هذه منقطعةً ؛ لأن ما بعدها منقطع في الحكم عما قبلها . [انظر تفصيلاً في : مغني اللبيب ٦٥ وما بعدها] .

(١٩) في الأشباه والنظائر [٥٧/٤] : ومنزل .

(٢٠) في الأشباه والنظائر [٥٧/٤] : التي تستعمل مع (أمْ) . وفيه سقطت (لَمْ) إذ أن الهمزة المستعملة مع (أم) المتصلة مما يطلب بها التصور ، لا التصديق ولا احتمالُه - على الأرجح .

(٢١) لا يقصد من الفاعل هنا الفاعل النحوي الاصطلاحي ، وإنما المقصود الفاعل اللغوي ، أي الذي حدث منه خروج في مثاله هنا (أزيد الخارج ؟) .

(٢٢) تكملة من الأشباه والنظائر [٥٧/٤] .

(٢٣) أي : جهل الشخص الذي حدث منه هذا الفعل على وجه تخصيصه وتعيين ذاته .

(٢٤) زيادة لاتِّسَاقِ الكلام ، وهي من الأشباه والنظائر [٥٧/٤] .

(٢٥) في الأشباه والنظائر [٥٧/٤] : (والأرجح) .

(٢٦) ليست هذه الأولوية مختصة بالهمزة ، بل هي في كل أدوات الاستفهام ، لأن الاستفهام لا يكون عن الذوات ، وإنما يقع عن أحوالها وأفعالها ، وذلك من سِمَةِ الأفعال .

جاء في كتاب سيبويه [١٠١/١ تحقيق عبدالسلام هارون] : «واعلم أن حروف الاستفهام كلها يقبح أن يصير بعدها الاسم إذا كان الفعل بعد الاسم ، لو قلت : هل زيد قام ؟ وأين زيد ضربته ؟ لم يجز إلا في الشعر ، فإذا جاء في الشعر نصبته إلا الألف ؛ فإنه يجوز فيها الرفع والنصب ؛ لأن الألف قد يبتدأ بعدها الاسم» .

وقال سيبويه أيضًا [١١٥/٣] : «واعلم أنه إذا اجتمع بعد حروف الاستفهام - نحو هل وكيف ومن - اسم وفعل ، كان الفعل بأن يلي حَرْفَ الاستفهام أَوْلَى ؛ لأنها عندهم في الأصل من الحروف التي يذكر بعدها الفعل» .

(٢٧) معنى التضمين هنا : أن الاسم يؤدي ماتؤديه الهمزة من المعنى ، ويصاغ عليه صياغةً لا يظهر ذلك الحرف معه ، قال ابن النحاس : « الفرق بين المتضمن معنى الحرف وغير المتضمن : أن المتضمن معنى الحرف لا يجوز إظهار الحرف معه في ذلك المكان . وغير المتضمن يجوز إظهار الحرف معه في ذلك المكان» . [انظر : الأشباه والنظائر ١٠٢/٢] .

(٢٨) وكان الأَوْلَى والأَوْضَحُ أن يَنُصَّ النحاة على أن هذه أسماء استفهام مضمنة معنى الهمزة «المفيدة للتصور» ؛ إذ إن من همزة الاستفهام ما يفيد معنى التصديق أو يحتمله ، ولكنهم يطلقون ، على اعتبار أن الغالب في الهمزة أن تكون للتصور .

(٢٩) انظر : كتاب سيبويه [١٧٠/٣] وفي العبارة هنا بعض تغيير ، ونَصُّهَا هناك : «وإنما جاز حرف الاستفهام ها هنا ؛ لأنك سَوَّيْتَ الأمرين عليك ، كما استويا حين قلت : أزيد عندك أم عمرو ؟ ، فجرى هذا على حرف الاستفهام ، كما جرى على حرف النداء قولهم : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لنا أَيَّتُهَا العصابةُ» .

(٣٠) الآية ١٦ من سورة الرعد .

(٣١) الآيتان ٢ ، ٣ من سورة السجدة .

(٣٢) هو : علقمة بن عبدة بن النعمان ، شاعر جاهلي ، اتصل بالمناذرة والغساسنة ، واشتهر بوصف النُّوقِ ، واشترك في خصومات شعرية مع معاصريه ، ومن أشهرهم امرؤ القيس . توفي سنة ٦٠٣م .

(٣٣) البيتان من البسيط ، ووقع في الأصل (كثير) بَدَلاً من (كبير) ، وكذلك جاء في شرح الكافية للرضي ، وفَسَّرَهُ المعلِّق هناك فقال : الكثير والكَوْثَرُ : الرجل السيد الكثير الخير ، قال :

وأنت كثير يا ابن مروان طيب
وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

اهـ . وكأنه يُقِرُّ رواية (كثير) .

لكن المشهور في الرواية (كبير) بمعنى طاعن في السن شيخ . وقوله : لم يَقْضِ عَبْرَتَهُ : أي دام البكاء فلم تنقطع دموعه ، والشُّكْمُ : العطاء جزاءً ، فإن كان ابتداءً فهو شكر .

ومعنى البيتين : هل ما اطَّلَعْتَ عليه من سرِّ هذه الجارية التي نَأَتْ عنك واستودعتك إيَّاه مكتومٌ عندك ، لا تبوح به ، أم تَقْطَعُ حبلها أو تبوح بِسِرِّهَا ، أم هل تجازيك على بكائك في

إثرها ؛ لمفارقتك إياها وأنت شيخ كبير ؟ [انظر : ديوان علقمة ٥٨ ، النكت في تفسير كتاب سيبويه ٢/٨٠٢ ، شرح المفصل لابن يعيش ٤/١٨ ، ٨/١٥٣ ، المقتضب للمبرد ٣/٢٩٠ ، الأمالي لابن الشجري ٢/٣٣٤] .

(٣٤) في الأشباه والنظائر [٤/٥٩] : (وبأن يكون) .

(٣٥) في الأشباه والنظائر [٤/٥٩] : (بين) .

(٣٦) هو : أبو عبدالله محمد بن يحيى بن هشام الخضراوي ، نحوي أندلسي ، أخذ عن ابن خروف ، وأخذ عنه الشلوبين ، من مؤلفاته : شرح الإيضاح للفارسي ، وشرح أبيات الإيضاح توفي سنة ٦٤٦هـ .

(٣٧) البيت من المديد ، ويروى (لحاني) بَدَلاً من (جفاني) . وهو من شعر حسان بن ثابت . وقوله : (نَبٌ) : من نبيب التيس وهو صوته عند الهِيَاج ، و (الحَزَن) : ما غلظ من الأرض ، وخصَّه ؛ لأن الجبال أخصب للماعز من السهول . و (لحاني) : لامني وشتمني . و (بظهر الغيب) : في غيبتي . يقول : لقد استوى عندي نبيب التيس ونيل اللئيم من عرضي وأنا غائب .

[انظر : ديوان حسان ٣٧٨ ، كتاب سيبويه ٣/١٨١ ، الأمالي لابن الشجري ٢/٣٣٤ ، خزانة الأدب ٤/٤٦١] .

(٣٨) بل في البيت اختلاف الفعلين والفاعلين جميعًا قبل (أم) وبعدها : أما اختلاف الفعلين ؛ فالذي قبل (أم) هو الفعل (نَبّ) ، والذي بعدها هو الفعل (جفا) . وأما اختلاف الفاعلين ؛ فلأن فاعل (نَبّ) هو (تيس) ، وفاعل (جفا) هو (لئيم) . فقد اختلفت الجملتان قبل (أم) وبعدها ، وعُدَّتْ (أم) مع ذلك متصلة . وفيه ردٌّ على ابن هشام الخضراوي في رأيه المذكور .

(٣٩) البيت من الطويل ، وبعضهم ينسبه إلى متمم بن نويرة . ومعناه : استوى عندي أن أموت الآن أو أموت غدًا ، بعد أن مات من كنت أحبه وأوثره ، وهو مالك . [انظر : مغني اللبيب ٦١ ، ارتشاف الضرب ٢/٦٥٣ ، شرح الشواهد للسيوطي ٤٩ همع الهوامع للسيوطي : الشاهد ١٦٠٧] .

(٤٠) يقصد الخبر قبل (أم) وهو (نَاءٍ) بمعنى (بعيد) ، والخبر قبلها وهو (واقع) ، ومع هذا الاختلاف عدَّ النحاة (أم) هنا متصلةً . وفيه ردٌّ على ابن هشام الخضراوي في رأيه المذكور .

(٤١) ففي البيت الأول ، التقدير : لا أبالي نبيب تيس وجفاء لئيم . وفي البيت الثاني ، التقدير : لا أبالي نأى موتي و وقوعه .

(٤٢) كلمة (الاتصال) مكررة في الأصل .

(٤٣) في الأشباه والنظائر [٤/٥٩] : (بأحدهما) .

(٤٤) في الأشباه والنظائر [٤/٥٩] : (قولنا) .

(٤٥) في الأشباه والنظائر [٤/٦٠] : (التقديرين) .

(٤٦) تفسير هذا : أن الاسم الموصول يحتاج إلى صلة ، وهي لابد أن تكون جملة أو شبه جملة (ظرفًا أو جارًا ومجرورًا) . وقولنا : (في الدار) من المثال (جاء الذي في الدار) إذا قدرنا أنه شبه جملة متعلق بمحذوف تقديره (استقر) صَحَّ ولم يحتج إلى تقدير محذوف منه . وإذا قدرنا أنه جملة اسمية وقعت صلة احتاج ذلك إلى تقدير حذف العائد على الموصول ، ويقع هنا مبتدأ مخبرًا عنه بالجار والمجرور . وفيه حذف العائد المرفوع مع غير (أي) ، وهو لا يجوز إلا إذا طالت الصلة ، ولم تَطُلْ هنا .

(٤٧) في الأشباه والنظائر [٤/٦٠] : (أمْ) .

(٤٨) الآيتان ١٩ ، ٢٠ من سورة الملك ، وقد دخلت (أم) المنقطعة هنا على اسم الاستفهام (مَنْ) .

(٤٩) البيت من البسيط ، وقبله قوله :

أنَّى جَزَوْا عامِراً سُوءَى بفعلهمُ

أمْ كيفَ يَجْزُونَنِي السُّوءَى منَ الحَسَنِ

وهما للشاعر (أُفْنُونُ التغلبي) ، واسمه ظالم أو صريم ابن معشر – و (الرِّئمان) مصدر وهو : أن تحب الناقة ولدها فتلزمه وتَحُكُّ أنفها به دون أن ترضعه . و (العلوق) – بفتح العين – : الناقة التي عَلِقَ قلبها بولدها ؛ وذلك أنه يُنْحَرُ ، ثم يُحْشَى جلده تِبْنًا ، ويجعل بين يديها لتشمَّه ، فتدرَّ عليه ، فهي تسكن إليه مرة ، وتنفر عنه أخرى .

وهذان البيتان ينشدان لمن يَعِدُ بالجميل ولا يفعله ؛ لانطواء قلبه على ضده ، ولهما قصة بين الكسائي والأصمعي بحضرة هارون الرشيد ، انظرها في : مغني اللبيب ٦٧ .

والشاهد الذي جيء البيت لأجله هو : دخول (أم) المنقطعة على اسم الاستفهام (كيف) ومثله البيت قبله – وإن لم يذكر ذلك في الأصل .

(٥٠) مثال مشهور مَحْكيٌ عن العرب قديمًا ، وفيه وقع الاسم المفرد – ظاهرًا – بعد (أم) المنقطعة ، وهذا المفرد هو (شَاء) ، ولذا خرَّجه النحويون على ما ذكر في المتن من تقدير المفرد هنا خبرًا لمبتدأ محذوف .

انظر المثال في : لسان العرب (أمم) ، كتاب سيبويه ٣/١٧٢ ، ١٧٤ ، التبصرة والتذكرة للصيمري ١/١٣٥ ، الجنى الداني ٢٢٦ ، مغني اللبيب ٦٨ ، ٦٩ ، الكافية الشافية ٣/١٢١٩ ، المقتصد للجرجاني ٢/٩٥٢ ، ٩٥٣ ، فاتحة الإعراب ١٦٩ ، المساعد على تسهيل الفوائد ٢/٤٥٦ ، شرح عيون الإعراب للمجاشعي ٢٤٥ .

(٥١) هو : جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك ، ولد في الأندلس وتوفي بدمشق سنة ٦٧٢هـ ، ومن أشهر مؤلفاته النحوية : الألفية ، والتسهيل ، وشرح التسهيل ، والكافية الشافية .

(٥٢) انظر رأي ابن مالك هذا ورواية النصب المحكية في هذا المثال في : تسهيل الفوائد لابن مالك ١٣٦ ، وتعليق الفرائد ٢٥٠ ، وهمع الهوامع ٥/٢٤٦ ، وارتشاف الضرب ٢/٦٥٦ .

أما ابن مالك في غير (التسهيل) ، فقد كان مع النحاة غيره في أن (أم) المنقطعة تقع بين جملتين لا بين مفردين ، وتأوَّل المثال – على رواية الرفع – كما تأوَّلوه ، على تقدير : إنها لإبل أم أهي شاء .

(٥٣) انظر هذا التأويل في : مغني اللبيب ٦٨ ، همع الهوامع ٢/٢٤٦ .

(٥٤) تقدير (أم) المنقطعة بمنزلة (بل والهمزة) مطلقًا هو رأي البصريين ، وذهب الكسائي وهشام من الكوفيين إلى أنها بمنزلة (بل) وما بعدها مثل ما قبلها . فإذا قلت : قام زيد أم عمرو ، فالمعنى : بل قام عمرو . وإذا قلت : هل قام زيد أم قام عمرو ؟ ، فالمعنى : بل هل قام عمرو ؟ .

وذهب الفراء إلى أن العرب تجعل (أم) مكان (بل) إذا كان في أول الكلام استفهام .

وذهب بعض الكوفيين إلى أنها تكون بمعنى (بل) بعد الاستفهام وبعد الخبر ، قال : وقد تكون بمعنى الهمزة إذا لم يتقدمها استفهام ، وإلى هذا ذهب الهروي في الأزهية .

وذهب أبو عبيدة إلى أنها بمعنى ألف الاستفهام ، وذهب إليه الفراء في بعض المواضع . [انظر : ارتشاف الضرب ٦٥٤/٢] .

(٥٥) (هذا) مكررة في الأصل .

(٥٦) هو : جار الله محمود بن عمر ، إمام في اللغة والنحو والتفسير والأدب والبلاغة ، من مؤلفاته : تفسير الكشاف ، أساس البلاغة ، المفصل في النحو . توفي سنة ٥٣٨هـ .

(٥٧) الآيتان ١٦ ، ١٧ من سورة الصافات .

(٥٨) في الأشباه والنظائر [٦١/٤] : (الضمير) .

(٥٩) في الأشباه والنظائر [٦١/٤] : (والمعطوف عليه) .

(٦٠) انظر التعليقة (٥٣) .

(٦١) هو : محمد بن يعقوب بن إلياس بدر الدين ، عالم بالعربية من أهل دمشق ، له شرح ألفية ابن معطي ، وإسفار الصباح عن ضوء المصباح ، وقد اختصر به المصباح في المعاني والبيان وشرحه ، وله شرح على الكافية لابن الحاجب . توفي سنة ٧١٨هـ .

(٦٢) في الأشباه والنظائر [٦١/٤] بعد قوله : وبيتي علقمة جاء قوله : [على أن (هل) بمعنى الاستفهام لا يفارق (أم)] جاء هذا بدلاً من قوله هنا : [على أن هل بمعنى (قَدْ) ؛ ظنًا منهم أن معنى الاستفهام لا يفارق أم ...] .

هذا ومجيء (هل) بمعنى (قد) جاء في كلام سيبويه ، ففي كتابه [١٨٩/٣] قال : «وكذلك (هل) إنما تكون بمنزلة (قد) ، ولكنهم تركوا الألف ؛ إذا كانت هل لا تقع إلا في الاستفهام» . وقال [١٠٠/١] : «وتقول : أم هَلْ ، فإنما هي بمنزلة (قَدْ) ، ولكنهم تركوا الألف استغناءً ؛ إذا كان الكلام لا يقع إلا في الاستفهام» .

وجاء في الجنى الداني [٣٤٠] : المعنى الثاني لـ (هَلْ) أن تكون بمعنى (قَدْ) ، ذكر هذا قوم من النحويين ، منهم ابن مالك ، وقال به الكسائي والفراء وبعض المفسرين - كابن عباس وقتادة وأبي عبيدة - كما ارتضاه المبرد وابن جني وابن خالويه والزمخشري وابن الأنباري وغيرهم في قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ .

وأنكر بعضهم مرادفة (هل) لـ (قَدْ) ، وقال آخرون : إن أصل (هل) أن تكون بمعنى (قد) ، ولكنه لَمَّا كثر استعمالها في الاستفهام استغنى بها عن الهمزة .

[انظر تفصيلاً لذلك كله ، وَرَدَّ ابن هشام الأنصاري على من زعم أنها تأتي بمعنى (قد) في : مغني اللبيب ٤٦٠ وما بعدها ، همع الهوامع ٣٩٤/٤ وما بعدها] .

(٦٣) عجز بيت من البسيط ، وهو لزيد الخيل ، وصدره قوله : سَائِلْ فَوَارِسَ يَرْبُوعٍ بِشَدَّتِنَا ، ويروى (القَاعِ) بدلاً من (القُفِّ) ، كما يروى : (فَهل رأونا) ، وعلى هذه الرواية لا شاهد في البيت .

[انظر : ديوان زيد الخيل ١٠٠ ، مغني اللبيب ٤٦٠ ، المقتضب ٤٤/١ ، الأمالي الشجرية ٣٣٤/٢ ، همع الهوامع الشاهد ١٣٦٢ ، ١٦١٥ ، شرح المفصل لابن يعيش ١٥٢/٨] .

(٦٤) أي في بيت علقمة السابق ، وهو قوله :

أَمْ هَلْ كَبِيرٌ بَكَى لَمْ يَقْضِ عَبْرَتَهُ
إِثْرَ الأَحِبَّةِ يَوْمَ الْبَيْنِ مَشْكُومُ

والجملة الاسمية هنا هي : (كبير) المبتدأ و (مشكوم) الخبر ، أما الجملة بينهما فهي من صفات المبتدأ (كبير) .

(٦٥) في الأصل (كثير) ، وما أثبته من الأشباه والنظائر [٦٢/٤] .

(٦٦) هذا على تقدير أن تكون جملة (بكى) في موضع الخبر عن كبير ، ولا يكون إلا بتأويل بعيد .

(٦٧) الآية ٦ من سورة التوبة . وقوله (أحد) فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده ، والتقدير : وإن استجارك أحد استجارك ؛ وذلك لأن أدوات الشرط لا يليها إلا الأفعال من حيث إن الشرط يرتبط بالأحداث المتغيرة لا بالذوات الثابتة .

(٦٨) الآية ١٦ من سورة الزخرف . والاستفهام هنا غير حقيقي ؛ لصدوره من رب العزة العليم الخبير ، وإنما المقصود منه هو الإنكار والتوبيخ ؛ لادِّعاء المشركين ذلك على الله تعالى ، ولا بد من تقدير (أم) هنا بـ (بل والهمزة) ؛ إذ إن الإضراب وحده من دون الاستفهام يلزم منه المحال ، وهو إثبات ذلك لله جل وعلا .

(٦٩) الآية ٣٩ من سورة الطور . والاستفهام هنا غير حقيقي ؛ لصدوره من رب العزة العليم الخبير ، وإنما المقصود منه هو الإنكار والتوبيخ في ادِّعاء المشركين ذلك على الله تعالى ، ولا بد من تقدير (أم) هنا بـ (بل والهمزة) ؛ إذ إن الإضراب وحده من دون الاستفهام يلزم منه المحال ، وهو إثبات ذلك لله جل وعلا .

(٧٠) هو : أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي ، من نحاة الأندلس . من مؤلفاته : المقرب في النحو ، الممتع في التصريف ، ضرائر الشعر . توفي سنة ٦٦٣هـ .

(٧١) كتاب في النحو لابن عصفور ، أَلَّفَهُ استجابةً لطلب الأمير (أبي زكريا) أمير الدولة الحفصية في تونس (ت ٦٤٧هـ)

وجعله منزهًا عن الإطناب الممل والإيجاز المخل ، عاريًا عن الدليل والتعليل . وأبواب الكتاب أربعة وستون بابًا ، آخرها باب الضرائر . وقد طبع الكتاب ونشر في بغداد بتحقيق الدكتور أحمد عبدالستار الجواري ، وعبدالله الجبوري ، كما طبع في الكويت بتحقيق يعقوب الغنيم .

(٧٢) أما (أم) المتصلة فقد أنكر أبو عبيدة مَعْمَرُ بْنُ المُثَنَّى - وتبعه صاحب البديع - أن تكون حرف عطف ، وقال : إنها بمعنى همزة الاستفهام ؛ ولهذا يقع بعدها جملة يستفهم عنها كما تقع بعد الهمزة ، ولتساوي الجملتين بعدها في الاستفهام حسن وقوعها بعد سواء ، لكن لما كانت تتوسط بين محتمل الوجود لشيئين أحدهما الاستفهام كتوسط (أو) بين اسمين محتملي الوجود قيل إنها حرف عطف .

وأما (أم) المنقطعة ، فقد قال المغاربة : إنها ليست حرف عطف ؛ لأن ما بعدها ليس مع ما قبلها كلامًا واحدًا ، بل هو كلام مستأنف منقطع ، وحروف العطف ما بعدها مع ما قبلها كلام واحد . وذكر ابن مالك أنها قد تعطف المفرد كقول العرب : إنها لإبل أم شاء ؛ لأنها بمعنى (بل) العاطفة [انظر تفصيلاً في : الجنى الداني ٢٢٦ ، همع الهوامع ٥/٢٣٧ ، شرح الجمل لابن عصفور ١/٢٣٧] .

(٧٣) زيادة من الأشباه والنظائر [٤/٦٢] .

رسالة في «أيّ» لعثمان النجدي

حسان فلاح أوغلي
حمص - سورية

هذه رسالة في «أيّ» المشددة الياء ، لمؤلفها عثمان النجدي ، وقد سبق لي أن حققت للمؤلف نفسه رسالة بعنوان «كشف الضو في معنى لو» . وقد نشرتْها مجلة التراث العربي في عددها الرابع والثلاثين - كانون ١٩٨٩م .
المخطوطة من محفوظات دار الكتب الظاهرية برقم (٥٨ - عام) . وتقع في سبع لوحات ، شُغل القسم الأيسر من اللوحة الأولى بكتابة عنوان الرسالة وورد فيها : «أنّ هاتين رسالتان : الأولى كشف الضو في معنى لو ، والثانية تتعلق بأيّ المشددة الياء للعلامة عثمان النجدي الحنبلي» . وقد كتبت بخط نسخي مقبول .

- مؤلف الرسالة هو عثمان بن أحمد بن سعيد بن قائد النجدي ، فقيه حنبلي ، وُلد في العُيينة بنجد ، وله عدة مؤلفات في فقه الحنابلة منها : «هداية الراغب لشرح عمدة الطالب» ، و«حواشي على منتهى الإرادات» و«رسالة في الرضاع» . وله «نجاة الخلف في اعتقاد السلف» و«مختصر درة الغواص» (١) .
- نقل المؤلف عن عدة كتب مثل ألفية ابن مالك وشرح المرادي عليها ، ومغني اللبيب وكتاب سيبويه . وقد خلت الرسالة من الشواهد الشعرية ، وأكثر المؤلف فيها من التفصيل والتقسيم .
- وقع الناسخ في بعض الأخطاء ، ويلاحظ تخفيف الهمز إما حذفًا أو تسهيلاً .

بسم الله الرحمن الرحيم

[٦٢/أ] . وبه ثقتي ورجائي . الحمد لله رافع المشكلات عن أولى الألباب ، وناصب العلامات على ذلك من سنّة وكتاب ، حتى انخفض لهم وسهل ما أراده ، فجزموا بأن الفاعل حقيقةً من قصدوه . والصلاة والسلام على خير خلقه ، محمد وعلى آله وصحبه . وبعد : فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربّه العلي ، عثمان بن أحمد النجدي الحنبلي ، لطف الله تعالى بهما والمسلمين : هذه فوائد تتعلق بأيّ المشددة الياء من كلمات العربية ، توضح ما فيها من أقسام وأحكام حتى تصير خفياتها جلية . أسأل الله - تعالى - بفضله العميم أن ينفع بها قارئها ، والناظرُ فيها بقلب سليم . وقد رتبت الكلام فيها على ثلاثة (٢) فصول ، وخاتمة نرجو حُسنها والقبول .

الفصل الأول : في أقسامها :

اعلم أن «أيًّا» تأتي في العربية على ستة أوجه :

- أحدها : أن تكون شرطية ، كقوله تعالى : ﴿أيًّا ما تدعُوا فله الأسماء الحسنى﴾ (٣) .
- والثاني : أن تكون استفهامية ، كقولة تعالى : ﴿فأيُّ الفريقين أحقُّ بالأمن﴾ (٤) .
- الثالث : أن تكون صفة لنكرة نحو : «مررت بفارس أيّ فارس» .
- الرابع : أن تكون حالاً لمعرفة نحو : «مررت بزيدٍ أيَّ

زيد» . وهي في الوصفية والحالية على معنى الكمال .

– الخامس : أن تكون موصولة كقوله تعالى : ﴿.. ثم لننزعنّ من كل شيعة أيُّهم أشدُّ﴾ (٥) .

– السادس: أن تكون وُصلة لنداء [٦٢، ب] ما فيه (ال)، كقوله تعالى : ﴿ يا أيّها المزمل ﴾ (٦) . ومعنى كونها وصلة لنداء ما فيه (ال) ، أنه لا يجوز في الاختيار جمع (يا) و (ال) إلاّ مع «الله» ومحكيّ الجمل ، فلا نقول : «يا المزمّل» ولا «يا القائم» ونحوها . فمتى أرادوا ما فيه (ال) أتوا قبله بـ «أيّ» فأدخلوا عليها حرف النداء ، وأتوا بعدها بهاء التنبيه جبرًا لما فاتها من الإضافة ، ثم أتوا بالمقصود بالنداء في صورة نعت لـ «أيّ» ، تابع لها على اللفظ لا على المحل . فإنّ محلها نصْبٌ على المفعولية بفعل محذوف وجوبًا تقديره «أدعو» (٧) أو «أنادي» أو «أطلب» ونحو ذلك. فمتى كان المنادى «أيًا» وجب وصفُهُ بمرفوعٍ معرف بالأداة لما ذكرنا ، كما أشار إلى ذلك في الخلاصة بقوله :

وأيُّها مصحوب «أل» بعد صفهْ
يلزم بالرفع لدى ذي المعرفة (٨)

وإنما جاز إتباع وصف «أيّ» لها في حركة بنائها لأنه عارض ، فالحركة الحادثة بمجيء النداء شبيهة بحركة الإعراب الحادثة بمجيء العامل . ونظير هذا نعت اسم «لا» المبنيّ معها ، فإنه يجوز فيه النصب إتباعًا لفتح اسم «لا» عند بعضهم نحو : «لا رجلَ صالحًا محروم» (٩) . وقد أشار إلى ذلك العلامة ابن (١٠) هشام (١١) في مغني اللبيب فقال في الجهة السادسة من الباب الخامس ما نصُّه : «وأما لا رجلَ ظريفًا» فإنه عند سيبويه (١٢) مثل : «يا زيدُ الفاضلُ» بالرفع (١٣) انتهى . وهذا بخلاف حركة البناء فإنه لا يجوز إتباعها لعدم الشبه المذكور ، ثم اعلم أنه يستثنى من امتناع نداء [٦٣ ، أ] ما فيه «ال» اسم الله الأعظم ، كقولنا : «يا الله اغفر لنا» وكذا يجوز دخول حرف النداء على ما فيه «أل» من جملة جُعِلَتْ علمًا كما لو سميت شخصًا بالمنطلق زيد ، فإنّه يجوز أن تقول في ندائه: «يا المنطلق زيد ..» ، والله أعلم .

تنبيه :

«أيّ» في أقسامها الأربعة الأولى معربة ، وهي في الشرطية والاستفهامية والوصفية والحالية ؛ لأنّا وإن كان فيها شبه الحرفية بحالٍ من الأحوال ، وهو تضمنها معنى الشرط إذا كانت شرطية ، ومعنى الاستفهام [إذا كانت استفهامية] (١٤) ، إلاّ أنّ هذا الشبه قد عارضه لزومها الإضافة إلى مفرد ، وذلك من خصائص الأسماء ، فرجعت إلى ما هو الأصل فيها من الإعراب ، والأصل يُرجع إليه بأدنى سبب . وأما الموصولة ففيها تفصيل ، سيأتي في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى . وأما الموصلة (١٥) فتبنى بلا تفصيل ؛ لأنها مفرد معرفة ، والله أعلم .

الفصل الثاني : فيما يلزمها من الإضافة :

أعلم أنّ «أيًا» في جميع أقسامها واجبة الإضافة إما لفظًا أو تقديرًا إلاّ الواقعة وُصلة فإنها ليست مضافة لا لفظًا ولا تقديرًا ، ولذلك ألزموها هاء التنبيه عوضًا عما فاتها من الإضافة ، كما تقدم التنبيه عليه . وهي باعتبار ما تضاف إليه على ثلاثة أقسام :

– أحدها : ما يجب فيه أن تضاف إلى معرفة وهي الواقعة موصولة .

– الثاني : ما يجب فيه أن تضاف إلى نكرة وهي الواقعة صفة لنكرة ، أو حالاً لمعرفة كما تقدم في الأمثلة .

– الثالث : ما تكون [٦٣ ، ب] فيه مضافة إلى معرفة تارة ، وإلى نكرة تارة أخرى وهي الواقعة شرطًا أو استفهامًا . فمثالهما معرفتين : «أيّهم يقُمْ أقمْ معه» و «أيّهم يقوم ؟» . ومثالهما نكرتين : «أيُّ رجلٍ يقمْ أقم معه» و «أيُّ رجل يقوم ؟» .

الفصل الثالث : في الموصولة :

اعلم – وفقنا الله وإياك – أنّ «أيًا» الموصولة على أقسام كثيرة (١٦) ، وذلك لأن «أيًا» إمّا أن تكون صلتها جملةً أو شبهها . وعلى الأول : إمّا أن تكون الجملة اسمية أو فعلية ، وعلى الأول إما أن يكون الخبر مفردًا ، أوْلا . وعلى الأول – أعني مما إذا كانت الصلة جملة اسمية والخبر فيها مفرد – لها أربعة أحوال :

– أحدها : أن تضاف لفظًا ، ويذكر صدر صلتها نحو : «يعجبني أيّهم هو قائم» .

– الثاني : عكسه بأن لا تضاف لفظًا ، ولا يذكر صدر الصلة بل يحذف نحو « يعجبني أيٌّ قائم في الدار» .

– الثالث : أن يذكر الصدر ولا تضاف نحو : «يعجبني أيٌّ هو قائم» .

– الرابع : عكسه [وهو] (١٧) أن تضاف لفظًا ويحذف الصدر نحو : «يعجبني أيُّهم قائم» . وهذا القسم بعينه هو الذي يجب فيه بناء «أيّ» الموصولة من بين أقسامها، وضابط هذا القسم الذي يجب بناؤها فيه فقط ، أن يجتمع فيها أمران :

– أحدها : أن تضاف لفظًا .

– الثاني : أن يحذف صدر صلتها ، فلو انتفى الأمر الثاني وحده كما في الحال الأول وانتفى الأمر الأول وحده كما في الحال الثالث ، وانتفيا معًا كما في الحال الثاني فإنها تكون معربة . وأما إذا وصلت بجملة اسمية نحو : «يعجبني أيّهم هو» [٦٤ ، أ] ولم يكن الخبر مفردًا فيها ، فإمّا أن تكون جملة اسمية نحو : «يعجبني أيُّهم هو أبوه قائم» أو فعلية نحو : «يعجبني أيّهم هو قام» ، أو يكون شبه جملة : ظرفًا أو جارًا ومجرورًا نحو «يعجبني أيُّهم هو في الدار أو عندك» .

وفي كل من هذه الأحوال الأربعة إمّا أن تضاف ، أو لا . فتصير الأحوال فيما إذا كان الخبر ليس مفردًا ثمانية، وهي معربة فيها كلّها ، ولا يجوز في أحد منها حذف الصدر مع إرادته ؛ لأنّه لو حُذف في واحد منها لم يكن في الكلام ما يدل عليه لعدم الحاجة إليه ؛ لأن الباقي بعد حذفه صالح لأن يكون صلة ثانية ، فلا يدّعى حذف شيء لأن الأصل عدمه ، بل متى أريد الإسناد إلى الصدر وجب التصريح به ، وهذا بخلافه في أربعة المفرد ، فإنه إذا حذف هناك لم يبق إلاّ المفرد ، وهو لا يصلح لأن يكون صلة فيعلَم أنّ في الكلام شيئًا محذوفًا ، وأمّا إذا كانت الصلة جملة فعلية نحو : «يعجبني أيُّهم قام أبوه» . أو شبه جملة نحو «يعجبني أيّهم في الدار أو عندك» . فإمّا أن تضاف لفظًا ، أوْ لا . وهي معربة في هذه الستة أيضًا .

فمجموع أحوال «أيّ» الموصولة ثمانية عشر حالاً . وإذا ضَمَمْت إليها بقية الأقسام الخمسة التي في غير الموصولة حصل ثلاثة وعشرون ، وقد علم أنّها كلّها معربة فيها إلا في قسمين : الوصلة والموصولة بالقيدين السابقين ، أعني الإضافة وحذف الصدر . إذا نظرت إلى كون الجملة الفعلية تكون من فعل وفاعل تارة ، ومن فعل ونائبه [تارة] أخرى ، زادت الأقسام على ما ذكرنا كما لا يخفى .

تنبيه :

متى وقعت الصلة ظرفًا أو جاراً ومجروراً ، [٦٤ ، ب] فلابدّ من تعلقها بفعل محذوف وجوبًا ، ولا يجوز تعلقها بالوصف ؛ لأنه مع معموله في حكم المفرد ، وهو لا يوصل به ، وهذا بخلاف بقية المواضع الثلاثة للتعلق كما في الخبر والصفة والحال ، فإنه يجوز تعلقهما في المواضع الثلاثة بوصف ، ويجوز تعلقهما بفعل لعدم وجوب الجملة فيهما .

تنبيه :

وقد يُشكل بناء «أيّ» الموصولة في الصورة المذكورة مع كونها مضافة حتى قال الزجاج (١٨) الذي هو من كبار النحاة البصريين (١٩) : «ما تبيّن لي أن سيبويه غلط إلاّ في موضعين هذا أحدهما . أي فإنّه يسلم أنّها تعرب إذا أفردت فكيف يقول ببنائها إذا أضيفت ، مع أن الإضافة مبعدة عن شبه الحرف الذي هو موجب للبناء ؟» (٢٠) .

والجواب أن سبب بنائها ، إذا أضيفت وحذف صدر صلتها كونها في هذه الحالة قد نزل ما أضيفت إليه منزلة الصدر ولذلك لم يقبح حذف صدر صلتها ، حيث كانت مضافة لطول الصلة بتنزيل المضاف إليه منزلة جزء منها . وقد نصّ العالمان الجليلان : الخليل (٢١) وسيبويه – رحمهما الله تعالى – على أنّ نحو : «يعجبني أيٌّ قائم» قبيح ، كما في «جاء الذي قائم» وذلك لقصر الصلة بحذف الصدر مع عدم ما يقوم مقامه (٢٢) ، بخلاف «أيّهم قائم» فإنّ ذكر المضاف إليه حسّن حذف صدر الصلة وحيث نزل المضاف إليه منزلة الصدر بقيت «أيّ» كأنّها غير مضافة لا لفظًا ولا تقديرًا ، أما الأول [٦٥ ، أ] فلتنزيل المضاف إليه منزلة الصدر ، وأما الثاني فلوجود الإضافة لفظًا ، والتقدير لا يجامع اللفظ ، فبنيت «أيّ» في هذه الحالة لكونها صارت بمنزلة المقطوعة عن الإضافة لفظًا وتقديرًا ، فسلم شبه الحرف من معارض بخلاف بقية أقسامها ، فإنها إما مضافة لفظًا من غير تنزيل للمضاف إليه منزلة الصدر لوجود الصدر أو لعدم الحاجة إليه أصلاً . وإما مضافة تقديرًا كما في صوَر قطعها عن الإضافة ، وحينئذ لا يتأتى التنزيل ؛ لأن معدومًا لا يقوم مقام معدوم . وهذا جواب

دقيق، أفاد معناه أبو إسحق الشاطبي (٢٣) وغيره، وذكر حفيد الموضح في حواشي التوضيح: أن هذا الجواب مما ينبغي أن يكتب بماء الذهب.

وههنا إشكال آخر وهو أن «أيًّا» الموصولة قد اجتمع فيها معرّفان: أحدهما إضافتها إلى المعرفة، وثانيهما عهد الصلة الذي به تعرفت جميع الموصولات الاسمية على الأصح، فكيف اجتمع مُعَرِّفان على معرَّف واحد؟ والجواب كما أفاده العلامة ابن قاسم المرادي (٢٤) وغيره أن «أيًّا» الموصولة فيها إبهامات: إبهام الجنس وإبهام الشخص فاحتاجت إلى معرفين لذينك الإبهامين فبإضافتها إلى المعرفة يزول إبهام الجنس، فإنك إذا قلت: «يعجبني أيّ الرجال» فقد علم أن جنس ما صدقت عليه «أي» هو جنس الرجال. وبقي شخصاً لما صدق منها كما في قولك: «إني رجل» فاحتيج إلى رفع إبهام الشخص [٦٥، ب] بذكر شيء من عوارضه المعهودة للسامع من قيام أو قعود أو نحوهما. فإذا قلت: «يعجبني أي الرجال قام» فقد أزلت إبهام الشخص أيضاً بما قام من العهد الذي بينك وبين السامع المخاطب، انتهى.

خاتمة

في فهم ما يتعلق بالموصولة من كلام الإمام جمال الدين محمد بن مالك في خلاصته.

قال رحمه الله تعالى في باب الموصولة:

أيٌّ كما، وأعربت ما لم تُضف
وصدرُ وصلها ضمير انحذف (٢٥)

فنقول – وبالله التوفيق: قوله: «أيٌّ كما» يريد رحمه الله تعالى أنّ «أيًّا» تكون اسماً موصولاً للمفرد والمثنى والجمع مذكراً أو مؤنثاً، كما أن «ما» تكون كذلك نقول: «يعجبني أيهم قام، وأيهم قاما، وأيهم قاموا، وأيهن قامت، وأيهن قامتا، وأيهنّ قُمْن». ولا تختص بغير العاقل بخلاف «ما»، بل هي بحسب ما تضاف إليه من عاقل وغيره، والمشبه بالشيء لا يلزم أن يساويه في خصائصه كلها؛ بل ولا في وجه الشبه، كما هو مقرر في محله. وقوله: «وأعربت ... إلخ» يريد أن «أيًّا» خالفت أخواتها فأعربت في غالب أحوالها لما لزمتها الإضافة كما تقدم. وقوله: «ما لم تُضف» «ما» مصدرية ظرفية، فمعنى كونها مصدرية أنها تؤول مع ما يليها بمصدر، كما هو شأن الموصولات الحرفية، ومعنى كونها ظرفية أنّ المصدر المؤول نائب عن ظرف محذوف مضاف إلى المصدر، فإنّ حذف ظرف الزمان وإنابة المصدر عنه في النصب على الظرفية كثير، كما في قولك: «آتيك طلوع الشمس، وأمكث نحرَ جزور» أيْ وقت طلوع [٦٦، أ] الشمس، وقدر نحرِ جزور، وإلى هذا ونحوه أشار الإمام ابن مالك في خلاصته بقوله:

وقد ينوب عن مكان مصدر
وذاك في ظرف الزمان يكثر (٢٦)

وليس هذا من خصائص هذا الباب – باب المفعول فيه – كما يُتوهّم. بل هذا باب واسع، وهو حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مكانه الذي قيل فيه: «حدِّث عن البحر ولا حرج» وقد ذكره الإمام ابن مالك أيضاً بقوله:

وما يلي المضاف يأتي خلفًا
عنه في الإعراب إذا ما حذفًا (٢٧)

فظهر لك من هذا أنّ قولهم «ما» مصدرية ظرفية معناه أنّها مصدرية أصالةً وتأويلاً، وظرفية نيابةً وتقديراً. والتقدير فيما نحن فيه: «وأعربت (أي) مدة عدم إضافتها المقيدة بحذفها في المصدر». وإنما قلنا: «المقيدة ... إلخ»؛ لأن جملة قوله: «وصدر وصلها ضمير انحذف» حالٌ من نائب فاعل «تُضَف». والحال وصفٌ لصاحبها، قيْدٌ في عاملها، فقوله: «وأعربت ... إلخ» منطوقه صادق بجميع أقسام الموصولة التي ذكرنا أنها معربة، ومفهومه صادق بصورة بنائها، وبيانه أنّ صورة البناء فيها قيدان: الإضافة وحذف الصدر. وكل صورة من صور إعرابها قد عدم منها القيدان أو أحدهما. وإذا تقرر هذا ففي قول الناظم – رحمه الله تعالى: «وأعربت ما لم تُضَفْ» – أربعة تقارير:

– **أحدها**: أن قوله: «وصدر وصلها ... إلخ» قيْدٌ في النفي، والمعنى: وأعربت «أيّ» مدة عدم انتفاء الإضافة بشرط أن تكون «أيّ» المقطوعة عن الإضافة قد حُذف صدر صلتها، وذلك صادق بصورة واحدة دل على إعرابها المنطوق [٦٦، ب]، وهي قولك مثلاً: «يعجبني أيّ قائم» وباقي صوره مسكوت عنه، فإن قلت: المفهوم من

الكلام حينئذٍ بناء باقي الصور ، وليس كذلك ، قلتُ [٢٨] : غاية ما فيه أن المفهوم فيه تفصيل وذلك لا يُعترض به ، بل التفصيل موكول إلى أمر خارج من موقف أو غيره .

– **التقرير الثاني** أن قوله : «وصدر وصلها» قيدٌ في مفهوم «ما لم تُضَفْ» ، وبيانه أن قوله «ما لم تُضف» معناه : مدة عدم إضافتها . أيْ فتعرب سواءً [٢٩] أذكرَ الصدر أم حذف ، وهو كذلك . ومفهومه أنّها إذا أضيفت تُبنى سواء [٣٠] أذكرَ الصدر أم حذف . وليس على إطلاقه تقييد هذا المفهوم بقوله : «وصدر وصلها ضمير ... إلخ» ، ومفهوم القيد أنّه إذا لم يحذف الصدر تعرب ، وهو كذلك . فبعض صور الإعراب أفادها بالمنطوق وبعضها بالمفهوم، وصورة البناء ملفقة من المنطوق والمفهوم . هكذا جوز بعضهم، وعليه فالنفي للمقيدّ وحده – أعني الإضافة.

– **التقرير الثالث** : أن يكون قوله «ما لم ....» بمعنى «إلاّ» ، والمعنى : وأعربت «أيّ» في جميع صورها إلا أن تُضاف ، ويحذف الصدر فتُبْنى ، فجميع صور الإعراب منطوق وصورة البناء مفهومة ، وهذا نظير ما قيل في حديث «ما خُيِّر رسول الله – ﷺ – بين أمرين إلاّ اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا» [٣١] . أيْ إلاّ أن يكون إثمًا فلا يُخيِّر ولا يختار ، وإنّما أوِّل بذلك ليكون قوله : «ما لم يكن إثمًا» في معنى الاستثناء المنقطع .

– **التقرير الرابع** : [٦٧ ، أ] وهو التحقيق ويجري عليه جمهور الشرّاح كالمرادي وغيره وهو الذي أشرنا إليه في أول الخاتمة : أن يكون النفي منصبًا على القيد والمقيَّد ، والتقدير وأعربت «أيّ» مدة عدم الإضافة المقيدة بحذف الصدر فإنّها لا تعرب بل تُبْنى ، وما سوى هذه العبارة تعرب «أيّ» فيها . فصورة البناء دلّ عليها مفهوم الكلام ، وصور الإعراب دلّ عليها منطوقه .

وجعلنا الله، وإيّاكم – بفضله من الناطقين بالخير ، الصامتين عن الضمير ، والحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلّم .

تمت هذه الرسالة بالتمام والكمال ، وذلك على يد أفقر العباد ، وأحوجهم إلى عفو ربّه المنان ، حسن بن نصّار بن منصور الحنبلي البيتاوي ، وذلك بالجامع الأزهر المعمور بذكر الله ، أدام الله عماره ، والنفعَ به إلي يوم القيامة ، وذلك نهار الخميس المبارك ، نهار سبعة وعشرين خلت من جمادى الثاني من شهور سنة ألف ومائة وأربعة وخمسين من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ، والحمد لله ربّ العالمين .

الهوامش

١ – معجم المؤلفين ٦ / ٢٤٦ ، والأعلام ٤ / ٢٠٢ .
٢ – في الأصل : ثلاث .
٣ – الإسراء ١٧ / ١١٠ .
٤ – الأنعام ٦ / ٨١ .
٥ – مريم ١٩ / ٦٩ .
٦ – المزمل ٧٣ / ١
٧ – في الأصل أدعوا .
٨ – البيت في ألفية ابن مالك : رقم ٤٨٩ .
٩ – انظر المسألة في كتاب سيبويه ١ / ٣٥١ ، والمقتضب ٤ /٣٦٧، وشرح المفصل ٢ / ١٠٨ .
١٠ – سقطة همزة ابن في الأصل .
١١ – ابن هشام : جمال الدين بن يوسف بن عبدالله بن هشام الأنصاري . ت ٧٦١هـ .
١٢ – سيبويه : عمرو بن عثمان . إمام العربية في النحو . ت ١٨٠هـ.
١٣ – مغني اللبيب . ص ٧٤٥ .
١٤ – ثمة سقط في الأصل والسياق يقتضيه .
١٥ – يريد الموصلة لنداء ما فيه أل .
١٦ – في الأصل كثيرة .
١٧ – ساقطة في الأصل .
١٨ – في الأصل الزوجاج .
١٩ – الزجاج . إبراهيم بن السري بن سهل ، له معاني القرآن والاشتقاق وغيرها ت ٣١١ هـ .
٢٠ – مغني اللبيب ص ١٠٧ – ١٠٨ .
٢١ – الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي . نحوي ، لغوي ، واضع علم العروض ت ١٧٠ هـ .
٢٢ – انظر كتاب سيبويه ج ٢ ص ٤٠٠ وما بعدها .
٢٣ – أبو إسحق الشاطبي إبراهيم بن موسى ، أصولي من أئمة المالكية ، له شرح على الألفية ت ٧٩٠ هـ .
٢٤ – في الأصل «العبادي» وهو خطأ . وابن قاسم المرادي هو الحسن بن قاسم ، له تفسير القرآن والجنى الدانية ، وشرح على الألفية . ت ٧٤١ هـ .
٢٥ – الألفية . رقم البيت ٩٩ .
٢٦ – الألفية . رقم البيت ٣٠١ . وسقطت في المخطوط كلمة يكثر .
٢٧ – الألفية . رقم البيت ٣٩٤ .

٢٨ – قوله : قلت ، جواب لقوله : فإن قلتَ .
٢٩ – في الأصل : «سو» .
٣٠ – في الأصل : «سو» .
٣١ – أخرجه البخاري في المناقب والأدب والحدود ٤ / ٢٣٠ ، ٨/٣٦ ، ٨ / ١٩٨ .

المراجع

– الأعلام . خير الدين الزركلي . ط ٤ : دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩ .
– ألفية ابن مالك ، مكتبة المتنبي ، حلب ١٩٦٥ .
– شرح المفصّل ، ابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت بلا تاريخ .
– صحيح البخاري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
– كتاب سيبويه ، تح عبدالسلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت .
– معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، نسخة مصورة ، بيروت ، ١٩٨٢ .
– مغني اللبيب ، ابن هشام الأنصاري ، تح د . مازن المبارك – دار الفكر .
– المقتضب ، المبرد . تح محمد عبدالخالق عضيمة . عالم الكتب ، بيروت .

عالم الكتاب

كتاب الملاحن لابن دريد

تحقيق عبدالإله نبهان

وليد محمد السراقبي

قسم اللغة العربية - كلية الآداب - حمص - سورية

ابن دريد الأزدي ، أبو بكر محمد بن الحسن / كتاب الملاحن تحقيق عبدالإله نبهان .- دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٢م .

المراد بـ (الملاحن) أن يعطي المتكلم ألفاظه معاني دلالية - وهي المقصودة - مع ذكره معاني قريبة إلا أنه لا يريدها . فقد جاء في لسان العرب : « ... لَحَن له يلحَنُ لحنًا : قال له قولاً يفهمه عنه ويخفى عن غيره لأنه يُميله بالتورية عن الواضح المفهوم » (١) . وهذا ما أصبح يعرف في النقد الحديث بالانحراف الدلالي أو الانزياح . وقد ورد في الأثر أن النبي الكريم ﷺ كان إذا أراد سفرًا ورّى عنه بغيره . وفي تراثنا العربي الزاخر مؤلفات كثيرة تدخل في هذا الباب ، منها كتب الألغاز والأحاجي والتعمية ، والملاحن .

المؤلف

أما مؤلف كتاب (الملاحن) فهو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي . ولد في سكة صالح ببغداد في خلافة المعتصم سنة ٢٢٣هـ . سكن البصرة وتأدّب فيها وتلقّى علوم العربية ورواية الشعر على جلة من علمائها . وتنقّل بين عُمَان وجزيرة ابن عمر وفارس ، وحطّ رحاله أخيرًا في بغداد وبقي فيها إلى أن توفي سنة إحدى وعشرين ، وثلاث مئة .

وقد شهد له غير ما واحد بسعة العلم ، وحفظ اللغة ورواية الأشعار . فقد قال فيه أبو الطيب اللغوي : « ... فهو الذي انتهى إليه علم لغة البصريين ، وكان أحفظ الناس وأوسعهم علمًا ، وأقدرهم على شعر ، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وأبي بكر بن دريد » (٢) .

وقال غيره : « ... ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء » (٣) . وقيل فيه أيضًا : « ... كان ابن دريد واسع الحفظ جداً ، ما رأيت أحفظ منه كانت تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسابق إلى إتمامها من حفظه ، وما رأيته قط قرئ عليه ديوان شاعر إلا وهو يسابق إلى روايته لحفظه له » (٤) .

وشهد فيه تلميذه المسعودي صاحب كتاب (مروج الذهب) والمتوفى (٣٤٦هـ) فقال : « كان ابن دريد في بغداد ممن برع في زماننا في الشعر وانتهى في اللغة ، وقام مقام الخليل بن أحمد فيها » (٥) .

خلّف ابن دريد آثارًا أدبية ولغوية كثيرة ، منها معجمه المشهور (جمهرة اللغة) ، وكتاب (المجتنى) ، وكتاب (الملاحن) ، ... وغيرها كثير .

وكتاب (الملاحن) الذي نحن بصدد التعريف به وتقديمه إلى القراء الكرام هو « لون من التأليف طريف ، يدلك على مبلغ عناية ابن دريد باللغة وتصرّفه فيها منتفعًا ببعض خصائص العربية ، إذ كان من المشترك اللفظي بعض معانيه الظاهرة الكثيرة الدوران في كلام الناس ، كما كان من معانيه ما يخفى أحيانًا أو يقل استعماله » (٦) .

وقد صدر هذا الأثر الطيب عن وزارة الثقافة بدمشق ضمن منشوراتها لعام ١٩٩٢م . وقد نهض بعبء تحقيقه الأستاذ عبدالإله نبهان ، قدّمه إلى قراء العربية بثوب من التحقيق أنيق بعد طول انتظار .

منهج المؤلف

بدأ ابن دريد كتابه هذا بمقدمة أوضح فيها السبب الذي حدا به إلى وضعه . فقد أراد به «تقديم وسيلة شافية لإنقاذ ضمير يُضْطَر إلى القسم ، وذلك باستعماله في أثنائها كلمة يعرف معناها العامَّ كل مستمع ، بينما يفكر المقسم ويعني معنى آخر بعيدًا عن المعنى الشائع ، إنه نوع من البراعة العقلية (التحفظ المضمر) يمارس دائمًا في الشرق ، ولا يزال شائعًا حتى اليوم» (٧) ، يقول ابن دريد مبينًا ذلك الغرض : «... هذا كتاب ألفناه ليفزع إليه المجبر المضطر على اليمين ، المكره عليها ، فيعارض بما رسمناه، ويضمر خلاف ما يظهر ليسلم من عادية الظالم ، ويتخلَّص من جنف الغاشم . وسميناه كتاب (الملاحن) واشتققنا هذا الاسم من اللغة العربية الفصيحة التي لا يشوبها الكدر ، ولا يستولي عليها التكلف» (٨) .

بعد ذلك يشرع ابن دريد في بسط المعنى اللغوي لكلمة «الملاحن» ، ويمكن أن نقف لديه على المعاني الآتية لها :

١ – الفطنة : ومنه قول النبي ﷺ : «لعلَّ أحدكم أن يكون ألحن بحجته من بعض» أي : أفطن لها، وأغوص عليها (٩) .

٢ – التورية : ويراد بها أن تكون الكلمة تحتمل معنيين فيستعمل المتكلِّم أحد احتماليها ويهمل الآخر ، ومراده ما أهمله لا ما استعمله . وذلك «أن أصل اللحن عند العرب أن تريد الشيء فتوري عنه بقول آخر» (١٠) . وقد أورد ابن دريد دليلاً على ذلك «قول العنبري الأسير كان في بكر بن وائل حين سألهم رسولاً إلى قومه . فقالوا : لا ترسلْ إلا بحضرتنا ؛ لأنهم كانوا أزمعوا غزو قومه فخافوا أن ينذرهم عليهم . فجيء بعبد أسود ، فقال له : أتعقل ؟ قال: نعم ، إني لعاقل . قال : ما أراك كذلك . فقال : ما هذا وأشار بيده إلى الليل . فقال : هذا الليل . قال : أراك عاقلاً . ثمَّ ملأ كفيه من الرمل قال : كم هذا ؟ فقال : لا أدري ، وإنه لكثير . فقال : أيما أكثر النجوم أم النيران ؟ فقال : كل كثير . فقال : أبلغ قومي التحية ، وقل لهم : ليكرموا فلانًا ، يعني أسيرًا كان في أيديهم من بكر بن وائل ، فإن قومه لي مكرمون . وقل لهم : إن العرفج قد أدبي ، وقد شكَت النساء ، وأمرهم أن يُعْرُوا ناقتي الحمراء ، فقد أطالوا ركوبها ، وأن يركبوا جملي الأصهب بآية ما أكلت حيسًا . واسألوا الحارث عن خبري . فلمَّا أدى العبد الرسالة إليهم قالوا : لقد جُنَّ الأعور . والله ما نعرف له ناقةً حمراءَ ولا جملاً أصهب . ثم سرَّحوا العبد ودَعَوا الحارث فقصُّوا عليه القصة فقال : قد أنذركم .

أما قوله : «أدبي العرفجُ» فإنه يريد أن الرجال استلأموا ولبسوا السلاح . وقوله : «شكَت النساء» ، أي اتخذت الشكاء للسفر .

وقوله : «الناقة الحمراء» ، أي ارتحلوا عن الدهناء ، واركبوا الصُّمان ، وهو «الجمل الأصهب» .

وقوله : «بآية ما أكلتُ معكم حيسًا» يريد : أخلاطًا من الناس قد غزوكم ، لأنَّ الحيس يجمع السمن والتمر والأقط . فامتثلوا ما قال وعرفوا لَحْنَ كلامه» (١١) .

٣ – الخطأ وإزالة الكلام عن جهته : فقد قيل لمعاوية بن أبي سفيان : «إنَّ عبيد الله بن زياد يلحن . فقال : أو ليس بظريف ؟ ! ابن أخي يتكلَّمُ بالفارسية» (١٢) .

وقد عدَّ ابن دريد اللحن في العربية راجعًا إلى هذا ؛ «لأنك إذا قلت : (ضَربَ عبدُ الله زيدٌ) ، لم يُدْرَ أيهما الضارب ولا المضروب . فكأنك قد عدَلْته عن جهته . فإذا أعربت عن معناك فُهِمَ عنك فسمِّي اللحن لحنًا لأنه يخرج على نحوين وتحته معنيان» (١٣) . ومن هنا سُمِّي الإعراب نحوًا «لأن الأصل في النحو قصدك الشيء . تقول : نحوتُ كذا وكذا أي قصدته ، فالمتكلم ينحو الصواب ويقصده» (١٤) .

٤ – اللغة : ومنه «لَحَنَ الرجلُ إذا تكلَّم بلغته» (١٥) .

وبعد هذا التفصيل في بيان دلالة كلمة (اللحن) ، يبدأ بذكر نماذج اللحن التي بَنَى عليها كتابه . وقد بلغت عدتها خمسًا وثمانين ومئة مسألة . وهو في عرضه لها يتبع المنهج الآتي :

يبدأ أولاً بذكر القضيَّة التي يمكن أن تفسَّر بمعنيين، فيقول :

«وتقول : والله ما رأيت فلانًا ولا كلمته» (١٦) . ثم يقوم بشرح ما في التركيب من مفردات هي مدار الأمر . فهو يقول في المسألة السابقة مثلاً : «فمعنى رأيت فلانًا : ضربت رئته . ومعنى كلمته : جرحته» (١٧) .

وقد يستشهد على كلامه بشواهد شعرية ، ويفسِّر مفردات شاهده الشعري ، فعند استشهاده بقول الشاعر :

يُفَدِّي بأمِّيْهِ العرادة بعدما
نجا ، وضواحي جلدِه لم تَكلَّمِ

يقول : «العرادة : اسم فرسه ، وضواحي الجلد : ما ضحا منه للشمس ، أي برز . لم تكلّمْ : لم تجرّحْ» . ومن ذلك قوله :

«وتقول : والله ما أخذتُ من فلانٍ خفّاً ولا نَعْلاً . فالخفُّ : من أخفاف الإبل ، والنعل : القطعة من الحرّة ، قال الشاعر :

فدىً لامرئ والنعلُ بيني وبينَه
شفى غيم نفسي من رءوس الحواثرِ

الحواثر : بنو حَوْثَرة ، بطن من عبدالقيس» (١٩) .

وقد يورد لشاهده الشعريّ أكثر من رواية ، وذلك رغبةً في الدقة والتدليل على سعة روايته . من ذلك ما قاله عند استشهاده بقول الشاعر :

خلْتُ القَذى الجائلَ من حجَاجها
من حسَك التلْعة أرمن حاجها

ويروى : حَجَاجها ، بالفتح والكسر ، وهو العظم الذي يليه الحاجب» (٢٠) .

بل قد ينصّ على الخلاف في رواية الشاهد بين أصحاب المدرسة البصرية والكوفية ، أو تلك التي تمخّضت عن الجمع بين آراء المدرستين السابقتين ودعيت بالمدرسة البغداديّة . مثال ذلك ما أورده في قول العجاج :

وإرَمٌ أحرسُ فوقَ عنْز

«أحرس» : رواية البصريين ، وهو الذي قد مضى عليه الحَرْسُ ، والحرسُ : الدهر . ورواية البغداديين : «أخرس ، وهو الذي لا يتكلم» (٢١) .

وكقوله في قول النابغة الذبياني :

فآبَ مُصلّوهم بعينٍ جليلة
وغودر بالجَوْلان حزْمٌ ونائلُ

«الجولان : موضعٌ بالشام ، ودُفن فيه النعمان بن الحارث الغسّاني . والكوفيون يروون : مُضلّوه ، بالضاد المعجمة» (٢٢) .

إلا أن ابن دريد قد يخرج على المنهج الذي ألزم به نفسه ، فلا يستشهد بشيء من الشعر على ما يفسِّره من ألفاظ ، فيكتفي بالتفسير اللغوي لها . يقول : «وتقول : والله ما سببت له أمّاً ولا جدّاً ولا خالاً . فالأمّ : أمّ الدماغ . والجدُّ : الحظ . والخال : الأكمة الصغيرة» (٢٣) .

بل ويخرج مرة أخرى فيَضرب صفحاً عن تفسير ما في شاهده الشعري من غريب . من ذلك ما فعله في قول الراجز يصف جروحاً بحمار وحش :

ترى به من كل مرشاش الورَق
كثامر الحُمّاض من هفْت العلَق (٢٤)

وقد أورده شاهداً على معنى (الورق) في القضية الآتية : (والله ما خَرَطْتُ من هذه الشجرة ورقاً ولا أمرتُ به) (٢٥) . فقد اكتفى ابن دريد بشرح كلمة (الورق) قبل أن يستشهد بالرجز . ولم يعقِّبْ على البيت بشيء من الشرح والتفسير .

وقد يستشهد – ولكن على قلّة – بشواهد من القرآن الكريم ، أو الحديث النبوي الشريف . فعدّةُ شواهده القرآنية بلغت ثلاثاً وعشرين آية . وعدّةُ الأحاديث النبوية والآثار ستة عشر حديثاً . أما أبياته الشعرية فقد بلغت مئة واثني عشر بيتاً . هذا عدا أنصاف الأبيات .

وابن دريد قد ينصّ على نوع المفردة التي يفسِّرها ، أعربيةٌ هي أم معرَّبةٌ أم أعجمية ؟ ؛ من ذلك قوله : «وتقول: والله ما نُسِبَ فلان إلى السَّرَق ولا عُرف به . فالسَّرَق : الحرير ، فارسيٌّ معرَّب ، قال الشاعر :

... ... بناتُ الردم في سَرَقِ الحرير» (٢٦)

ويعمد أحياناً إلى ذكر قصّة الشاهد ومناسبته . قال : «وتقول : والله ما أمرْتُ ولا أحببْتُ . فأمرْتُ : صرتُ أميراً . وأحببت ، من قولهم : أحبّ البعير ، إذا برك فلم يثُرْ . قال الشاعر :

كَرْنِبوا ودَوْلِبوا وحيثُ شئتم فاذهبوا
قد أمرَ المهلَّبُ

أي : صار أميراً ... والشعر لحارثة بن بدر الغداني، قاله لما ولي الأهواز فلما بلغته ولاية المهلَّب الأهواز ، قال يخاطب أصحابه» (٢٧) .

التحقيق :

لا يخفى على كل قارئ لهذا الكتاب الجهد الطيب الذي بذله المحقق في سبيل إخراجه إخراجاً به «تقطع جهيزة قول كل خطيب» . فقد اعتمد المحقق في تحقيقه على أصول خطيّة ثلاثة ، ومطبوعتين . أما الأصول الخطيّة فهي :

أولاً : نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق :

وتقع هذه المخطوطة في سبع عشرة ورقة . وقد جعل منها أصلاً للكتاب ، لقدمها ونفاستها . وهذه النسخة من رواية أبي منصور محمد بن علي بن إسحاق الكاتب عن

أبي سعيد السيرافي عن ابن دريد . وقد كتبت هذه النسخة سنة ٤١٠هـ وعليها سماع سنة إحدى عشرة وأربع مئة .

ثانياً : نسخة الأسكوريال : وتقع في إحدى وعشرين ورقة ، وكتبت سنة اثنتين وخمس مئة . وراويها أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي عن ابن دريد .

ثالثاً : نسخة المغرب : وهذه تقع في خمس عشرة لوحة ، يعود تاريخ نسخها إلى سنة ست عشرة وست مئة للهجرة . وقد رواها أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان الذي سمع قراءة الكتاب على ابن دريد في بيته سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة وإلى جانب النسخ الخطية السابقة الذكر

كما أستأنس المحقق بطبعتين للكتاب ، أولاهما نشرها المستشرق هينرش توربكة في هيدلبرج عام ١٨٨٢م . وقد «اعتمد في تحقيقها على مخطوطة وحيدة هي مخطوطة مكتبة غوتا ، ويعود تاريخها إلى ما بين القرنين السابع والثامن الهجري» (٢٨) .

على أنّ توربكة قد قدّم «نصاً مضبوطاً صحيحاً لا يخلو من سقط واضطراب في مواضع قليلة . وصنَع تعليقات موجزة جداً ، وقدّم للكتاب بمقدمة وجيزة بالألمانية ، وصنع فهرساً للغة وآخر لسائر الأعلام» (٢٩) .

وثانيتهما نشرة الشيخ إبراهيم إطفيَّش التي اعتمد فيها على طبعة توربكة السابقة الذكر ، «وقد امتازت طبعته بأنه خرّج بعض الأبيات ، وزاد بعض التعليقات والإحالات فأتت - بفضل فارق الزمن - أفضل من الطبعة الأوربية» (٣٠) .

وقد عمد المحقق إلى إثبات النص من نسخة الظاهرية لقدمها ونفاستها ، كما ذكرت آنفاً ، ثم نص في الحواشي على الفروق بينها وبين النسخ الخطيّة الأخرى أو الطبعات . وقام بعرض المادة اللغوية للكتاب على معجم المؤلف نفسه ، هو (جمهرة اللغة) ، فنقل في الحاشية ما نص عليه ابن دريد فيها .

وأراد لعمله أن يأتي على درجة عالية من الإتقان والضبط فقام بمقارنة مادته اللغوية بما ورد في لسان العرب لابن منظور ، «فأتى الكتاب موثَّقاً بعرضه على معجمين أولهما للمؤلف نفسه ، وثانيهما جامع لأهم معجمات العربية» (٣١) .

وبذل المحقق جهداً في تخريج الشواهد الشعرية للكتاب ونسبتها إلى أصحابها وذكر أوزانها العروضية ، وشرح بعض مفردات الشاهد .

وأحسن عندما جعل مسك الختام ما ألحقه بالكتاب من فهارس تفصيلية للكتاب . فهناك فهرس للآيات القرآنية ، وثانٍ للأحاديث والآثار النبوية الشريفة ، وثالث للمفردات اللغوية التي بُني الكتاب عليها ، أو تلك التي فسرت في الحواشي . وجاءت هذه المفردات مرتبة بحسب أصولها الثلاثية أو الرباعية . وبلغت عدتها أكثر من عشرين وأربع مئة مفردة . وهذا ما يدفعني إلى الأخذ برأي المحقق عندما رجّح أن تكون غاية ابن دريد من الكتاب «غاية تعليمية الغرض منها الرياضة اللغوية ، وحفظ المزيد من مفردات اللغة ، وحفظ المعاني المعجمية لكثير من الألفاظ المشهورة بمعنى واحد بين الناس» (٣٢) . ثم هناك فهرس رابع للأشعار منسوقةً على القوافي ، وخامس للأقوام والجماعات ، وسادس للبلدان والمواضع .

ولكن الكتاب - منهجاً لا تحقيقاً - لا يخلو من بعض المغامز ، لعل أهمها : اضطراب ابن دريد في منهجه ؛ فبينما نجده في مسألة ما يفيض في التفسير والاستشهاد ، نراه في مواضع أخرى يوجز ؛ بل يبالغ في الإيجاز والاختصار ، فيكتفي - مثلاً - في المسألة الآتية : «والله ما رأيت قطناً ولا أباناً» ، بقوله : «وهما جبلان معروفان» (٣٣) .

أما المغمز الثاني فهو إغفال المؤلف نسبة الشواهد الشعرية - سوى القليل جداً منها - إلى أصحابها . وهذا يرجح لديّ أن يكون ابن دريد قد وضع كتابه هذا بعد كتابه الكبير (الجمهرة) ؛ وذلك لأن أكثر مادته بل كلها منها . ولكن الجهد الذي بذله المحقق في تخريجها عوضنا ما افتقدناه من المؤلف نفسه .

الحواشي

١ - لسان العرب (لحن) ، ط دار المعارف بمصر .

٢ - مراتب اللغويين ، لأبي الطيب اللغوي ، ص ٨٤ ، (ط مصر ١٩٥٥) .

٣ - معجم الأدباء ١٨/١٢٨ (ط٣ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٠م) .

٤ - معجم الأدباء ١٨/ ١٣٠ .

٥ - نقلاً عن رواية اللغة للدكتور عبدالحميد الشلقاني ، ط دار

المعارف ١٩٧٠ ، ص ٢٥٣ .

٦ – رواية اللغة : ٢٥٧ .

٧ – الملاحن : ٣١ (ترجمة المقدمة التي كتبها هينرش توربكة بالألمانية لطبعة عام ١٨٨٢م . ترجمة ميخائيل حنا) .

٨ – الملاحن : ٦٣ – ٦٤ . ٩ – الملاحن : ٦٤ .

١٠ – الملاحن : ٦٥ . ١١ – الملاحن : ٦٥ – ٦٧

١٢ – الملاحن : ٦٨ . ١٣ – الملاحن : ٦٩ .

١٤ – الملاحن : ٦٩ . ١٥ – الملاحن : ٧٠ .

١٦ – الملاحن : ٧٠ . ١٧ – الملاحن : ٧٠ .

١٨ – الملاحن : ٧١ . ١٩ – الملاحن : ٧٠ .

٢٠ – الملاحن : ٩١ . ٢١ – الملاحن : ١١٣ .

٢٢ – الملاحن : ٩٢ . ٢٣ – الملاحن : ٩٢ .

٢٤ – الملاحن : ١٦٥ . والثامر . ما خرج ثمره . الحمّاض : نبت جبلي عظيم الورق زهره أحمر . الهفْت : التساقط . العلق : قطعة الدم .

٢٥ – الملاحن : ١٦٤ . ٢٦ – الملاحن :١٢٤ .

٢٧ – الملاحن : ١٠٧ . ٢٨ – الملاحن : ٢٩ .

٢٩ – الملاحن : ٢٩ . ٣٠ – الملاحن : ٢٩ .

٣١ – الملاحن : ٣١ . ٣٢ – الملاحن : ٢٧ .

٣٣ – الملاحن : ١٠١ .

كتاب الملل والنحل للشهرستاني

Livre de Religions et des Sectes .- Peeters / UNESCO, 1986

أحمد شحلان

مدير مكتب تنسيق التعريب – الرباط – المغرب

صدرت عن اليونسكو، في السلسلة العربية لمجموعة الروائع الإنسانية، ترجمة الجزء الأول من كتاب الإمام تاج الدين أبي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني (١٠٨١ – ١١٥٣)، **الملل والنحل**، في ٧٢٨ صفحة. Peeters / Unesco 1986 عنوان الترجمة Livre des religions et des sectes، وقد أنجزها ثلاثة من البحاثة ينتمون إلى المدرسة التطبيقية للدراسات العليا، باريس E.PHE وهم: Daniel GIMARET وترجم القسم الخاص بالإسلام، و Guy MONNOT وترجم القسم الخاص بالديانات غير الإسلامية. وتكون ترجمتهما الجزء الأول. وترجم Jean Jolivet القسم الخاص بالفلسفة (في طور الإعداد).

اعتمد المترجمون طبعة الشيخ بدران التي صدرت بالقاهرة 51 - 1955، كما اعتمدوا النشرة الأوربية، إضافة إلى مخطوطات أخرى مكنتهم من تصحيح بعض القراءات السابقة. وليس من مهمتنا هنا أن نتحدث عن مضمون الكتاب وأهميته، فهذا أمر لا يخفى عن المهتمين والدارسين. وإنما قصدنا أن نعرف بالترجمة الفرنسية لهذا النص. ورغبة منا في التذكير بمادة الكتاب، فإننا نقتبس فقرة من مقدمة الشهرستاني، لتكون متكأ للتذكر، ومجملاً تجمل ماعزم عليه المؤلف، وتلخص الذي رمى إليه. يقول بعد حمد الله والصلاة على نبيه: «وبعد؛ فلما وفقني الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العلم من أرباب الديانات والملل وأهل الأهواء والنحل، والوقوف على مصادرها ومواردها، واقتناص أوانسها وشواردها. أردت أن أجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ما تدين به المتدينون، وانتحله المنتحلون، عبرة لمن استعبر واستبصاراً لمن اعتبر. وقبل الخوض فيما هو الغرض، لابد من أن أقدم خمس مقدمات: المقدمة الأولى في بيان أقسام أهل العالم جملة مرسلة. المقدمة الثانية في تعيين قانون يبتنى عليه تعديل الفرق الإسلامية. الثالثة في بيان أول شبهة وقعت في الخليقة من مصدرها ومظهرها. المقدمة الرابعة في بيان أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية، وكيف انشعابها من مصدرها ومظهرها. المقدمة الخامسة في السبب الذي أوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب (هامش **الفصل في الملل والأهواء والنحل** لابن حزم الظاهري الأندلسي، القاهرة، دون تاريخ ج ١، ص ٣ – ٤). بدأ الجزء الأول من الترجمة بمدخل السيد مدير قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية باليونسكو، الأستاذ محمد علال سيناصر، يبين فيه الهدف من نشر وترجمة الملل، إذ يعد هذا الكتاب عنوانًا للتسامح ونشدان المعرفة والحق، وهي أسس من أسس البناء الحضاري الإنساني. والتسامح معلم من المعالم الذي تنشده المنظمة، ذلك أن التاريخ الإنساني منذ القدم، وهو يعرف قَدْرَ عَدَم التسامح، فكان ضحية لذلك كثير من صناع الحضارة. ومن حسن حظ الإنسان أن واكبت كثير من النشاطات الإنسانية هذا القَدْرَ رغبة في كسر شوكة عدم التسامح. ونشر هذا العمل لبنة في هذا المجهود الإنساني الفعال. ثم بين سيناصر في هذه المقدمة العلمية العميقة هدف الشهرستاني في مؤلفة الفريد، ومعارفه ونسبه المذهبي.

ووضع دلالة الكتاب في منظور الحاضر المعاصر . وهذه المقدمة بالإضافة إلى هذا ، تأمل في مصير الإنسان ، وتدبر في مساره وتاريخه ، اعتمد فيه صاحب المقدمة فكر هذا الإنسان في التراث الإغريقي القديم ، والتراث الإسلامي ، والفكر الغربي المعاصر ، فكان النظر في كتاب الشهرستاني نظرة في كل الفكر الذي ينشد السلام الإنساني، وحرية الإنسان في معتقده ورأيه ، والتحذير من عدم التسامح والعنف في كل صوره ومذاهبه . وهذه أسس فكر الشهرستاني الذي ينشد الإحياء عن طريق التدبر ، والإثبات عن طريق التجربة ، والحث انطلاقًا من الوقائع والمقتضيات. وهذا هو المقصد الأسمى الذي تطلعت إليه الثقافات مهما اختلفت مواردها ؛ لأنها تصدر عن قيم خالدة ، وهو الهدف الأسمى أيضًا الذي تهفو إليه منظمة اليونسكو .

مقدمة الترجمة

شغلت هذه المقدمة مئة وثلاث صفحات ، تناولت أولاً : حياة الشهرستاني ومؤلفاته (Guy MONNOT).
ثانيًا : كتاب الملل والنحل (Daniel GIMARET) .
ثالثًا : المذاهب الإسلامية (٧٣ فرقة) (D. GIMARET).
رابعًا : ديانات الكتب المقدسة .

١ - تعرض المترجم لحياة الشهرستاني والظروف السياسية التي عاصرته ، فمؤلفاته المطبوع منها والمخطوط والضائع ، فمذهبه واعتقاده ، وما قيل حول ذلك ، واتهامه بالخبط في الاعتقاد والميل إلى الإلحاد . وقد ناقش الباحث النصوص التي وصمت الشهرستاني بهذا ، وقارن بعضها ببعض ، وأخيرًا ؛ بين أن القول الفصل لا يصح إلا بدراسة مناسبة لكل ما كتبه الشهرستاني .

٢ - كتاب الملل والنحل : ذكر المترجم مباحث الكتب التي تناولت الموضوع نفسه ثم أبرز خصوصية كتاب الشهرستاني وتحريه في استعمال مصطلحاته ، من ذلك إطلاقه أرباب الديانات والملل على المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والثانوية ، وأهل الأهواء والنحل على الصابئة والفلاسفة والعرب الجاهليين والهنود . ثم بين المترجم الأمر الذي دعاه إلى ترجمة عنوان الكتاب بـ Livre des religions et des sectes حيث قصد الإيضاح بالرغم من كون هذه الترجمة لا تعبر عما يريده الشهرستاني .

وعرض أيضًا منهج الشهرستاني في التقسيم والتبويب والتحليل ، وبين أن مؤلف الملل كان يتسم بالبيداغوجية والوضوح ، وأنه كان ذا نظام محكم ، فعقليته عقلية المهندس الجمالي ، وأنه لم يكن متكلمًا فيلسوفًا وحسب ؛ بل كان كاتبًا ذا براعة يهتم بفعالية الكلمة وجمال الأسلوب ويمتلك ناصية الصنعة في الأسلوب المسجوع ، كما كان يمتلك عقلية نفاذة ، وفكرًا عميقًا وأصيلاً . وتعرض لمخطوطات ومنشورات وترجمات كتاب الملل ، فعدّ بعضًا من مخطوطاته، وذكر أماكنها كما تحدث عن نشراته الغربية والعربية ، وذكّر بترجمته الفارسية والتركية ، وكذا ترجماته الجزئية إلى بعض اللغات الغربية ، مثل الإنجليزية والفرنسية .

٣ - المذاهب الإسلامية : قسم الباحث هذا القسم إلى خمس فقرات : ذكر في الفقرة الأولى كتب المقالات والمذاهب ، وكتب الجدل والمناظرات والردود . ومن أعلام هذه الأعمال : إيمان بن رباب ، ويحيا بن كامل ، وأبو إسحق الوراق ، وأبو القاسم . وذكر أيضًا كتب الخلاف مثل : معتمد ابن القاضي ، ومغني القاضي عبدالجبار ، واهتم بكتب الرجال والطبقات والفهارس ، وهي كتب أوردت الكثير من الخلاف . إن هذه الأعمال جميعًا حثت الشهرستاني على أن يجمع هذا الخليط في ترتيب متقن . والترتيب هو الظاهرة البارزة في كتاب الملل الذي أضاف صاحبه الاختلاف في الفروع بعد ما اقتصر سابقوه على الاختلاف في الأصول .

وذكر في الفقرة الثانية الإرث الذي ورثه الشهرستاني، مثل أعمال البلخي والأشعري والبغدادي ، وتعقب الباحث ما هو أصيل وما هو مأخوذ في الملل ، مباشرة وغير مباشرة . وقارن بين هذه المصادر وهذه المظان ليتأكد مما هو للشهرستاني وما هو لغيره . فاستعرض انتصار الراوندي ، والفرق بين الفرق للبغدادي ، والكامل للمبرد ، وغنية أبي القاسم الأنصاري ، وفهرست ابن النديم ، وفرق الشيعة للنوبختي وغيرهم . كما أشار إلى اتصال الشهرستاني بالمذاهب والناس .

- وأشار في الفقرة الثالثة إلى قيمة مادة الملل وما ورد فيه من مذاهب وأحكام وأحداث تاريخية ، وما استظهر فيه صاحبه من أقوال للمذاهب الكلامية والفلسفية والفقهية والسياسية والتفسير ليستدل على أن الشهرستاني كان موسوعي المعارف . وبين موقف صاحب

الملل من أهل المذاهب وتوازنه في آرائه وميله لبعض من هذه المذاهب ، ليخلص إلى أن نزاهته كانت نزاهة علمية إذا وضعناها في إطارها التاريخي.

– وكلام الباحث عن موقف الشهرستاني من المذاهب يدعوه إلى التساؤل عن حقيقته ومذهبه ، فرأى أنه كان أشعريًا كلاميًا ، وشيعيًا وفيلسوفًا على طريقة اختارها ، وأنه كان صوفيًا ذا فكر فريد مطبوع بطابع سني ، وهذه ميزات لا يجلي سرها إلا دراسة وافية لما كتبه صاحب الملل .

– ويخص الباحث الفقرة الخامسة لمنهجه في الترجمة والتعليق والتحقيق ، فبين منهجه في اختيار النص ومقابلته وانتقاء اللفظ اللائق في ترجمة تتناول عملاً من أهم الأعمال وأصعبها ، مع عدم نسيان خصوصية اللغة الفرنسية التي هي لغة تقبل .

كما أنه يشير إلى الجهود المبذولة في التعاليق ، وذلك إيضاحًا للأحداث التاريخية وتحققًا من الأقوال والمذاهب وإبرازًا للأعلام .

ديانات الكتب المقدسة

انتشر الإسلام في مواطن جديدة كانت بها ديانات قديمة ذات مؤسسات كبرى ككنائس الإسكندرية وأنطاكيا، والأكاديميات اليهودية ببابل ، والمجوسية في الإمبراطورية الساسانية ، فديانات الهند والترك وأفريقيا . وكانت الرحلات ، فتطلع الإخباريون إلى جمع أخبار الأمم، فظهر نوعان من التأليف ، أحدهما كتب الأخبار ، مثل كتاب مزدك لابن المقفع . وثانيهما كتب النظر ، مثل الألف مسألة في الرد على المانوية . ثم تتالت كتب الأديان والمذاهب ما بين القرن الثاني والخامس الهجري ، منها كتب الرد والمقالات ، وكتب البدء والتاريخ ، وكتب الفرق . وبعد عرض لهذه المؤلفات تناول MONNOT منهج الشهرستاني وحسن اختياره وترتيبه ونباهة ذكائه . ثم تتبع تقسيم الشهرستاني ، فتناول باب اليهود ، حيث تعرض لمن كتب في الموضوع قبل الشهرستاني مثل ابن النديم والمسعودي والمقدسي والباقلاني وابن حزم . وباب النصارى ، فذكر أيضًا كتابات في الموضوع ، مثل كتب الرد على النصارى ، فأشار إلى بعض مؤلفيها كأبي القاسم الرسي ، وداود بن عمر ، والجاحظ ، والباقلاني ، وابن حزم وغيرهم . وباب المجوسية ، ففصل القول في اشتقاق الاسم ، مع تمهيد تاريخي ثم عرض للذين كتبوا ردودًا في هذا المعتقد ، مثل بشر بن المعتمر ، وأبي الهذيل، وأبي عيسى الوراق ، وحميد بن سعيد بن بختيار والماتوريدي ، والباقلاني ، وعبدالجبار . ثم تناول باب الثانوية فحلل اسم المعتقد ، وذكر كتبًا في الموضوع ، مثل كتابات الماتوريدي ، والباقلاني ، وعبدالجبار ، والبيروني ، وابن النديم . وعرض في الفقرة الأخيرة من هذا القسم ، منهجيته في الترجمة والتحقيق وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك أعلاه .

وختمت هذه المقدمة ببليوجرافيا جاءت كالآتي :

١ – ببليوجرافيا الشهرستاني وكتاباته .
٢ – ببليوجرافيا الإسلام .
٣ – ببليوجرافيا الديانات والديانات المقارنة ، وكانت كالآتي:
   ١ – النصوص والمصادر العربية .
   ٢ – ترجمات ودراسات إسلامية .
   ٣ – يهودية العصر الوسيط في الشرق والأندلس .
   ٤ – المذاهب الكنسية الشرقية .
   ٥ – المجوسية . ٦ – الثانوية .

وذيل الجزء بملحقات هي عبارة عن شجرة أنساب بني أمية وبني هاشم وبني الحسين فالعباسيين ، ثم خارطة ، ففهرست القرآن الكريم ، ثم فهرست عام للأعلام والمذاهب والمصطلحات .

ذكر المترجمان في مقدمتهما أن اختيارهما لترجمة العنوان كان منبثقًا عن رغبة قصدها الوضوح ، وهذا فعلاً ما يجده القارئ في كل الكتاب . غير أن أهم ما يميز هذه الترجمة ، هو ما صاحبها من شروح وتعاليق . والحقيقة أننا لسنا أمام ترجمة نص عربي إلى نص فرنسي ، ولكننا أمام تحقيق توسل إليه صاحباه بكل وسائل التحقيق مصدرًا ومصطلحًا ، وكان همهم دائمًا تقديم مؤلف الشهرستاني تقديمًا علميًا مدققًا . وهي رغبة تضافرت فيها جهود المترجمين ومنظمة اليونسكو ، إذ لم يقنع أولئك بجهودهم على ضخامتها ؛ بل اتخذوا لهما عونًا ، كثيرين من المختصين من رجال الجامعة والبحث . كما أن منظمة اليونسكو لم تدخر جهودها ، فأكدت هدفها العلمي لما طلبت مراجعة الترجمة من كل من الأساتذة إبراهيم مدكور، رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والأستاذ محسن مهدي الأستاذ المحقق بجامعة هارفرد ، والأستاذ حييم زعفراني رئيس قسم اللغة العبرية واللغات اليهودية بجامعة باريس الثامنة سابقًا .

الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات
دراسة ببليومترية لمحمد أمين تركستاني

تركستاني ، محمد أمين عبدالقادر / الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات : دراسة ببليومترية .- رسالة [ماجستير] .- إشراف أسامة السيد محمود .- جدة : جامعة الملك عبدالعزيز ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم المكتبات والمعلومات ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .- ١١٩ ص .

إن استخدام الدراسات الببليومترية وما يندرج فيها من قوانين علمية ثابتة ، تمثل ظاهرة علمية حديثة الشأن في مجال علم المكتبات والمعلومات .

وهذه الظاهرة ليست وليدة هذا العلم ، أو فرع منه ، وإنما سبقه إليها العلوم البحتة والتطبيقية ثم العلوم الاجتماعية ... وغيرها .

وهي أقرب ما تكون من الإحصاء التطبيقي إلى غيره من العلوم كأداة تحليلية يمكن تسخيرها لفروع المعرفة قاطبة ، وليست لها استقلالية علمية ، أو كيان معرفي قائم بذاته كبقية العلوم والمعارف البتة .

ولهذا نجد أن المشتغلين في مجال المكتبات ، أو الدارسين له بدأوا باستثمار هذه الظاهرة ، وتسخيرها كأداة فنية جديدة تضاف إلى أدواتهم الفنية الثابتة ، وأسلوبًا عمليًا لضبط نتائج أبحاثهم ودراساتهم ، وبشكل خاص في الأعمال الببليوجرافية ، والمجموعات العامة ، والدوريات ، والاستشهادات المرجعية ... إلخ .

وهذه الرسالة العلمية التي نحن بصدد عرضها ما هي إلا نموذج للتأكيد على اجتياز الببليومتريق جدار الزمن بالنسبة لعلوم المكتبات والمعلومات ، وكذلك التأكيد على أهمية الأساليب الإحصائية ، والطرق الرياضية في عمليات التحليل الكمي والنوعي لهذا العلم .

يتناول هذا البحث سمات وخصائص الإنتاج الفكري العربي في المكتبات والمعلومات اعتمادًا على الأدوات الببليوجرافية التي حصرته حتى عام ١٩٨٥م ، وتقويم هذه الأدوات ثم تحليل الإنتاج لمعرفة سماته اللغوية والنوعية والجغرافية من حيث أماكن النشر وتوزيعاته الموضوعية على جوانب وفروع علم المكتبات والمعلومات وتحديد أهم الدوريات التي ينشر بها مقالات وأبحاث الإنتاج ومصادره وأجهزة النشر ومعرفة أغزر المؤلفين والهيئات إنتاجًا . كما يتناول العوامل والأسباب التي أدت إلى زيادة نمو الإنتاج الفكري العربي في المكتبات والمعلومات ودرجة هذا النمو مع التركيز على العلاقة بين انتشار ونمو تعليم ومؤسسات تعليم المكتبات والمعلومات في الدول العربية وزيادة الإنتاج الفكري المتخصص . كما يتناول هذا البحث قوانين الدراسات الببليومترية وفوائد هذه الدراسات واستخداماتها في علم المكتبات والمعلومات وطبقت بعض القوانين لقياس ظواهر معينة في الإنتاج ، وقد استخدمت الدراسة المنهج الكمي في صياغة سمات وظواهر الإنتاج الفكري بجانب المنهج التقويمي لتقويم أدوات حصره وكذلك المنهج التاريخي لتتبع أسباب زيادته ونموه . وترجع أهمية الدراسة إلى أنها الدراسة الأولى حتى الآن التي تتناول كل الإنتاج الفكري العربي عبر تاريخه وحتى عام ١٩٨٥م في كل الدول العربية وفي كل موضوعاته وفروعه . وقد تبين من هذه الرسالة أن مقالات الدوريات تشكل الجزء الأكبر من الإنتاج يليها أبحاث المؤتمرات ثم الكتب ، كما تم

استخراج قائمة بأهم الدوريات التي تنشر بها المقالات ، وأن ما يكتب باللغة العربية يشكل أكثر من ٩١٪ من الإنتاج والباقي بالإنجليزية والفرنسية والألمانية والمجرية ، وهناك الكثير من أجهزة النشر أسهمت في نشر هذا الإنتاج وأهمها قطاع النشر التجاري والهيئات والمنظمات الدولية والجامعات والجمعيات المتخصصة والهيئات الحكومية وأن ما ينشر في مصر والمملكة العربية السعودية والعراق والأردن وتونس والكويت يشكل الأغلبية الساحقة من الإنتاج وأن نسبة ما ينشر في المملكة ينمو بصورة أعلى عن باقي الدول ، وأن الإنتاج في موضوع المكتبات بأنواعها وأوعية ومصادر المعلومات والإعداد الفني والطباعة والنشر والتوثيق يتفوق على ما ينشر في موضوعات أخرى . واستخرج الباحث قائمة بأغزر المؤلفين إنتاجًا وأكثر الهيئات مشاركة في التأليف كما تبين أن ٧.٤٢ ٪ من الإنتاج مترجم و ٢.٤٧ ٪ من الإنتاج اشترك في تأليفه أكثر من مؤلف .

الدراسات والاستشهادات المرجعية في مجلة عالم الكتب
دراسة ببليومترية لفيصل بن عبدالله الحداد

الحداد ، فيصل بن عبدالله / الدراسات والاستشهادات المرجعية في مجلة عالم الكتب السعودية : دراسة ببليومترية . - رسالة [ماجستير] . - إشراف أسامة السيد محمود . - جدة : جامعة الملك عبدالعزيز ، كلية العلوم الإنسانية ، قسم المكتبات والمعلومات ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م . - P - ع ، ١٥٨ ، ١٤ ورقة .

أولت مجلة «عالم الكتب» مسألة التوثيق العلمي والاستشهاد المرجعي للبحوث والدراسات التي تنشر على صفحاتها اهتمامًا ملحوظًا وبيِّنًا ؛ وباتت ركيزة أساسية في منهجها التقويمي للبحوث والدراسات التي تندرج في ميزان التحكيم .

ولأهمية الاستشهادات المرجعية بالنسبة للوعي الثقافي المكتبي المتخصص ، واستخلاص المؤشرات التي تدل على مدى اهتمام الباحثين بالمراجع الأكثر استشهاداً بها في أبحاثهم ودراساتهم ، من خلال الببليوجرافيا القياسية ، وموقع «عالم الكتب» في جغرافية الثقافة العربية المتخصصة .

ركزت هذه الدراسة على قضية تهم الباحثين والمهتمين بالدراسات المرجعية واستشهاداتها وكذلك المهتمين بالأساليب الببليومترية في التحليل الإحصائي للوصول إلى نتائج علمية دقيقة .

فقد تناولت هذه الدراسة مجلة «عالم الكتب» السعودية المتخصصة في مجال المكتبات والمعلومات كأحد أفضل النماذج في الدوريات المتخصصة السعودية في المكتبات والمعلومات بالتحليل الببليومتري لأبوابها وبتحليل مصادر الاستشهادات المرجعية للدراسات المتخصصة في المكتبات والمعلومات التي ظهرت في عشرة المجلدات الأولى التي تغطي من عام ١٤٠٠هـ إلى ١٤١٠هـ .

وقد بدأت هذه الدراسة بعد المقدمة بفصل نظري حددت فيه الدراسة مفهوم علم المكتبات وعلاقاته الموضوعية وتوصلت إلى أن هذا العلم على الرغم من وجود الكثير من التعريفات إلا أنها قد اتفقت على أن علم المكتبات والمعلومات هو الذي يعتني بنوعية المعلومات من حيث الاختيار والاقتناء والتنظيم والحفظ والاسترجاع ، وأيضًا من حيث بناء وإدارة المؤسسات التي تقوم بذلك ،

وأن لهذا العلم علاقات قوية بالإدارة وعلم النفس واللغويات والإحصاء والحاسبات الإلكترونية والتربية وكان الفرض من تحديد مفهوم العلم وعلاقاته هو قياس الدورية موضع الدراسة في ضوء ما توصل إليه من تعريفات وعلاقات . ثم استعرضت الدراسة مفهوم وتطور الدراسات الببليومترية وبالذات دراسات تحليل مصادر الاستشهادات المرجعية ، ثم قام الباحث باستعراض تاريخ ومجال وأهمية مجلة «عالم الكتب» ثم تعرف على أبوابها الثابتة ، التي تبين منها أن هناك واحداً وعشرين باباً كان بعضها يظهر بشكل ثابت في كل الأعداد وبعضها ظهر في أعداد متفرقة وحددت الدراسة هذه الأبواب للتعرف على محتوياتها ومجالاتها .

قام الباحث بعد ذلك بتحليل مصادر الاستشهادات المرجعية التي وردت في الدراسات المتخصصة في المكتبات والمعلومات وهي (٧٩) دراسة بلغ مجموع استشهاداتها (١٧٤٥) استشهاداً من الناحية اللغوية ، حيث تبين أن ثلثي الاستشهادات تقريباً بالعربية والباقي بالإنجليزية وكان هناك نحو ١٪ بالفرنسية والألمانية والإيطالية والروسية والتركية ، ثم تم التحليل من ناحية أماكن نشر الاستشهادات وتبين أنها كانت مركزة على الولايات المتحدة الأمريكية ومصر والمملكة العربية السعودية والعراق ولبنان وإنجلترا ثم من الناحية النوعية حيث تبين أنها شملت كل أنواع مصادر المعلومات وإن كان أهمها الكتب ثم المقالات فالتقارير فالأطروحات ففصول الكتب ثم بحوث المؤتمرات ثم من الناحية الموضوعية حيث تبين أن هذه الاستشهادات توزعت على (١٣٨) موضوعاً مختلفاً منها (٨١) موضوعاً في المكتبات والمعلومات وتوزع الباقي بين موضوعات : الإنسانيات ، والعلوم الاجتماعية ، والعلوم والتقنية ، وكانت أبرز موضوعات مصادر الاستشهادات هي مصادر المعلومات مما أكد أن الاهتمام الأساسي للمجلة هو الكتاب والأنواع الأخرى من المصادر كما كشفت التحليلات الموضوعية على تأثير التراث العربي والإسلامي على موضوعات الدراسات ، وتم إعداد توزيع زمني للتواريخ وتبيّن أنها تتوزع على (٧) قرون وإن كانت أعلى نسبة منها في الفترة من ١٩٧٠ - ١٩٧٩م وتوصلت الدراسة أيضاً إلى قائمة بأهم الكتب والدوريات والمؤلفين المستشهد بهم .

وقد استخدمت هذه الدراسة المنهج النظري التحليلي في تتبع تعريفات وعلاقات علم المكتبات والمعلومات والتعرف على مفهوم وتطور واستخدامات وتطبيقات الدراسات الببليومترية ، ثم استخدم منهج التحليل الكمي في دراسة مكونات مجلة «عالم الكتب» وتحليل مصادر الاستشهادات ، كما تمت مقارنة نتائجه مع نتائج الدراسات السابقة على الدوريات المتخصصة في المكتبات والمعلومات .